

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهرارز - فاس



مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه: تاريخ وتراث دول المغرب
مختبر البيبليوغرافيا التحليلية والتوثيق للتراث المغربي
تخصص: التاريخ

السجن والسجناء في المغرب خلال
العصر الوسيط

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

إنجاز الطالب الباحث:

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

طارق زروقي

عبد الإله بنمليح

0199768717

2019/2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة الآية 31

الإهداء

إلى الذي حمل بأمانة أقدس رسالة في الحياة

إلى الذي مهد لي طريق العلم والمعرفة

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار

أستاذي المؤرخ الدكتور

عبد الإله بنمليح

مقدمة

تعتبر السجون مؤسسات اجتماعية قديمة، تطور وجودها على مر العصور، ولا يكاد يخلو أي مجتمع من هذه "المؤسسة". وتتبع أهمية السجون بالنسبة للدول والمجتمعات كونها مكان لعقاب المجرمين والمخالفين، بهدف ردعهم وإصلاحهم والحد من مخالفاتهم، لتحقيق نوع من الاستقرار المؤدي إلى الازدهار. وتعتبر دراسة هذه المؤسسة ذات أهمية قصوى، وخاصة بالنسبة للدراسات التاريخية والاجتماعية، لكونها تعكس واقع المجتمع بشكل غير مباشر، فالصورة التي تقدمها دراسة مثل هذه المواضيع، تعبر عن طبيعة المشكلات التي يعانها المجتمع بمدخلاتها السياسية والاقتصادية والإدارية، ونتيجة لذلك كانت الدول وخاصة الدولة المغربية في امتدادها الزمني تهتم بالسجون، إيماناً منها بأهميتها في تحقيق الاستقرار.

ويأتي هذا البحث لتقديم صورة عن واقع السجون في الدولة المغربية خلال العصر الوسيط، وعن العقلية والفكر التأديبي السائد في هذه الفترة.

- دوافع اختيار الموضوع:

جاءت فكرة هذا الموضوع بناء على جملة من الحيثيات تبينت لنا بعد استطلاعات أولية تشخيصية لمجال البحث، نذكر منها:

- ✓ غياب دراسات تعنى بميلاد السجن في المجتمع والثقافة المغربيين.
- ✓ غياب دراسات ذات منحنى تاريخي تعنى بتأثير السجن في الأفراد والجماعات.
- ✓ الوقوف عند الفكر التأديبي السائد في هذه المرحلة من تاريخ المغرب.
- ✓ رسم صورة أقرب إلى الواقع عن طبيعة الدولة المغربية وعلاقتها برعاياها.
- ✓ الوقوف عند بعض التقاليد ذات العلاقة بالسجن والعقوبات التأديبية، التي لا تزال سائدة في العالم العربي الإسلامي في الوقت الراهن، والتي ترجع جذورها إلى العصر الوسيط

(إصدار عفو شامل أو محدود على السجناء في إحدى المناسبات الدينية أو السياسية،
وتقليد إسقاط العقوبة الحبسية مع إبقاء الغرامة).

- السياق العام للموضوع:

تقتضي الكتابة التاريخية بالمغرب ضرورة تجديد وإعادة كتابة تاريخه من منظورات جديدة، تتجاوز إشكالية الرد على الكتابات الأجنبية، وهكذا فإن حقولا تاريخية مغربية لاتزال بكرا، وخاصة منها ميادين الاقتصاد والمجتمع والعقليات. ولعل من بين المواضيع التي تحتاج إلى معول البحث التاريخي، تلك التي لها صلة بالمؤسسات المنظمة للمجتمع المغربي خلال الفترة الوسيطية، وخاصة بعض المؤسسات ذات الطبيعة التأديبية والزجرية التي أطرت الفكر التأديبي خلال هذه المرحلة، وهي المؤسسات الكفيلة بإتاحة فرصة للوقوف على طبيعة السلطة وطريقة تعاملها مع رعاياها.

يقود الحديث في هذا الموضوع إلى الوقوف -على سبيل الإستئناس- عند آراء ميشيل فوكو⁽¹⁾، التي تؤكد على أنه لا يجب الاكتفاء بالنظر إلى هذه المؤسسات (السجن أنموذجا) مجرد آليات للقمع، وإنما علينا أن نوسع أفق تحليلنا فنعالجها كوظيفة اجتماعية، فالسجن حسب فوكو قبل أن يكون عقوبة هو مؤسسة تهدف إلى تقويم سلوك المسجونين وإبقائهم ضمن دائرة الرؤية التي لا تغر فيهما، وإحاطتهم بجهاز كامل من الرقابة والتسجيل والترقيم، وتراكم معرفة عنهم، مما يحولهم إلى مفيدين وطيعيين.

بالرجوع إلى الفترة الوسيطية من تاريخ المغرب، فإننا نجد حضور مؤسسة السجن في التخطيط العمراني لكل الدول التي تعاقبت على حكمه، وخاصة في مدن كفاس ومراكش. إن المقاربة الأمنية كانت حاضرة بشكل قوي في ذهنية السلطة، التي سعت إلى حماية نفسها من عصابات المتمردين والمشردين وقطاع الطرق، عن طريق إحاطة نفسها بأسوار عالية ووضع

¹ - ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة (ولادة السجن)، ترجمة علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص

حراس على أبوابها، كما عملت في الآن نفسه على حماية نفسها من "الشاذين"⁽¹⁾ من أبنائها عن طريق بناء معازل وسجون، ولم تقتصر السجون على ضم الشاذين فقط وإنما ضمت ضمن بنيانها فئات خاصة كان لها حضور وازن داخل المجتمع، ولعل هذه الفئات هي من حركنا للخوض في هذا الموضوع، والأمثلة كثيرة على ذلك نوردها على سبيل المثال لا الحصر:

*العلماء:

- عبد الملك بن زهر الأندلسي : الذي سجن في مراكش بأمر من الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين⁽²⁾، وقد استفاد وهو في السجن من مشاهداته فأضاف إلى معارفه الجمة تجارب مما عاناه في عالم السجن.
- ابن خلدون: الذي سجن على يد السلطان أبي عنان سنة (758هـ/1356م)، بعد وشاية تتهمه بحيافة مؤامرة مع أحد أمراء بجاية⁽³⁾.
- ابن الخطيب: الذي لم يسلم بدوره من السجن حيث امتحن وقتل مخنوقا بسجن فاس في قصة مشهورة مأثورة.

¹ - المقصود بالشاذين الخارجين عن طاعة السلطة الحاكمة.

² - ابن زهر (أبو مروان ابن أبي العلاء)، التيسير في مداواة والتدبير، تحقيق ميشيل خوري، المنظمة العربية للتربية والعلوم، دمشق، 1983، ص 233. وينظر أيضا ابن عبد الملك، المراكشي (أبو عبد الله محمد)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، طبعة 1، 2012، السفر 5، المجلد الثالث، ص 14.

³ - ابن خلدون (عبد الرحمان)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص 69، ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمان بن محمد)، ابن خلدون ورسائله في القضاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دار الوطن، الرياض، 1417هـ، ص

* الأمراء:

• نقندي هنا فقط بقصة أمير إشبيلية المعتمد بن عباد الذي سجن في مدينة أغمات بأمر من يوسف بن تاشفين، وفي سجن أغمات ألف أجمل قصائده، وكان قد أظله عيد هناك فألف قصيدة مطلعها:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ❁ فساءك العيدُ في أغمات مأسورا⁽¹⁾

* رجال الصوفية :

من النماذج التي يمكن أن نسوقها في هذا الصدد المتصوف الشهير أبو الحسن علي بن حرزهم⁽²⁾، الذي تم سجنه في مدينة فاس، وأبو عبد الله محمد بن عمر الأصم، وأبو عبد الله الدقاق الذي سجن مع مجموعة من المريدين. ومن أبرز المتصوفة الذين امتحنوا بالسجن أيضا، **ابن برجان ومن أسباب ذلك أفكاره الصوفية وتأويلاته للنصوص القرآنية.**

عوضت المؤسسة السجنية نظام بعض العقوبات، كتقنية قطع الرأس التي سعى من خلالها بعض الحكام إلى إدخال الرهبة والخوف في نفوس بقية رعاياهم، حتى لا يفكروا في الاقتداء بالثوار المقتولين، من هنا غدت تقنية تعليق رؤوس الثوار على شرفات أسوار المدن وفي الساحات العمومية، من الأمور المألوفة خلال العصر المذكور. وبموازاة مع تقليد "الصبر" أو قطع الأعناق، عوض السجن تقاليد أخرى نذكر منها ذبح المعارضين والمنتزعين من الوريد إلى الوريد في مشاهد عامة تثير الخوف والتقرز، و تقنية الإحراق في مشهد علني مثل الذي كان يتعرض له السحرة والهرطقة بأوروبا الوسيطة. ويجدر التذكير في هذا الصدد بأن باب

¹ - ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن-الزرقاء، 1989، ج1، ص96. ينظر أيضا أدهم (علي)، المعتمد بن عباد، ط1، المؤسسة المصرية، مصر، د.ت، ص292.

² - ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص171.

المحروق بفاس حمل هذه التسمية بسبب إحراق الخليفة يوسف الموحي لأحد معارضيه في وسطه⁽¹⁾.

وجهت مؤسسة السجن اهتمام السلطة الحاكمة نحو إنتاج أجساد طيعة، عوض تفكيك أوصالها أو تقطيعها كما كان سائدا، فالهدف لم يعد التغلب على الجسد نهائيا عن طريق سحقه وإبادته، وإنما أصبح الهدف هو ترويضه وتدجينه ومراقبته.

- أهمية الموضوع:

يستمد هذا الموضوع أهميته من ندرة الكتابات التي تتحدث عن السجن بشكل خاص، فالنصوص المتوفرة تتحدث عن السجن بكثير من العمومية.

تمكنا في هذا البحث من إلقاء أضواء كاشفة على جوانب من هذه المؤسسة، كما تمكنا من توضيح مجموعة من النقاط الغامضة في تاريخ المؤسسة السجنية خلال العصر الوسيط، والوقوف عند بعض التقاليد ذات العلاقة بالسجن والعقوبات التأديبية، وإن مثل هذه المواضيع من شأنها الإسهام في إعادة كتابة تاريخ المغرب بنصيب.

لم نسع في البحث في تاريخ هذه المؤسسة إلى جرد العقوبات، فمثل هذا العمل كفانا فقهاء المرحلة وقضاتها مهمة القيام به، ذلك أن المطلع على المظان والمصادر المرتبطة بالفترة الوسيطة، يجد بها أنواعا لا حصر لها من العقوبات التي أقر أغلبها الشرع الإسلامي، وما نرومه هو ربط هذه العقوبات بالمؤسسة السجنية، وبطبيعة الفكر السياسي والاجتماعي السائد، وبالأنظمة السياسية الباحثة عن المشروعية بكل الوسائل، وضمنها وسائل العقاب والسجن والقتل والتغريب وفرض الإقامة الجبرية.

¹- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج 2، ص 219. وينظر أيضا ابن أبي زرع الفاسي (علي)، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972، ص 38.

إن تحليل الدلالات المضمرة في كل عقوبة سجنية سيساعد على رسم صورة بدون أقنعة للمجتمع المدورس، كما سيساعد على إبراز الوجه الحقيقي للسلطة، إذ العقاب لديها مسألة سياسية قبل أن يكون مسألة شرعية أو "قانونية"، فتداخل الشرعي والسياسي يعتبر سمة بارزة من سمات العصر الوسيط، ذلك أن الإساءة للشرع يعني ضمناً الإساءة للسلطة السياسية القائمة باعتبارها حارسة له، والعكس صحيح.

سيمكن هذا البحث، من الوقوف عند الآثار التي يخلفها السجن في نفسية السجناء، وتؤطر علاقته مع المجتمع ومع السلطة، كما سيتيح لنا إمكانية التعرف على الإنتاجات الإبداعية السجنية التي تعرف بأدب السجون، وخاصة الأدب الإستعطافي الموجه إلى الحاكم طلباً للعفو، كما أن بحثنا هذا يصبو إلى وضع معجم للمصطلحات المرتبطة بمؤسسة السجن من قبيل الحبس/السجن/الاعتقال/التعزيز...، ومن شأنه كذلك أن يضع تصنيفاً للسجون خلال هذه الفترة، مثل السجون الخاصة التي كانت تحتضن ضمن زواياها الأمراء والعلماء والقواد، وأخرى عامة تضم الشاذين والمتمردين من أبناء العامة.

- الإشكاليات المؤطرة لموضوع الأطروحة:

أطرت موضوع بحثنا هذا إشكالية عامة تفرعت عنها مجموعة من التساؤلات، يقتضي فهم موضوع البحث الإجابة عنها:

✓ الإشكالية العامة : وضعية السجون والسجناء في المغرب خلال الفترة الوسيطة.

✓ الأسئلة الفرعية:

- هل يمكن الحديث عن مؤسسة سجنية بالمغرب الوسيط؟
- ما الإطار التاريخي لتكون المؤسسة السجنية؟
- ما هو تاريخ ظهور أول سجن بالمغرب الوسيط؟
- ما طبيعة التخطيط العمراني للسجون في المغرب الوسيط؟

- ما طبيعة الوظائف التي مارستها السجون خلال الفترة الوسيطية بالمغرب؟
- ما نوع المخالفات التي كانت تؤدي بصاحبها إلى المؤسسة السجنية؟
- كيف كان يتم تغذية السجناء ومن كان يتكلف بتغذيتهم؟
- هل وجد سجن للنساء إلى جانب سجن الرجال؟
- هل كان السجناء يتزيون بزّي موحد؟
- ما الوضعية التي اتخذها السجناء داخل زنازينهم؟
- هل كان لهم حق الحركة داخل قاعات الحبس، أم أنهم كانوا مقيدين بسلاسل مثبتة في الجدران؟
- هل كانت تنظم لهم زيارات داخل السجن؟
- ما مصير السجناء بعد السجن؟

ولمعالجة هذه الإشكاليات ساءلنا المصادر الوسيطية لتفحص ما تقدمه لنا من مادة تخدم الموضوع المنوه به.

- منهج البحث:

تزاوج المنهج المتبع في البحث، بين السرد التاريخي للأحداث ونقدها وتحليلها ومقارنتها، وذلك بالاعتماد على ما جاء من معلومات مستقاة من المصادر والمراجع، وإن كانت هذه الطريقة تعد بديهية في الحقل التاريخي، إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنها، وخاصة في المواضيع ذات الصبغة الاجتماعية، بحيث أن الحديث عن فئات السجناء ووضعياتهم فرضت الاعتماد على الجانب السردي للأحداث المرتبطة بسوق الجاني إلى السجن، وسبب التهمة، ووضعيته داخل السجن، ومآله بعد السجن، لكن هذه العملية اكتتفتها مجموعة من الصعوبات من قبيل التباين في الروايات لدى بعض المصادر، مع ترجيح كفة الرواية الأقرب إلى الحدث، مع الإشارة إلى نقيضها إما في الهامش أو في متن الدراسة، وذلك عبر المقابلة بين الروايات اعتماد الأقرب إلى الرجحان.

ولم نكتف في هذا البحث بالمنهج السردى، وإنما تخللت عملية السرد التحليل والنقد لهذه الأحداث، لتبيان ما أمكن تبيانه من الحقائق والجوانب الخفية. وخلال مراحل البحث قمنا بالتأصيل لبعض القضايا عبر إعطاء أحكام عنها، متجدين من الأحكام المسبقة لتفادي الوقوع في الخطأ، ويكمن أسلوب المقارنة في هذا البحث في سوق نماذج من مجالات جغرافية أخرى وخاصة من الأندلس، لصعوبة الفصل بينهما خلال الحقبة الوسيطية، ولاعتمادهما على نظم سياسية واجتماعية متشابهة، وفي بعض الأحيان متطابقة، وخاصة مع دول مثل المرابطين والموحدين، وتضمن المقارنة كذلك بعض أحكام السجن بالمغرب خلال الفترة الوسيطية، وأحكام الشريعة الإسلامية، للخروج بخلاصات حول إذا ما كانت السلطة الحاكمة في الغرب الإسلامي، قد طبقت الشريعة الإسلامية في توظيفها للسجن كعقوبة تعزيرية، أو جعلته يحل محل عقوبات أخرى مسطرة شرعا.

حاولنا في بحثنا هذا الابتعاد ما أمكن عن الغوص في الجانب النظري، خاصة فيما يتعلق بجوانب مشروعية السجن وتطوره، حيث أفرزت تجربة الكتابة التاريخية قصورا وعجزا في العديد من المواضيع.

- الدراسات السابقة:

تنوعت المادة المصدرية التي اعتمدها في موضوع السجن والسجناء بالمغرب خلال العصر الوسيط، وأمدتنا جميع المصادر التي تمكنا من الاطلاع عليها بإشارات تهم الموضوع، وتوزعت بين إشارات سريعة عرضية، وأخرى مهمة وتمس موضوع الأطروحة في العمق.

ونظرا لأهمية المادة المصدرية اعتمدها في قراءتها، قراءة متأنية لاستخراج ما تفصح عنه من معلومات وتفاصيل، ساهمت في بناء صورة واضحة ومتكاملة عن موضوع البحث. إن كثرة هذه المصادر والمراجع جعل من الصعب تقويمها تقويما شاملا، نتيجة لذلك سنحاول العرض لبعض النماذج.

توزعت المصادر المعتمدة بين المصادر التاريخية والجغرافية والفقهية والأدبية وغيرها، ويأتي على رأسها مؤلفات تناولت موضوع السجن والسجناء بصورة مباشرة:

* "السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط" للأستاذ مصطفى نشاط⁽¹⁾، الذي اعتمد في دراسته على منهج يقوم على التوثيق وجمع شتات الإشارات التاريخية المتناثرة، وإجراء التقاطعات بينهما. ويعترف الباحث نشاط في ثنايا دراسته بمدى صعوبة الموضوع، ولا يفتأ يشير إلى ندرة المادة وقلتها بحيث لا تخلو ورقة من أوراق الدراسة من عبارات من قبيل "لاتسعنا المادة المصدرية".

* "السجن بالغرب الإسلامي الوسيط" للباحث نجم الدين هنتاتي⁽²⁾، وهي دراسة اهتمت بوضع مقارنة بين السجن عند المالكية والإباضية، والاختلاف بين حضور مؤسسة السجن في الغرب الإسلامي وفرنسا في النظام القديم، وركزت على مجال جغرافي وهو إفريقية، واعتمد الباحث في دراسته هاته على منهج المقارنة بين المذاهب الإسلامية في الموضوع.

* "النفي والعنف في بلاد الغرب الإسلامي" للأستاذ حميد الحداد⁽³⁾، تخص هذه الدراسة مجالات العنف في بلاد الغرب الإسلامي، ومن مظاهره عقوبة السجن، إلا أن الباحث في معرض حديثه عن السجن تطرق فقط إلى الحالات التي ذكرها ابن بشكوال في كتاب الصلة، واكتفى بحالات من السجناء الأندلسيين.

* "مؤسسة السجون بالمغرب" لأحمد مفتاح البقالي⁽⁴⁾، وهي دراسة همت جوانب المؤسسة السجنية في الفترة المعاصرة والراهنة، مع لمحات عارضة عن نشأة هذه

¹ - مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012.

² - arabica, tome 54, N2, 2007, pp149-188.

³ - مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2013.

⁴ - ط2، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.

المؤسسة وتطورها، كما أشارت هذه الدراسة إلى جوانب همت المدارس والاتجاهات التي عنت بمؤسسة السجون.

* "نظام العقوبات والسجن بالغرب الوسيط مساهمة في دراسة العقل التأديبي المغربي خلال العصر الوسيط" للمرحوم الأستاذ الحسين بولقطيب⁽¹⁾، تحدث الباحث في هذا المقال عن نظام العقوبات في محور أول، وعن السجن في محور ثان، مؤكدا على صعوبة الخوض في هذا الموضوع لكون العديد من المؤرخين تحاشوا الكتابة فيه، طارحا نظرية وجود رقابة على المؤرخين وغيرهم، منعتهم من التأريخ لمؤسسة السجون في هذه الفترة.

لقد مكنتنا عملية البحث من الوقوف عند مجموعة من الدراسات ذات الصلة بموضوع السجن ومن أهمها:

* "السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية مقارنا بنظام السجن والتوقيف وموجباتها في المملكة العربية السعودية"، للباحث محمد بن عبد الله الجريوي⁽²⁾، وقد شمل هذا المؤلف المسائل التي نص عليها الفقهاء كموجبات للسجن والتوقيف في الشريعة الإسلامية، مع إعطاء مقارنة بين المذاهب الأربعة في هذا الصدد.

* "فقه السجن والسجناء" للباحث سعيد بن مسفر الوداعي⁽³⁾، وقد أشار في دراسته هذه إلى أحكام السجن والسجناء، من حيث مشروعية السجن في الإسلام، وضعيته، ومدته، وكيفية معاملة السجين خلال مراحل العقوبة، وأشار بعدها إلى سبل إصلاح السجناء من رؤية شرعية.

¹ - مجلة فكر ونقد، عدد 23، 1999.

² - منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1990.

³ - ط 1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2004.

* "سجناء وأسرى" لصاحبه خالد محمد القاضي⁽¹⁾، عرض في مؤلفه هذا إلى حقوق السجناء في المواثيق الدولية، وأشار إلى بعض الزعماء والأئمة والمصلحين الذين عانوا من السجن.

* "المشاهير والسجون" وهي عبارة عن مقالات قديمة اعتنى بنشرها سليمان بن صالح الخراشي⁽²⁾، تضم حكايات وأشعار بعض المشاهير من الأدباء والشعراء، نظمت وألفت داخل السجن.

* "أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام" للباحث حسن أبو غدة⁽³⁾، وهي دراسة فقهية عرض فيها الباحث إلى أحكام الشريعة الإسلامية في السجن.

* "موقف الشريعة الإسلامية من عقوبة السجن" لأحمد بن عبد العزيز بن محمد اللهيبي⁽⁴⁾، وهي دراسة فقهية عن مشروعية السجن في الإسلام.

* "الحبس والسجن في صدر الإسلام دراسة تاريخية"، مقالة لعثمان اسماعيل الطل⁽⁵⁾، وهي دراسة تناولت الحبس في عصر النبي ﷺ، وفي كل من العصرين الراشدي والأموي، ركزت على الأسباب الموجبة للسجن والحبس، وكذلك طرائق الإفراج عن السجناء.

تطول لائحة المؤلفات والدراسات التي عنت بموضوع السجن، إلا أنها تناولت هذه المؤسسة من منظور نظري فقهي، مشيرة إلى موقف الشريعة الإسلامية من السجن عقوبة لا يجب أن تعوض العقوبات التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

¹- دار الطلائع، القاهرة، 2006.

²- مجلة الهلال، ط 1، دار ابن الأثير، الرياض، 2003.

³- مكتبة المنار، الكويت، ط 1، 1987.

⁴- ضمن أعمال الندوة العلمية: السجن مزاياها وعيوبها، المركز العربي للدراسات والتدريب، الرياض، 1984.

⁵- مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة القدس، القدس، العدد 23، يونيو

2016.

ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى مجموعة من الندوات التي عقدت تخص موضوع السجن، كان أهمها ندوة "السجون مزاياها وعيوبها من وجهة نظر إصلاحية"⁽¹⁾، وهي ندوة عقدها المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ضمن ثلاثة بحوث، قدم لها فارق عبد الرحمان مراد رئيس المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ناقشت البحوث موضوع تطور السجن ووظيفته، وبيئة السجن وموقف الشريعة الإسلامية من عقوبة السجن.

- نقد لأهم المصادر:

❖ كتب التاريخ:

تعددت وتتنوع المصادر التاريخية، وأمدتنا بمعطيات ومعلومات أفادت موضوع البحث، على الرغم من كونها إشارات عرضية تتسم بنوع من العمومية، وسنعرض لنماذج من هذه المصادر مع تبيان أهميتها:

* "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لابن عذاري المراكشي⁽²⁾ (القرن 7-8 هـ / 13-14م)، الذي يعتبر من أوسع المصادر التاريخية خلال عصر المرابطين والموحدين، وقد غطت معلومات البيان معظم محاور البحث، وتنوعت بين تفاصيل دقيقة تهم السجن والسجناء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، غير أنه لا بد من الإشارة أن دراستنا استفادت من البيان بشكل أكثر في جزئه المتعلق بقسم الموحدين، الذي يتحدث فيه عن تاريخ هذه الدولة بالتفصيل، وهذا ما ساعدنا على استيقاظ معلومات وافرة عن مختلف المناحي التي تخدم البحث.

¹- أعمال الندوة العلمية الأولى، ط 2، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1984.

²- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، الأجزاء 1-2-3، ج 4، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

* "المقتبس في أخبار بلد الأندلس" لابن حيان القرطبي⁽¹⁾ (المتوفى سنة 469هـ/1072م)، وتكمن أهمية هذا المؤلف في كون صاحبه عاصر فترة ملوك الطوائف التي عرفت صراعات وفوضى كبيرة، وهو ما يخدم البحث زمنيا وموضوعيا، وقد أمدنا هذا المصدر بمعلومات عن حالات من السجناء وظفناها على سبيل المقارنة مع حالات المجال المغربي، نظرا للامتداد المجالي للغرب الإسلامي والتشابه بين الضفتين في هذه المرحلة.

* "أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين" لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق⁽²⁾، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد جاء الكتاب ليروي قصة المهدي بن تومرت، حيث كان المؤلف أحد المرافقين للمهدي وأحد تلاميذته، كما رافق عبد المومن بن علي، وأشار في الكتاب إلى حروب الموحدين مع المرابطين، وكان من أشد المخلصين للدعوة الموحدية. ويتميز البيذق بكونه شاهد عيان في الكثير من الأحيان، مما جعله يعرض للعديد من الحالات التي استعمل فيها الموحدون السجن في تعاملهم مع معارضتهم .

* "المن بالإمامة" لابن صاحب الصلاة⁽³⁾ (حي سنة 594هـ / 1198م)، إن المتصفح لهذا الكتاب يلمس نواح مهمة في تاريخ الدولة الموحية، ومما زاد من أهميته أن صاحبه عاصر الأحداث. وكتاب المن بالإمامة عبارة عن ثلاثة أسفار وصلنا منها السفر الثاني فقط الذي بدأ بأحداث 554هـ، وينتهي بحوادث 658هـ، وهي فترة قصيرة من الناحية الزمنية غير أنها حافلة بالأحداث الهامة.

* "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد المراكشي⁽⁴⁾ (ت سنة 667هـ/1269م) وهو كتاب تاريخ وسياسة وقد وصف المراكشي الأحداث وصف شاهد عيان،

¹- تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.

²- دار المنصور، الرباط، 1971.

³- تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

⁴- ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

ويعتبر مصدرا أصيلا من مصادر الدولة الموحدية، إذ لا يمكن الاستغناء عنه على الرغم من كون تدوينه تم في المشرق، غير أن ما يميزه بالنسبة لموضوع البحث أنه عرض لحالات من سجن رجال الدولة وخاصة الوزراء والقضاة والأمراء.

* "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون⁽¹⁾ (ت سنة 808هـ/1406م)، وهو كتاب مهم باعتبار أن صاحبه كان مقربا من السلطة، وقد أمدنا الجزء السابع بمعلومات هامة حول حالات السجن خلال العصر المريني.

* "الكامل في التاريخ" لابن الأثير⁽²⁾، ويعتبر من الكتب المشرقية التي أفادتنا بمعلومات عن أخبار الموحدين، على الرغم من كون صاحبه (ت سنة 630هـ/1230م) تعرض لأخبار المغرب بشكل يسير.

* "رسائل ديوانية موحدية" لأحمد عزاوي⁽³⁾، يعتبر مصدرا لتاريخ الدولة الموحدية، نشرت هذه الدراسة في طبعتها الأولى سنة 1995م، وقام الباحث أحمد عزاوي بتصنيف هذه الرسائل ووضع فهرس لها، وهي مستمدة من مجموع رسائل "ابن عميرة" ومجموع رسائل "العطاء الجزيل" لأحمد البلوي وغيرها، وقد أمدتنا بمعلومات عن طرائق تعامل السلطة مع السجناء.

* "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع الفاسي⁽⁴⁾ (حي سنة 726هـ/1326م)، يسرد فيه أخبار المغرب منذ الأدارسة إلى أيامه، وعرض فيه لأخبار حكام كل دولة، إلا أن أخبار صاحب القرطاس تختلف في كثير من الأحيان عن الأخبار الواردة في بعض المصادر الأخرى.

¹ - ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.

² - ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

³ - ط1، نيت المغرب، الرباط، 2006.

⁴ - دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

❖ كتب الجغرافيا والرحلات:

زودتنا كتب الجغرافيا بمعلومات لا غنى عنها وخاصة في وصف بعض الأماكن التي توفرت على سجون، ومنها:

* "الروض المعطار في خبر الأقطار" لمحمد بن عبد المنعم الحميري⁽¹⁾ (727هـ/1327م)، وهو معجم جغرافي تاريخي قدم في بعض الأحيان إشارات همت موضوع السجن، ففي معرض حديثه عن مدينة غدامس أشار إلى الدواميس والكهوف التي استعملتها الكاهنة دهيا كسجون.

* "معجم البلدان" لياقوت الحموي⁽²⁾ (ت سنة 626هـ/1228م)، الذي تحدث عن البقاع والأماكن وأسماء المدن وعرف أرضها وطقسها ونباتها، وقد مكنا هذا الكتاب من ضبط أسماء بعض المدن التي احتوت على سجون.

* "وصف إفريقيا" للحسن الوزان⁽³⁾ (957هـ/1550م) الذي قدم معلومات مهمة عن سجن فاس وشكله العمراني كما قدم معطيات عن مراحل سوق الجاني إلى السجن، وعلى الرغم من كون معلومات الوزان تتعلق بالمغرب الوطاسي إلا أنه يمكن اعتبارها امتدادا للعصر المريني.

❖ كتب السير والتراجم والمناقب:

استقى موضوع البحث معلومات وفيرة من كتب السير والتراجم والمناقب، وخاصة فيما يتعلق بنماذج من السجناء، حيث قدمت إفادة كبيرة للموضوع تتعلق بتصنيف السجناء ومن هذه الكتب:

¹ - تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

² - دار صادر، بيروت، 1993.

³ - ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

* "الصلة" لابن بشكوال⁽¹⁾ (ت سنة 578هـ / 1182م)، وإن كان هذا الكتاب قد اقتصر على الترجمة لأعلام أندلسيين، إلا أنه أغنى موضوع البحث، وخاصة بفضل مادته الغزيرة المترجمة لبعض كتاب الدولة الموحدية الذين نكل بهم واعتقلوا في السجن.

* "المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا" لأبي الحسن النباهي⁽²⁾ (حي سنة 702 هـ / 1302م)، حيث قدم ترجمة لبعض السجناء من القضاة، وإن كان الكتاب ضم تراجم لقضاة الأندلس فقط، إلا أنه أفاد البحث بخصوص طرائق تعامل السلطة الحاكمة مع مثل هذه الفئات الاجتماعية.

* "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لأبي الحسن علي ابن بسام الشنتريني⁽³⁾ (ت سنة 542هـ / 1147م)، وهو موسوعة كبيرة ضمت تراجم فقهاء وعلماء وقضاة مغاربة وأندلسيين، وقدم ابن بسام إشارات واضحة عن ثقل القيد الذي كان يستعمل في يد وعنق المسجون ومن نماذج ذلك، القيد الذي وضع في يد الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس بن أبي زكرياء الأنصاري وعانى من ثقله.

كما استخلصت الدراسة مادة مهمة من كتب المناقب ومنها على سبيل المثال:

* "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي" لابن الزيات التادلي⁽⁴⁾، الذي استقيننا منه معلومات تخص من امتحن بالسجن من المتصوفة.

* "دعامة اليقين في زعامة المتقين: مناقب الشيخ أبي يعزى" لأبي العباس العزفي⁽⁵⁾ (557هـ / 633م)، وهو الكتاب الذي زدنا بمعلومات عن سجن أبي يعزى وبعض المتصوفة الآخرين وأمدنا بطبيعة العلاقات القائمة بين بعض السجناء.

¹ - تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1998.

² - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.

³ - تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997.

⁴ - م.س.

⁵ - تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكاتب، الرباط، د.ت.

❖ كتب الأدب:

استعنا بكتب الأدب، لتقصي أهم الإنتاجات الأدبية التي أبدعها الشعراء المساجين ، التي تدخل ضمن خانة أدب السجون ومنها:

* "المطرب من أشعار أهل المغرب" لابن دحية⁽¹⁾ (ت سنة 633هـ/1235م)، وهو الكتاب الذي ضم أشعار مجموعة من الشعراء التي نظمت داخل السجن.

* "الحلة السيرة" لأبي عبد الله محمد ابن الأبار⁽²⁾ (ت سنة 658هـ/1260م)، تناول تراجم الأمراء والشعراء والكتاب والعلماء وأصحاب الجاه في المغرب والأندلس، من بداية القرن الأول الهجري إلى غاية منتصف القرن السابع، وقد ضم أشعار مجموعة من الشخصيات التي عانت من السجن وترجم لهم.

❖ كتب النوازل الفقهية:

أسعفتنا كتب النوازل بمعلومات كثيرة عن القضايا التي كان يستوجب فيها الحكم بالسجن ومدد العقوبة، حيث تزخر كتب النوازل بحالات قضت بإيداع أصحاب جرائم الدم والقتل في السجن، مجانية في ذلك ما ذهبت إليه الكتب الإخبارية التي اهتمت **بسجناء الفعل السياسي** (سجناء الخاصة)، إلا أن صعوبات توظيف كتب النوازل تكمن في غياب عنصري الزمن والمكان في بعضها، وغلبة الطابع الافتراضي عليها وهو ما يجعل الباحث يحتاط في التعامل معها، إلا أن موضوع الدراسة لا يستقيم فيه هذا الأمر كون الجرائم والجنح التي كانت تؤدي إلى السجن متشابهة في كثير من الأحيان ووقع الاتفاق عليها، ومن أهم هذه الكتب:

¹ - تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت.

² - تحقيق حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985.

* "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي⁽¹⁾ (ت سنة 914 هـ/1508م)، وتكمن أهمية هذا المؤلف على الرغم من كونه متأخرا عن الفترة قيد الدراسة، في كون صاحبه جمع مادته من مصادر كثيرة، أصبح بعضها مفقودا.

إضافة على كل هذه المصادر اعتمدنا في بحثنا هذا عددا من الأعمال الحديثة التي تفاوتت قيمتها وأهميتها، منها ما رافقتنا طيلة فترة البحث، ومنها ما أشرنا إليه وأحلنا عليه في مناسبة واحدة أو مناسبتين فقط، وقد أشرنا لنماذج منها ضمن الدراسات السابقة.

- دلالات معجمية:

اخترنا "السجن" مصطلحا في عنوان بحثنا وأعرضنا عن مصطلحات أخرى مثل الحبس والأسر، إلا أن ذلك لم يمنعنا من عرض كل المصطلحات المرادفة لكلمة "السجن" مثل الحبس والأسر والاعتقال والقصر والأزل والصفق، نظرا لتقارب دلالاتها في كثير من الأحيان.

* السجن:

وردت الإشارة إلى كلمة السجن في القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَصَدِّجِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾⁽²⁾. وقوله تعالى أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾⁽³⁾.

¹ - تخريج مجموعة من الفقهاء تحت إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

² -سورة يوسف، الآية 39.

³ -سورة يوسف، الآية 33.

ومعنى السجن بفتح السين هو الحبس، سجنه يسجنه سجننا أي حبسه⁽¹⁾. والسجن بكسر السين هو المحبس⁽²⁾. ويتضح أن المصطلحين متقاربين جدا، حيث أن الإشارات على موطن اختلافهما نادرة، فنجد أن كلمة سجن تفرق بالضرب الشديد "يثبت المضروب محله ويحبسه"⁽³⁾. ومعنى السجن أيضا سجن الهم بمعنى لم ينشره ولم يظهره، وسجن اللسان انطلاقا من الحديث النبوي [مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ]⁽⁴⁾. وسجين واد في جهنم، والسجن هو اعتقال الشخص في مكان ضيق⁽⁵⁾، فتمنع حرّيته بقصد تعويقه ومنعه من التصرف، وقد وقفنا على بعض الأبيات الشعرية التي تؤكد أن السجن مكان ضيق يفتقر إلى منافذ يدخل منها الهواء النقي، ناهيك عن إحساس كل المسجونين بالظلم ومن بين هذه الأبيات:

كانت تضيق بي الدنيا بغيبتكم ❀ فكيف سجن ومن عاداته الضيق

قيد أكابده وسجن ضيق ❀ يا رب شاب من الهموم المفرق⁽⁶⁾.

وأیضا:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ❀ نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا⁽¹⁾.

¹-الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغرياني، مراجعة مصطفى حجابي، سلسلة التراث العربي، مطبعة الحكومة، الكويت، 2001، ج35، ص169.

²-الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب مجد الدين)، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مكتب تحقيق التراث، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص1204.

³- الزبيدي، م.س، ج35، ص169.

⁴-الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر جار الله)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1، ص440.

⁵-عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، الكويت، 1980، مج 11، عدد 1، ص 125.

⁶-ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948، ج 3، ص 503.

وأیضا :

ما یدخل السجن إنسان فتسألہ ❁ ما بال سجنك ؟ إلا قال مظلوم⁽²⁾.

وهذه الأبيات تؤكد أن السجن مكان يفقد فيه الإنسان حریته، ویصبح عرضة للاحتقار والتتكيل

* الحبس:

من حبس یحبس حبسا، أي منعه أمسكه وأخره ضد خلاه⁽³⁾. والمحبس هو السجن⁽⁴⁾، فالحبس إذن هو المنع والإمساك وضده التخلية والإطلاق. ویبدو أن الحبس یختلف في طبيعته عن السجن. فإذا كان السجن یرتبط بالضرب والشدة والصلابة والتقييد والتتكيل والضيق، فإن الحبس أقل وطأة من ذلك، ففي معناه الشرعي تعويق الشخص ومنعه من التصرف سواء أكان في بلد أو مسجد أو بيت، وليس في مكان ضيق كالسجن⁽⁵⁾. وهو بذلك یكون أقرب إلى ما یعرف بالإقامة الجبرية.

* الأسر:

أسر یأسر، أسرا وإسارا، فهو أسر، أسر جنديا قبض علیه وأخذه أسيرا في الحرب، والأسر هو القيد الذي یشد به الأسير فیمنع من الحركة ویحد حریته⁽⁶⁾. وعموما فمصطلح

¹-الحموي (ياقوت)، معجم الأدياء، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ج 9، ص 69.

²-ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963، ج 1، ص 78.

³- الجوهري (إسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج 5، ص 915.

⁴-الزبيدي، م.س، ج15، تحقيق التريزي وحجازي والطحاوي والغرباوي، 1985، ص520.

⁵-جمال الدين محمد محمود، السجن بين الأمس واليوم، مجلة العربي، عدد 200، ص 118.

⁶- الزبيدي، م.س، ج10، تحقيق إبراهيم التريزي، 1972، ص48.

الأسر هو أحد مرادفات السجن، وهو الحبس والإمساك ..، فسمي كل أخيد وإن لم يؤسر أسيرا⁽¹⁾، والأسير هو الأخيد والمقيد والمسجون⁽²⁾، وفي الاصطلاح الفقهي الأسير هو كل من سقط في يد المسلمين، وكان محاربا للإسلام⁽³⁾.

ويتضح أن معنى الأسر تغير مع مرور الزمن، ففي الأول حين لم تكن تتوفر بنايات خاصة بسجن المدنيين، كان يستعمل الأسر الذي هو القيد لتعويق حركة الأسير، ومنعه من الهرب فيتم تقييده، ومع ظهور المؤسسات السجنية أصبح مصطلح الأسر مرادفا للسجن والحبس، فالأسير هو كل أخيد وإن لم يشد بالقيد⁽⁴⁾.

وهناك أبيات شعرية تستحضر مصطلح الأسر بالمعنيين اللذين عرضنا لهما، الأول بمعنى القيد مثل:

ومن عجب الأيام أنك حاكم ❀ علي وأني في الوثاق أسير

كأن لم تر قلبي أسيرا مكبلا ❀ ولا رجلا يرمى به الرجوان⁽⁵⁾.

وأیضا :

كفى حزنا في الصدر أن عوائي ❀ حجبنا وأنا في الحديد أسير⁽⁶⁾.

والثاني بمعنى السجن والحبس مثل:

وأبيت مأسورا وفرحة ذكركم ❀ عندي تعادل فرحة الإطلاق⁽¹⁾

¹ - ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، ج1، ص107.

² - الفيروز آبادي، م.س، ص343.

³ - البلاجي (محمد)، شعر الأسرى في العصر العباسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه مرقونة، 1990-1991، ج 1، ص 22.

⁴ - الزبيدي، م.س، ج10، ص48.

⁵ - البلاجي، م.س، ج 1، صص 20-21.

⁶ - فوال بابي (عزيز)، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ط 1، دار صادر لبنان، 1988، ص 347.

وأيضاً :

فأقسم لو تكونون الأسارى ❁ وكنت أنا المخلّى والطلقا

إذن لجهدت فوق الجهد حتى ❁ أطيق خلاصكم أولاً أطيقاً⁽²⁾.

وقد ورد الإطلاق بمعنى الحياة خارج السجن، وإن كان قد ورد لدى ابن منظور بمعنى الحبس، دون قيد أو كبل "وحبسوه في السجن طلقاً أي بغير قيد ولا كبل"⁽³⁾.

* الاعتقال:

اعتقل يعتقل اعتقالاً فهو معتقل، اعتقله القائد: حبسه، سجنه، اعتقلوه من داره، اعتقله عن حاجته حبسه ومنعه عنها اعتقل لسانه حبس عن الكلام عقل الدواء بطنه أي أمسكها⁽⁴⁾.

مما يوضح أن المعنى اللغوي للاعتقال هو التقييد بالعقال (الحبل)، أما اصطلاحاً فالاعتقال مرادف للسجن والحبس، الذي يكون من غير صدور حكم⁽⁵⁾. بمعنى حبس مؤقت إلى غاية إثبات الذنب أو الجرم المقترف، وهو ما يؤكد نص للاستئناس لكونه يخص الجهة الشرقية من العالم الإسلامي، إلا أنه يؤكد ما ذهبنا إليه من حيث أن الاعتقال هو حبس مؤقت أو احتياطي، فقد ورد فيه "وحدثني موسى بن مصلح قال: أنفذ إلي حسن بن مهاجر -كاتب أحمد بن طولون- عشرة رجال من التجار وقال: اعتقلهم بمعزل عن المسجونين، حتى أعرضهم في غد على الأمير... وظلوا ليلتهم يتحدثون ويتناشدون ... حتى أصبحوا

¹-ابن خلكان، م.س، ج 4، ص 431.

²-ابن هاني (الحسن)، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ط1، دار الكتاب العربي بيروت، 2003، ص 449.

³-ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة 3، 1414 هـ، ج 10، ص 226.

⁴-نفسه، ج 11، ص 458.

⁵-نفس المصدر والصفحة.

وأخرجهم حسن بن مهاجر فعرضهم على أحمد بن طولون فتبين تحامله عليهم فأمره بترك التعرض لهم فانصرفوا⁽¹⁾. وهو ما يدل على أن الأشخاص الذين تم اعتقالهم تم عزلهم عن المسجونين، كما أنهم باتوا ليلتهم وعرضوا في الصباح للنظر في أمرهم، ثم تخليتهم بعد ذلك، كل هذا يجعلنا نفهم أن الاعتقال هو حبس احتياطي، إلى حين اتخاذ القرار في المعتقل، إما بإقرار تهمته فيصبح سجيناً أو بتبرئته فيطلق سراحه.

* الأزل:

أزله يأزله أزلاً حبسه⁽²⁾، وأيضاً أزلت الإبل حبست في المرعى⁽³⁾، أزلت الفرس أزلاً قصرت حبلها ثم أرسلتها في المرعى⁽⁴⁾، والأزل أيضاً يقصد به الشدة وضيق العيش والبلوى⁽⁵⁾.

وهناك العديد من الأبيات الشعرية التي تؤكد ارتباط مصطلح أزل بالسجن وما يلقاه السجين من أصناف التضيق والتكيل منها:

سجن يلقى أهله من خوف ❀ أزلًا ويمنع منهم الزوار

يغشون مقطرة كان عمودها ❀ عنق يعرق لحمها الجزار⁽⁶⁾.

¹-ابن الداية (أحمد بن يوسف)، كتاب المكافأة وحسن العقبي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1940، ط1، صص 57-58.

²- ابن منظور، م.س، ج11، صص13-14.

³-ابن فارس، م.س، ج1، ص96.

⁴- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409 هـ، ج1، ص1064.

⁵- ابن منظور، م.س، ج11، صص13-14. ابن فارس، م.س، ج1، ص96. الفراهيدي، م.س، ج1، ص1064.

⁶- البلاجي، م.س، ج1، ص26.

* الإصفاق:

صفقه يصفقه صفقا، والصفق هو الضرب الذي يسمع له صوت⁽¹⁾، وصفق ماشيته صفقا بمعنى صرفها وكذلك صفقهم عن كذا إذا صرفهم⁽²⁾، وصفق رأسه صفقا ضربه، وصفقه بالسيف إذا ضربه، اصطفق البحر تلاطمت أمواجه، واصطفقت الأشجار اضطربت وتحركت، اصطفقت الأيدي ضربت راحة كل منها على الأخرى، وانصفق القوم أقبلوا وأطبَقوا⁽³⁾، ويقال أيضا صفقهم من بلد إلى بلد أخرجهم قهرا وذلا⁽⁴⁾، وكلها معاني تدل على الضرب أو النفي أو التغريب.

* القصر:

هو الحصر والحبس، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحَيَامِ﴾⁽⁵⁾، أي محبوسات، محبوسات، واصطلاحا هو تخصيص شيء بشيء، والشيء الأول هو المقصور والثاني هو المقصور عليه، فعندما تقصر موصوفا على صفة كأنك تقف به على هذه الصفة فلا يتعداه لأخرى، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾⁽⁶⁾، أي يحبسن أنظارهن على أزواجهن. ومن دلالة لفظ القصر على الحبس "... وأنا في الجملة بقيت إحدى عشرة سنة مقصورا"⁽⁷⁾.

¹ - الزبيدي، م.س، ج26، تحقيق عبد الكريم الغرابوي، مراجعة مصطفى حجابي، سلسلة التراث العربي، مطبعة الحكومة، الكويت، 1990، ص26.

² - نفس المصدر والصفحة.

³ - ابن منظور، م.س، ج10، صص 201-202.

⁴ - نفس المصدر والصفحة.

⁵ -سورة الرحمان، الآية 71.

⁶ -سورة ص، الآية 51.

⁷ -الحموي، معجم الأدباء، م.س، ج 1، ص 451.

* الديماس:

هو السرداب المظلم، الجمع دياميس ودماميس، وضع سيارته في الديماس أي في بناء أرضي تحت العمارة لا يدخله الضوء، والديماس هو كل مكان عميق تحت الأرض، وهو حفرة تحت الأرض⁽¹⁾. والتدميس إخفاء الشيء تحت الشيء، ودمسه يدمسه دمساً دفنه وغطاه وأخفاه⁽²⁾.

ويتضح من كل هذه المعاني السابقة أن الديماس هو سجن تحت الأرض لا يدخله الضوء، وقد كانت بعض السجون تسمى ديماساً مثل سجن الحجاج بن يوسف، الذي اشتهر بكونه سجناً مفتوحاً، لا يقي مقيميه واق من حر الشمس أو المطر، ولا يحفظهم شيء من البرد⁽³⁾.

* المخيس:

خاس الشيء يخيس خيساً، تغير وفسد وأنتن، وخاست الخيفة أي أروحت، وخاس الطعام والبيع خيساً أي كسد حتى فسد، وخيس الرجل والدابة تخيساً أي ذلها، وخاس هو ذل، والمخيس هو السجن الذي يخيس المسجونين أي يذلهم⁽⁴⁾. وقد كانت السجون تسمى مخيساً مثل السجن الذي كان بالكوفة.

ويتضح من المعاني السالفة، أن المخيس هو السجن الذي يتعرض فيه المسجون لمختلف أصناف الامتهان والذل، ويفهم أيضاً من هذه المعاني أن المسجون يبقى في

¹ - ابن منظور، م.س، ج6، صص87-88.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

³ - الصمد، (واضح)، السجون و أثرها في الأدب من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص 59.

⁴ - ابن منظور، م.س، ج6، ص75.

المخيس حتى يفسده طول المكث فيه وهو ما يتنافى مع كون السجن مؤسسة عقابية الغاية منه الإصلاح والتهديب.

* الجعجاع:

الجعجاع هو الحبس أين كان⁽¹⁾، وهو المحبس والجعجعة هي الحبس⁽²⁾، والجعجاع هو الموضع الضيق الخشن، وهو الحبس والقيود على غير طمأنينة، ويتضح من هذه المعاني أن نزول الجعجاع يعاني من التضيق والإزعاج وغيرهما وهو ما يعانيه السجين في غالب الأحيان، وهناك بيت شعري يؤكد أن الجعجاع هو الحبس مثل:

من يذق الحرب يجد طعامها ❁ مرا وتحبسه بجعجاع⁽³⁾.

* العناء:

عنا يعنو عناء، عنا للحق خضع له وذل، وعنا عليه الأمر أي شق وصعب، وعنا الجندي أي صار أسيراً⁽⁴⁾، وقال الله تعالى: ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾⁽⁵⁾، بمعنى نصبت له وعملت له، وفي معنى العربية أن تقول للرجل عنوت لك أي خضعت لك وأطعتك، وقيل كل خاضع لحق أو غيره. والاسم من كل ذلك العنوة، والعنوة هي القهر⁽⁶⁾.

¹ - ابن الشجري (أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي الحسني)، ما اتفق لفظه واختلف معناه تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 68.

² - ابن منظور، م.س، ج8، صص 50-51.

³ - عويد (عبد علي)، الدعوة إلى السلام من الشعر الجاهلي دراسة في الموضوعات والخصائص، ط 1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2017، ص 87.

⁴ - ابن منظور، م.س، ج15، ص26.

⁵ - سورة طه، الآية 108.

⁶ - الفراهيدي، م.س، ج1، ص516.

إضافة إلى معاني الذل والخضوع والطاعة التي نستخلصها من معنى العناء، هناك ما يؤكد أنه هو الحبس مع الشدة والذل، إذ وردت في حديث شريف [فَكُؤا العَانِي وَأَطْعَمُوا الجَائِعَ وَعُؤِدُوا المَرِيضَ] (1). كما وردت بمعنى الأسير إذ يقال عني فيهم فلان أسير أي أقام فيهم على إسهاره واحتبس (2). كما وردت بعض الأبيات الشعرية في السياق نفسه مثل.

ومن همم الفتيات تفريج كربة ❀ وإطلاق عان بات واللبؤس فادحة

ورب طليق أطلق الذل رقه ❀ ومعتقل عان وقد عز جانبه (3).

شكلت هذه المصطلحات أنفة الذكر مرادفات لكلمة السجن التي اعتمدها في عنوان هذه الدراسة، ورغم اختلافها البسيط من حيث الدلالة، أنها جميعا تؤكد على وجود مؤسسات عقابية (سجن - حبس - مخيس - ديماس - جعاع...)، تختلف عن بعضها وتختلف أيضا أساليب العقاب المعنوي والمادي الممارس داخلها.

- خطة البحث

للإجابة عن إشكاليات البحث، واعتمادا على تنوع المادة المصدرية، قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب رئيسة مع مقدمة وخاتمة.

جاء الباب الأول معنونا ب: "السجن وخصائص التطور"، وقسمناه إلى ثلاثة فصول:

❖ فصل أول تناولنا فيه "مشروعية السجن في الفقه الإسلامي وأنواعه"، وقدمنا هذا الفصل بمبحث عن السجن في القرآن الكريم، وألحقنا به مبحثا ثانيا عن السجن في السنة النبوية، ومبحثا ثالثا عن السجن في الفقه الإسلامي، تضمن عنصرين أنواع السجن من منظور فقهي واختلاف الفقهاء حول مشروعية السجن.

¹- البخاري، (محمد بن اسماعيل)، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2002، ص 618.

²- ابن منظور، م.س، ج15، ص 26.

³- البلاجي، م.س، ج1، ص 34.

❖ فصل ثانٍ معنون ب: "الإطار التاريخي للمؤسسة السجنية بالمغرب الوسيط"، وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث ركزنا خلالها على ظهور السجون وتطورها، وكذا على نشأتها في المغرب الوسيط، ثم تطرقنا إلى وظيفة السجون بالمجال المدروس.

❖ فصل ثالث: أشرنا فيه إلى "العقوبات البديلة لعقوبة السجن"، وقسمنا هذا الفصل إلى مبحثين، الأول يخص أنواع العقوبات التي كانت سائدة في المغرب الوسيط، والثاني خصصناه للمقاربة الفقهية لهذه العقوبات.

أما الباب الثاني فقد اخترنا له عنوان "مؤسسة السجون بالمغرب الوسيط"، وتضمن ثلاثة فصول:

❖ تطرق الفصل الرابع لجغرافيا السجون بالمغرب الوسيط، وقسمناه إلى مباحث حسب المدن التي كانت تتوفر على سجن أو أكثر كفاس ومراكش وأغمات وسجلماصة وسبتة .. .

❖ وعرض الفصل الخامس لوضعية السجون بالمغرب الوسيط وقسم إلى ثلاثة مباحث، مبحث أول عن التخطيط العمراني للسجون بالمجال المدروس، ومبحث ثانٍ عن تنظيم العمل داخل السجون، ومبحث ثالث قدمنا فيه لإحصائيات عن السجون.

❖ أما الفصل السادس من هذا الباب فتطرق للحديث عن نماذج من فئات السجناء، عرضنا فيه عبر أربعة مباحث إلى السجناء من العامة والخاصة، والعلماء والمتصوفة.

والباب الثالث موسوم ب: "الحياة داخل السجن ومصائر السجناء"، وقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول جاءت كالتالي:

❖ الفصل السابع موسوم ب: "وضعية السجناء في المغرب الوسيط"، وتضمن أربعة مباحث أشرنا فيها إلى أسباب الاعتقال وحيثياته وظروفه، وقدمنا فيه صورة عن الوضعيات التي يتخذها السجناء داخل زنازينهم، وعرجنا على العلاقة التي كانت

تربط السجناء فيما بينهم ومع السجنائين ومع المجتمع، ثم تطرقنا إلى بعض الإنتاجات الأدبية للسجناء أو ما يعرف بأدب السجون.

❖ الفصل الثامن معنون ب: "الخدمات المقدمة للسجناء"، وضم أربعة مباحث رئيسية مبحث أول خصصناه لمسألة إطعام السجناء، ومبحث ثان يخص إكساءهم ومبحث ثالث يخص تطبيبيهم، ومبحث رابع يتعلق بالخدمات التي كانت تقدم للسجناء.

❖ الفصل التاسع موسوم ب: "ما بعد السجن في المغرب الوسيط"، وحاولنا من خلال هذا الفصل التطرق لحالات الفرار من السجن، والحالات التي نالت العفو والتسريح، ثم أشرنا فيه إلى الاندماج النفسي والاجتماعي للسجين ما بعد حياة السجن.

- صعوبات البحث:

واجه البحث مجموعة من الصعوبات يمكن إجمالها فيما يلي:

✓ ندرة المادة المصدرية التي تهتم بموضوع السجن والسجناء بالمغرب خلال العصر الوسيط.

✓ توزع المعلومات بين مصادر عديدة ومتنوعة، ويبقى على الباحث مهمة تجميعها من مظانها المختلفة.

✓ ندرة الدراسات التي أفردت لموضوع السجن والسجناء بمغرب العصر الوسيط.

✓ تميز المعلومات التي تخص موضوع الدراسة على ندرتها بالعمومية، حيث لم نتمكن من الوقوف على معطيات دقيقة، إلا في حالات نادرة ومعدودة.

- شكر وعرهان:

أشكر الله على نعمه إذ يسر لي إتمام هذا العمل، فاللهم لك الحمد حمداً أبلغ به رضاك وأؤدي به شكرك وأستوجب به المزيد من فضلك، اللهم لك الحمد كما أنعمت علي نعماً بعد نعم.

كما أشكر من رعاني طالبا في سلك الماستر والدكتوراه، أستاذي الفاضل الدكتور عبد الإله بنمليح، الذي له الفضل بعد الله تعالى على البحث والباحث، منذ كان الموضوع عنوانا وفكرة إلى أن صار رسالة وبحثا، الذي لم يأل جهدا في توجيهي وإمدادي بما احتجت إليه من كتب من مكتبته العامرة، فكان نعم المعين والموجه فله مني الشكر كله والتقدير والعرفان. ولأن لكل نجاح شكر وتقدير فجزيل شكري وخالص امتناني أهديه لأستاذي المشرف السيد العميد، وفاء وتقديرا مني واعترافا بالجميل، جزاك الله عني كل خير أيها الكريم.

كما أتوجه بأصدق عبارات الشكر والتقدير إلى جميع أساتذتي الأجلاء في شعبة التاريخ، وأساتذتي الفضلاء في ماستر التراث التاريخي والأثري بالمغرب، على تفانيهم في عملهم وعلى جهودهم الثمينة والقيمة، وأخص بالذكر السيد مدير الماستر أستاذي الفاضل الدكتور مولاي علي واحدي، صاحب القلب الطيب، فمهما نثرت من عبارات الشكر لن أوفيك حقك وقدرك. وبكل الحب والوفاء وبأرق كلمات الشكر والثناء أتوجه لأستاذي الجليل الدكتور المصطفى طهر، على عطائه اللامحدود خدمة للطلبة والارتقاء بمستواهم العلمي. كما أهدي أصدق عبارات الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور محمد اليزيدي، على عطائه المستمر وتوجيهاته السديدة طيلة فترة دراستي الجامعية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بجزيل شكري إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة، وتجشهم عناء تقويم معوجها، شكرا لكم وجزاكم الله عني كل خير.

كما أشكر كل الإخوة القائمين على المكتبات التي ترددت عليها، وتزودت منها مادة هذه الدراسة، وكل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد لإتمام هذا العمل، فلهم مني الشكر ومن الله الأجر والثواب.

وبكل الحب والوفاء أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى كل أفراد أسرتي، وأخص بالذكر والدي الكريمين على رعايتهما ودعائهما وعلى مجهوداتهما المباركة لأكون ما أنا

عليه اليوم، حفظكما الله وأمد في عمركما. واعترافا مني بالجميل أتقدم أيضا بأصدق عبارات الشكر والعرفان لوالدي زوجتي الغاليين على حبهما ودعمهما لي، اللذان كانا لي ولأبنائي ولازالا خير سند وعون، حفظكما الله وأطال في عمركما. وبفيض من الحب أشكر أغلى ما أملك وأجمل ما أرى، ابناي ياسر وزيايد لوجودهما في حياتي، راجيا من العلي القدير أن أعوضهما عن كل تقصير قد بدر مني خلال انشغالي بإنجاز هذه الدراسة. وبكل الحب أشكر من علمتني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار، زوجتي وسندي، غاليتي ورفيقة دربي التي سارت معي فيه خطوة بخطوة، حلمنا بهذه اللحظة معا وحققناها معا، وسنبقى معا بإذن الله.

الباب الأول

السجن وخصائص التطور

الفصل الأول: مشروعية السجن في الفقه الإسلامي وأنواعه

الفصل الثاني: الإطار التاريخي لتكوين المؤسسة السجنية بالمغرب الوسيط

الفصل الثالث: العقوبات البديلة لعقوبة السجن بالمغرب الوسيط

الفصل الأول

مشروعية السجن في الفقه الإسلامي وأنواعه

المبحث الأول: السجن في القرآن الكريم

المبحث الثاني: السجن في السنة النبوية

المبحث الثالث: السجن في الفقه الإسلامي

1- أنواع السجون من منظور فقهي

2- اختلاف الفقهاء حول مشروعية السجن

الباب الأول: السجن وخصائص التطور

الفصل الأول: مشروعية السجن في الفقه الإسلامي وأنواعه

اهتم الإسلام بوضع مبادئ للسجون وتقريرها على أسس أخلاقية واجتماعية من شأنها تحقيق العدالة وتجسيد الهدف الذي ترمي إليه الحدود في الشريعة الإسلامية وهو لا يختلف في شيء عن أحدث النظم المقترحة من قبل حركات إصلاح السجون في الوقت الحاضر⁽¹⁾.

تهدف العقوبات في الإسلام إلى حماية المصالح الأساسية للجماعة، عن طريق زجر الجناة وردعهم وتحقيق العدالة، مطلقاً كانت عن طريق المعاقبة بالقصاص والحدود، أو نسبية بالتعزير الذي يرجع أمر الفصل فيه إلى ولي الأمر.

ومن بين ما يهدف إليه المشرع انطلاقاً من العقوبة، نزع فتيل الحقد والغل والرغبة في الانتقام من صدر المجني عليه، ولا تعد العقوبة غاية بحد ذاتها، وإنما تعتبر إحدى وسائل إصلاح المجتمع وحمايته، فليس المطلوب في الإسلام معاقبة الجناة وإنما إصلاحهم، ليكونوا أعضاء نافعين في المجتمع. ولعل السجن هو إحدى هذه العقوبات التي شرعها الإسلام، لتحقيق أهداف وغايات نبيلة تتمثل في تأهيل الجاني وإعادته للمجتمع بحال أحسن، بعد أن يكون قد قضى فترة في التأمل ومراجعة النفس، يدرك من خلالها ما قام به من أخطاء تجاه المجتمع، بحيث لا يخرج ناقماً عليه اعتقاداً منه أنه قد ظلم من قبله، ومن هنا فإن الشريعة الإسلامية قد شرعت من الأحكام ما يحقق مقصدها من السجن، دون أن يكون هناك تعسف من قبل المجتمع أو النظام العام، الذي استخدم حقه في حجز الجاني والتقييد المؤقت لحريته، وذلك انسجاماً مع الفكر العقابي في الشريعة الإسلامية، الذي لا ينظر إلى الجاني باعتباره عضواً فاسداً يجب بتره، وتخليص المجتمع من شروره وآثامه، وإنما هو ابن هذا

¹ - البقالي، م.س، ص125.

المجتمع، الذي جانب الصواب وأذنب في بعض التصرفات في ضعف من إيمانه وغفلة من ضميره.

يدخل السجن في باب العقوبات غير المقدرة التي تدخل في إطار التعازير، وهو لغة المنع والتأديب⁽¹⁾، واصطلاحاً " تأديب وإصلاح وزجر على ذنوب لم تشرع فيها حدود ولا كفارات"⁽²⁾، وشرع التعزير صيانة للمجتمع من الفوضى والفساد، ودفعاً للظلم، وردعاً وزجراً للعصاة وتأديباً لهم، ولم يحدد الشرع جرائم التعزير كما فعل في الحد والقصاص، بل أُرشد إلى ذلك في ضوابط.

ومن العقوبات المقدرة بالتعزير المتروك أمر الأخذ بها لولي الأمر، في حال كان جرم الجاني لا يستحق السجن والقتل والصلب والنفي وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والدليل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، بالإضافة إلى عقوبة الضرب

¹ - ابن منظور، م.س، مادة عزر، وينظر كذلك الفيروز آبادي، م.س، مادة عزر.

² - ابن فرحون (برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن فرحون ابن شمس الدين أبي عبد الله محمد)، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومنهاج الحكام، ط خاصة، دار عالم الكتب، الرياض، 2003، ج2، ص 217. ينظر كذلك الشربيني (شمس الدين محمد بن خطيب)، مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق محمد خليل عيتاني، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1997، ج4، ص 251. ويضيف ابن قيم الجوزية على أن "التعزير مشروع في كل معصية ليس فيها حد، وهي نوعان: ترك واجب، أو فعل محرم، فمن ترك الواجبات مع القدرة عليها، كقضاء الديون، وأداء الأمانات من الوكالات، والودائع، وأموال اليتامى، والوقف، والأموال السلطانية، ورد الغصوب، والمظالم، فإنه يعاقب حتى يؤديها، وكذلك من وجب عليه إحضار نفس لاستيفاء حق واجب عليها، مثل أن يقطع الطرق، ويلتجئ إلى من يمنعه ويذب عنه، فهذا يعاقب حتى يحضره"، ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن حريز الزرعي)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، د.ت، ص279.

³ - سورة المائدة، الآية 35.

والهجر والدليل عليها قوله عز وجل ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾⁽¹⁾. والعقوبة التي نحن بصددنا هي عقوبة السجن، والدليل على مشروعيتها وافر بالكتاب والسنة سنأتي على ذكره في هذا المبحث.

السجن في الشريعة الإسلامية هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه⁽²⁾، ولا يختلف المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي للسجن، فكلاهما يدل على المنع والتعويق عن التصرف، ويؤكد ابن القيم أن الربط في الشجرة سجن، وفي البيت أو المسجد سجن كذلك، أو كان بتوكيل الخصم أو وكيله عليه وملازمته له⁽³⁾، ونستشف من هذا القول أنه ليس من لوازم السجن الشرعي الجعل في بنیان خاص معد لذلك، وللسجن فوائد حسب الفقهاء باعتباره وسيلة للحفاظ على المتهم والمدین لاستكشاف حالهما، وهل المتهم من أصحاب الجرائم فيشدد عليه في السجن⁽⁴⁾.

للسجن مشروعيتها في الكتاب والسنة والإجماع على الرغم من اختلاف الفقهاء في مشروعيتها.

المبحث الأول: السجن في القرآن الكريم

استدل الفقهاء على مشروعية السجن من القرآن الكريم بالكثير من الآيات، حيث استدلوا بقوله تعالى ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ مِنَ الْفَحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ

¹ - سورة النساء، الآية 34.

² - ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، م.س، ص 269.

³ - نفس المصدر والصفحة.

⁴ - الوداعي، م.س، ص 24.

سَيِّلاً ﴿(1)﴾، وفي الآية اختلاف بين الفقهاء لكونها آية منسوخة، إذ عوضت عقوبة الإمساك في البيوت عقوبة الرجم أو الجلد، وبيانه أن المرأة في صدر الإسلام إذا زنت وشهد عليها بذلك أربعة شهود، كانت عقوبتها الإمساك في البيت، والإمساك هو الحبس إلى أن شرع الله لها أحكاماً أخرى، وتفصيلها ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدٍ^ط ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر^ط وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين﴾ (2).

ووجه الاستدلال أيضا قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ سَحَابُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِيَارِهِمْ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ^ع ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا^ط وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (3)، ويقصد مجموعة من العلماء بالنفي في الآية الحبس (4)، لما له من تعويق للشخص ومنعه من حريته.

ومما يدل على مشروعيته قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ

¹ - سورة النساء، الآية 15.

² - سورة النور، الآية 2.

³ - سورة المائدة، الآية 35.

⁴ - يرى المالكية ضرورة إبعاد المحارب عن بلده إلى أخرى مع سجنه هناك، وعلى العكس يرى الحنفية أن المراد بالنفي في الآية هو السجن في أرض النازلة، وعلى الرغم من الاختلاف الوارد بين المذهبين إلا أن الحاصل واحد وهو ربط عقوبة النفي بالسجن، ينظر الجريوي، م.س، ج1، ص260، وبهنسي (أحمد فتحي)، العقوبة في الفقه الإسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1958، ص178.

فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً الْمَوْتِ^ج تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ
 آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ^٥ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ
 ﴿١﴾⁽¹⁾، وإن لم يكن في هذه الآية دليل على ضرورة الحبس بالمعنى الحرفي، وإنما فيها ما
 يستوجب إعاقة وتوقيف من يرتاب في شهادته.

وفي مشروعيته كذلك من الكتاب قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا
 يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ^ط وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ فَاسْتَجَابَ
 لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ^ج إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا
 الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدَهُ^ر حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾⁽²⁾، ولاتنص الآيات على إنكار وجوب السجن وإنما إنكار
 الظلم الذي لحق نبي الله يوسف، وهو مادفعنا إلى القول بمشروعية السجن.

ومن آيات مشروعيته قوله سبحانه ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ
 وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَآخِضُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ^ج فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا
 الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾⁽³⁾، وفي الآية ما يفيد
 الحبس، ذلك أن الحصر هو الحبس أي التعويق والمنع من التصرف، كما أن الآية تشير
 إلى معنى الأسر، والأسير عند جماعة من العلماء يسمى سجيناً.

¹ - سورة المائدة، الآية 108.

² - سورة يوسف، الآيات 33-34-35.

³ - سورة التوبة، الآية 5.

كما قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَتُمْهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَتًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ ﴾⁽¹⁾، والآية محكمة غير منسوخة عند المفسرين، وفيها الأمر بمقاتلة الكفار وتقييد أسراهم منعا لهم من الحرب⁽²⁾، والأسير في الحقيقة مسجون كما تقدم.

المبحث الثاني: السجن في السنة النبوية

يقول الشوكاني "إن الحبس وقع في زمن النبوة، وفي أيام الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى الآن، في جميع الأعصار والأمصار، من دون إنكار، وفيه من المصالح ما لا يخفى، لو لم يكن منها إلا حفظ أهل الجرائم المنتهكين للمحارم، الذين يسعون في الإضرار بالمسلمين ويعتادون ذلك، ويعرف من أخلاقهم ولم يرتكبوا ما يوجب حداً ولا قصاصاً حتى يقام عليهم فيراح منهم العباد والبلاد، فهؤلاء إن تركوا وخلي بينهم وبين المسلمين بلغوا من الإضرار بهم إلى كل غاية، وإن كان سفك دمائهم بدون حقها، فلم يبق إلا حفظهم في السجن والحيلولة بينهم وبين الناس بذلك حتى تصح منهم التوبة أو يقضي الله في شأنهم ما يختاره، وقد أمرنا الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بهما في حق من كان كذلك لا يمكن بدون الحيلولة بينه وبين الناس بالحبس، كما يعرف ذلك من عرف من ذلك أحوال كثير من هذا الجنس"⁽³⁾. وكثيرة هي الأحاديث والوقائع في السنة النبوية التي تؤكد على مشروعية السجن نسوق بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

¹ - سورة محمد، الآية 4.

² - أبو غدة، م.س، ص 61.

³ - الشوكاني (محمد بن علي)، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصباطي، ط1، دار الحديث، مصر، د.ت، ج8،

روي عن النبي ﷺ أنه أمر رجلا بملازمة غريمه كما جاء عن أبي داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: [أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَرِيمٍ لِي، فَقَالَ لِي: الزَّمَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِأَسِيرِكَ؟](1).

وثبت عن النبي ﷺ أنه حبس رجلا في تهمة يوما وليلة فقام إليه رجل وهو يخطب فقال: جبراني بما أخذوا؟ فأعرض عنه النبي مرتين فذكر الرجل شيئا - يسمع نفسه ومن حوله- فقال النبي: [خَلُّوا لَهُ عَنْ جِيرَانِهِ](2)، وقد ذكر العلماء أن الحديث يدل على مشروعية السجن ولو لتهمة.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: [إِذَا أَمْسَكَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَقَتَلَهُ الْآخَرَ يُقْتَلُ الَّذِي قَتَلَ وَيُحْبَسُ الَّذِي أَمْسَكَ](3)، وعن علي رضي الله عنه أنه أخذ بهذا الحديث وقضى في رجل قتل رجلا متعمدا وأمسكه آخر فقال: يقتل القاتل ويحبس الممسك في السجن حتى يموت(4)، وهذا النوع من السجن يسمى الصبر.

وعن النبي ﷺ أنه طلب من رجل إتمام عتق عبد بعد أن أعتق نصيبه فيه فأمر النبي بسجنه إلى أن يتم عتقه هذا، حيث ذكر ابن زياد في احكامه عن النبي ﷺ أنه سجن رجلا

¹ - ابن قيم، م.س، ص270، وعلى الرغم من كون هذا الحديث ضعيف لضعف إسناده لكون هرماس بن حبيب التميمي

غير معروف، إلا أن هناك من الفقهاء ممن استدلوا به لتأكيد وقوع السجن زمن النبي.

² - أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، ينظر الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام)، المصنف، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، ط1، منشورات المجلس العلمي، بيروت، 1983، ج10، ص216، وابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي الشيباني)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان ومطبعة الملاح، بيروت، 1982، ج10، ص199.

³ - رواه الدررقي، انظر الشوكاني، م.س، ج7، ص169.

⁴ - ابن قيم، م.س، ص51.

أعتق شركا له في عبد فوجب عليه استتمام عتقه حتى باع غنيمة له⁽¹⁾.

ورد عن النبي ﷺ أنه ربط رجلا في سارية بجوار المسجد: "حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد بن أبي سعيد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال [يَعَثَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَيْلاً قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةٌ بِنُ أُنْثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ]⁽²⁾.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: [لِي الْوَأَجِدِ يُجِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ] ويقصد بحل العرض إغلاض القول والشكاية، وبالعقوبة الحبس، وقد اتفق على ذلك مجموعة من العلماء وبهذا الحديث استدل الفقهاء على مشروعية سجن المدين **الموسر المماطل**⁽³⁾.

وذكر عن النبي أنه ضرب أعناق جماعة من بني قريضة في سوق المدينة، بعد أن كان حبسهم في دار بنت الحارت الأنصارية وبعضهم الآخر في دار أسامة بن زيد لغدرهم وخيانتهم⁽⁴⁾.

¹ - ابن ملقن (سراج الدين أبي حفص)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق أبي صافية مجدي وأبي محمد عبد الله بن سليمان، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، د.ت، ص 657.

² - ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ص75، وقد ورد الحديث في الصحيح على الشكل التالي "حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الليث قال: حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أنثال فربطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج إليه النبي ﷺ، فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتنس ثم دخل المسجد، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، انظر صحيح البخاري، م.س، ص 124.

³ - **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى**، تحقيق عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج 6، ص85، وأيضا العيني (بدر الدين أبي أحمد محمد)، عمدة القاري في شرح البخاري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج 10، ص 331. وأيضا المغراوي (محمد بن عبد الرحمان)، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، ط1، مجموعة التحف، النفائس الدولية، ج12، 1996، ص 368.

⁴ - الخزاعي محمد بن مسعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص322. وينظر كذلك الكتاني (محمد بن

من خلال ماسبق يتضح مشروعية السجن في السيرة النبوية وأن النبي ﷺ قد عمل به في مناسبات عدة وفي حالات لم تتوجب إقامة الحدود والقصاص، وإن لم تكن هناك أمكنة خاصة للسجن في عهد النبي حيث كان غالباً ما يستعمل الدور أو المساجد أو الإمساك بجدوع الشجر أو ملازمة المعتقل-إن صح القول-، وهو مادفع بجماعة من العلماء منهم ابن فرحون وابن فرج إلى القول بعدم مشروعية السجن.

كانت أغلب الحالات التي طالعناه تدخل في خانة الإمساك الإحتياطي درءاً للمفاسد وجلب المصالح وتدخل في جانب التعزير الذي يعطى حق الفصل فيه للولي على شؤون المسلمين والذي يجب في جناية ليست موجبة للحد ويكون على قدر الجناية⁽¹⁾، وكانت جل الحالات تسرح بعد العفو أو الشفاعة أو الإفتداء إذا تعلق الأمر بالأسرى وفي حالات أخرى كان تقام على أصحابها الحدود إذا توجب الجرم ذلك كما هو الشأن في حالة الخيانة والغدر.

المبحث الثالث: السجن في الفقه الإسلامي

مشروعية الحبس مسلمة عند فقهاء المسلمين فقد وردت أمثلة كثيرة على ذلك حيث يكفي تفحص كتب النوازل والقضاء والحسبة للوقوف عند حالات عديدة.

ولما كان الحبس يدخل في جانب التعزير، فإنه يختلف عند العلماء باختلاف الجرائم والذنوب وما يعلم من حال الجاني من جلده وصبره على عسيرها أو ضعفه عن ذلك وانزجاره إذا عوقب بأقلها، وتكون بحسب المجني عليه والجناية "ففي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ [أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَنَّا رَتِّهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ] ، فإذا تقرر أن فاعل ذلك يؤدب فإن كل رفيع القدر يخفف أدبه أو يتجافى عنه، وكذلك من يصدر عنه ذلك

عبد الحي)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، ط2، دار الأرقام، بيروت، د.ت، ج1، ص246.

¹- القاضي (خالد محمد)، م.س، ص17.

على وجه الفلته لأن المقصود بالتعزير الزجر عن العودة⁽¹⁾.

ويعتبر الحبس عند جماعة من علماء المسلمين أخف العقوبات التي يمكن أن تطبق في حق الجاني الغافل، لأن الغرض منه ليس العقوبة في حد ذاتها بل أن تقتصر على القدر الذي ينزجر الجاني به ولا يزيد عليه حيث قال ابن عبد السلام "وإذا كان التعزير والعقوبة للزجر فإن علم أن الزجر لا ينفع فلا ينفع التعزير ولكن يسجن الكبير يتحقق توبته ولا يعرض للصغير"⁽²⁾.

وهكذا فإن مشروعية السجن ثابتة في الإجماع ووقائعه مذكورة في كتب الفقهاء، وهو عندهم أشبه بالعقوبة الاحتياطية ولا يجوز الحكم به وإهمال الحدود والقصاص وقديما قال أبو يوسف القاضي **ناصحا** الخليفة هارون الرشيد "ولو أمرت بإقامة الحدود لقل أهل الحبس ولخاف الفساق وأهل الدعارة، ولتناهوا عما هم عليه، وإنما يكثر أهل الحبس لقلّة النظر في أمرهم إنما هو حبس، **وليس فيه نظر**، فمر ولاتك جميعا بالنظر في أمر أهل الحبوس في كل أيام فمن كان عليه أدب وأدب وأطلق، ومن لم يكن له قضية خلي عنه، وتقدم إليهم أي على عمالك- أن لا يسرفوا في الأدب، ولا يتجاوزوا بذلك إلى ما لا يحل ولا يسع، فإنه بلغني أنهم يضربون الرجل في التهمة، وفي الجناية الثلاثمائة والمائتين وأكثر وأقل هذا مما لا يحل، ولا يسع ظهر المومن حمى إلا من حق يجب بفجور أو قذف أو سكر، أو تعزير لأمر أتاه لا يجب فيه الحد، وليس يضرب في شيء من ذلك كما بلغني أن ولاتك يضربون، وأن رسول الله ﷺ نهى عن ضرب المصلين..."⁽³⁾.

1- الونشريسي، م.س، ج2، ص417.

2- نفسه، ص 418.

3- ابن إبراهيم الأنصاري (أبو يوسف يعقوب القاضي)، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979، ص151.

1- أنواع السجون من منظور فقهي

للحبس أنواع كثيرة قسمها الفقهاء وفق الأسباب التي توجبها، وهنا نورد نصا للقرافي يحصر فيه أقسام الحبس، مما يبين عناية الفقهاء بضبط العقوبات، من أجل غلق باب التعسف والجور على كل من يريد أن يتخذ من الشرع ذريعة إلى اضطهاد الناس وتعذيبهم والتضييق عليهم لأي مبرر كان.

قال القرافي⁽¹⁾: "المشروع من الحبس ثمانية أقسام:

الأول: حبس الجاني لغيبة المجني عليه حفظا لمحل القصاص.

الثاني: حبس الأبى سنة حفظا للمالية رجاء أن يعرف ربه.

الثالث: **حبس الممتنع** عن دفع الحق إزاء إليه.

الرابع: حبس من أشكل أمره **في العسر واليسر**، اختبارا لحاله، فإذا ظهر حاله، حكم بموجبه عسرا أو يسرا.

الخامس: **حبس الجاني تعزيرا أو ردعا** عن معاصي الله تعالى.

السادس: **حبس** من امتنع من التصرف الواجب الذي لا تدخله النيابة، كحبس من أسلم على أختين أو عشر نسوة أو امرأة وابنتها، وامتنع من التعيين.

السابع: **حبس** من أقر بمجهول عين أو في الذمة، وامتنع من تعيينه، فيحبس **حتى يعينه**، فيقول المقر به: **هو هذا الثوب أو هذه الدابة، ونحوهما أو الشيء الذي أقررت به في ذمتي** هو دينار.

الثامن: **حبس الممتنع من حق** الله تعالى الذي لا تدخله النيابة **عندنا الشافعي** كالصوم،

¹- القرافي (شهاب الدين أحمد بن ادريس)، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ت، ج4، صص 79-80.

الصلاة فيقتل فيه". ويضيف ابن فرحون "وما عدا هذه الثمانية لا يجوز الحبس فيه، ولا يجوز الحبس في الحق إذا تملك الحاكم من استيفائه فإن امتنع من دفع الدين، ونحن نعرف ماله فإننا نأخذ منه مقدار الدين، ولا يجوز لنا حبسه"⁽¹⁾

ثم زاد ابن فرحون قسمين آخرين، قال: "ويزاد إلى ما ذكر، قسم تاسع وهو: حبس المتداعي فيه، وقسم عاشر وهو: من يحبس اختاراً لما ينسب إليه من السرقة والفساد"⁽²⁾، ومن خلال ما كتبه القرافي، ثم ابن فرحون يمكن تقسيم الحبس بحسب طبيعته أو بالأحرى بحسب المقصد منه إلى ثلاثة أنواع⁽³⁾ هي: حبس من أجل العقوبة، وحبس من أجل الإكراه، وحبس من أجل الاختبار والاستيثاق.

- النوع الأول: حبس العقوبة

هو أن يكون الحبس عقوبة نافذة، فيحبس المحكوم عليه برغم أنفه، ولا ترفع عنه إلا باستيفائها، أو بعفو يصدر من الجهة التي تملك العفو.

- النوع الثاني: حبس الإكراه

هذا النوع من الحبس موقوف على إرادة المحبوس، لتعلقه بأداء حق وجب عليه، فتكون الغاية من الحبس إجبار المحبوس على أداء الحقوق التي لزمته، وليس القصد من الحبس تطبيق عقوبة عليه. ومثال ذلك ما ذكره ابن القيم فيمن أسلم على أكثر من أربع زوجات قال: "فإن أبي الاختيار أجبر عليه بالحبس، والضرب؛ لأنه حق عليه، وهو قادر

¹- ابن فرحون، م س، الجزء 2، ص 233-234

²- نفسه، ص 234.

³- هناك من الفقهاء من يجعل السجن نوعان حبس تعزيز وحبس استيثاق، ينظر أبو غدة (حسن)، حقوق المسجونين في الشريعة الإسلامية، دار جامعة الملك سعود، 2012، ص 14.

على الإتيان به، فأجبر عليه كإيفاء الدين"⁽¹⁾.

قال الشيخ في (الكافي): وهكذا كل من عليه حق إذا امتنع من أدائه⁽²⁾ ثم قال ابن القيم: "وهكذا إذا كان على رجل دين، وله مال فائض لا يعرف بمكانه، وامتنع من قضاء دينه، فإن الحاكم يحبسه ويضربه"⁽³⁾.

- النوع الثالث: حبس اختبار واستيثاق

والغاية من هذا النوع من الحبس ليست العقوبة، وإنما هو التوثق مما ينسب إلى المتهم من جرائم، أو للتأكد من نتائج جنايته إذا كانت الجناية لها تداعياتها ويحتمل أن تتطور آثارها في المستقبل، كمن ضرب شخصا فأصابه بجرح خطير عرضه للوفاة، فينظر حتى تستقر حالة المجني عليه، ثم يحكم عليه بالعقوبة المناسبة، والمراد بهذا النوع من الحبس تعويق الشخص عن التصرف بنفسه بقصد الاستيثاق وضمان عدم الهرب، لا التعزير، وقد قسمه بعض الباحثين إلى ثلاثة أقسام هي: حبس التهمة، وحبس الاحتراز، وحبس تنفيذ العقوبة⁽⁴⁾.

3- اختلاف الفقهاء حول مشروعية السجن

اختلف أهل العلم حول مشروعية السجن وانقسموا إلى رأيين:

الرأي الأول: اعتباره غير مشروع

¹ - ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن حريز الزرعي) ، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط1، رمادي للنشر، الدمام، 1997، ص739.

² - نفسه، ص 740.

³ - ويعزو ابن قيم ذلك إلى بعض العلماء قال: "قال القاضي في الجامع فإن لم يختار حبسه، ويكون الحبس ضربا من التعزير، فإن لم يختار، ضربه وعزره، ويفعل ذلك ثانيا وثالثا حتى يختار، لأن هذا حق تعين عليه، ولا يقوم غيره مقامه فوجب حبسه، وتعزيره حتى يفعله"، نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - أبو غدة (حسن)، فقه المعتقلات والسجون بين الشريعة والقانون، ط 2، مكتبة الرشد، بيروت، 2006، ص99.

أصحاب هذا الرأي يؤكدون على عدم مشروعية السجن، مرددهم في ذلك أن رسول ﷺ "لم يكن له سجن ولا سجن أحدا" (1)، حيث أن السجن كعقوبة وإن عرف في زمان الرسول ﷺ غير أنه لم يكن هناك مكان يحبس فيه الشخص المجرم، فكان الحبس يتم إما بساحة المسجد النبوي أو في الدهاليز أو في البيوت ومنها بيت المضرور (2).

وهذا ما يراه ابن تيمية ويوافقه عليه ابن القيم حيث يقول: "الحبس الشرعي ليس هو الحبس في مكان ضيق، وإنما هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء كان في بيت أو مسجد، أو كان بتوكيل الخصم أو وكيله عليه وملازمته له، ولهذا سماه النبي ﷺ أسيرا" (3) كما يستدل أصحاب هذا الرأي بعدم مشروعية السجن واتخاذ بناية خاصة به أنه لم يرد في القرآن الكريم بصيغة المصدر ولكن ورد بصيغة الفعل كما في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ (4)، وفي قوله ﴿وَلَيْنَ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ مَا تَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا

¹ - ينظر في هذا الأمر الباجي الأندلسي (أبو الوليد سليمان بن خلف)، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق محمد أبو الأجنان، مكتبة التوبة ودار ابن حزم، الرياض، 2002، ص103.

² - طالب (حسن)، الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2002، صص172-173.

³ - ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية، م.س، ص102.

⁴ - سورة المائدة، الآية 108.

كَأَنَّهُمْ بِهِ يَسْتَهْرَبُونَ ﴿١﴾ ووجه الدلالة في الآيتين أن الحبس ورد في الأولى بمعنى

الاستيقاف وفي الثانية بمعنى المنع⁽²⁾. والجدير بالذكر أن السجن لم يكن سوى عقوبة من نوع التعازير وليست من نوع الحدود أو القصاص أو الديات كما تقدم، وظل عدم وجود مكان معين يحبس فيه الأشخاص حتى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب⁽³⁾.

ويعد ابن حزم من أشد المناهضين لمشروعية السجن، فقد تتبع أدلة الذين قالوا بمشروعيته فجح رواة بعض الأحاديث التي استدلت بها على مشروعيته، وأخرج بعضها مرسلًا، ولا حجة لمرسل عند ابن حزم حيث يقول "ما علمنا هذا في دين الله تعالى، إلا من حيث جاء به النص فقط"⁽⁴⁾.

ولعل معاناة ابن حزم من السجن هي ما جعله يقر بعدم مشروعيته، فقد تعرض ابن حزم للسجن بعد توليه الوزارة للمستظهري، حيث سجن هو وابن عمه، وكان ذلك سنة 416 هـ⁽⁵⁾.

كما سجن ابن حزم قبل ذلك أيام خيران صاحب ألمرية، وفي وصف سجنه يقول: "وفي أثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين، وقد انتقم الله منهم، عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهراً ثم أخرجنا على جهة التغريب، فصرنا إلى حصن

¹ - سورة هود، الآية 8.

² - ابن جرير الطبري (محمد)، تفسير الطبري، تحقيق محمود محمد شاعر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج 11، ص 171.

³ - اللهيبي، م.س، ص 103.

⁴ - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، تحقيق محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1350هـ، ج 8، ص 377.

⁵ - البدري الحسيني (ياسر محمد ياسين)، أقمار في سماء الأندلس ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته، مذهبه، شيوخه وتلاميذه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص 44.

القصر" (1).

الرأي الثاني: اعتباره مشروعاً

يؤكد مجموعة من العلماء على مشروعية السجن مستدلين في ذلك إلى اعتماده في إطار العقوبات التعزيرية، وكونه مذكوراً في الكتاب والسنة.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة سبقت الإشارة إليها، إلا أنه لا يمكن أن تكون له الصدارة والأولوية بين أنواع التعزير الأخرى، بل هو أشبه بالعقوبة الاحتياطية، لأن وطأته شديدة وآثاره السلبية كبيرة على الفرد وأسرته، وعلى المجتمع عموماً.

يؤكد أصحاب هذا الرأي أن الحالات التي سجن فيها النبي ﷺ كثيرة وبالتالي لا يعقل وجود سجين بدون سجن، وأكثر من ذلك فقد أكدوا أن الرسول ﷺ خصص مكاناً لسجن النساء حيث "حبس ابنة حاتم الطائي⁽²⁾ في حظيرة عند باب المسجد كانت السبايا يحبس فيها"⁽³⁾، كما أن دليلهم مأخوذ من كون الخلفاء بعد أبي بكر الصديق اتخذوه عقوبة في

¹ - ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، طوق الحمامة، مكتبة عرفة، دمشق، د.ت، صص 117-118.

² - هي بنت حاتم الطائي، سفانة، أسلمت وحكت عن النبي ﷺ "أصابته خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيء، فجيء بها إلى الرسول ﷺ وجعلت في حظيرة بباب المسجد فمرّ بها ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله: هلك الوالد، وغاب الوافد فقال: ومن وافدك؟ قالت عدي بن حاتم قال: الفارّ من الله ورسوله؟! قالت: ومضى، حتى مر ثلاثة أيام. فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلمي، فأعادت قولها السابق، يا رسول الله (هلك الوالد، وغاب الوافد) فامتن علي من الله عليك - قال ﷺ قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ثم آذنييني قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إلي فقيل: علي بن أبي طالب، وهو الذي سباكم، أما تعرفينه؟ فقلت: لا والله، ما زلت أثني طرف ثوبي على وجهي، وطرف ردائي على برقي، من يوم أسرت حتى دخلت هذه الدار، ما رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه. ينظر الجعافرة (أسامة)، موسوعة الصحابييات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 161.

³ - ابن هشام (محمد بن عبد الملك)، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ج4، ص 221.

بناية مخصصة لذلك، حيث أن عمرا كان قد اشترى دارا في مكة وجعلها سجنا⁽¹⁾.

وقد ذكرت المصادر العديد من الحالات التي سجن فيها عمر بشكل شخصي أو حتى من قبل عماله على الأمصار والولايات، وقد ذكر البلاذري أن عمر كتب إلى عامله على البصرة المغيرة بن شعبة يأمره بحبس معن بن زائدة لأنه نقش على خاتم عمر، فنفذ المغيرة أمر عمر، إلا أن معن فر من السجن وقدم على عمر في المدينة، فقام عمر بضربه وحبسه مدة من الزمن، ثم عفا عنه⁽²⁾ وقام عمر في حادثتين منفصلتين بحبس شاعرين هما النجاشي والحطيئة (جرول بن أوس)⁽³⁾.

وبعد عمر يعتبر علي بن أبي طالب أول من بنى سجنا في الإسلام، واهتم بالسجن كل اهتمام فبنى سجناً في الكوفة من قصب وسماه (نافعاً) فنقبه للصوص وهربوا منه، ثم بنى سجناً آخر من مدر وسماه (مخيساً)⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ذلك لا توجد إشارات على قيامه بالسجن، ويظهر أن مرد هذا يرجع بالأساس الأول إلى انشغاله بظروف الفتنة التي

¹ - عن ابن جريج قال: أخبرني حجير، عن طاووس قال: "الله يعلمه أني سألته عن مسكن لي فقال: كل كراءه، قال ابن جريج: ولا يرى به عمرو بن دينار بأسا قال: وكيف يكون به بأس والربع يباع فيؤكل ثمنه، وقد ابتاع عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف دينار، عن عبد الرحمن بن فروخ، وقال الثوري عن أبيه، عن نافع بن عبد الحارث، اشترى من صفوان بن أمية دار السجن بثلاثة آلاف، فإن عمر رضي فالبيع ببعه، وإن عمر لم يرض بالبيع فلصفوان أربعمئة درهم، فأخذها عمر" ينظر الصنعاني، م.س، ج5، صص 147-148.

² - البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م، صص 647-648.

³ - عن سجن عمر للنجاشي انظر البغدادي (عبد القادر)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ج 1، ص 231 - 233. وعن حبسه للحطيئة انظر الأصفهاني (أبو الفرج)، الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ومؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج2، ص 186. ابن الشجري (هبة الله بن علي أبو السعداء العلوي)، مختارات شعراء العرب، تحقيق محمد علي الجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ق3، ص 425.

⁴ - الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي)، شرح كتاب أدب القاضي، تحقيق أحمد فريد المزدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 146.

تواصلت في عهده، وهو ما جعله يوكل مسألة النظر في القضايا التي قد يترتب عليها الحبس إلى مساعديه وخاصة القاضي⁽¹⁾.

ويتضح أن الراجح ما أكده أصحاب هذا الرأي ذلك أن أدلتهم كانت أمس بصلب المسألة من أدلة غيرهم، حيث استدلووا بأدلة صحيحة وصریحة على مشروعیة السجن، وحيث انعقد الإجماع على مشروعیته كما رأينا، ولا شك أن هذا الإجماع مستند في المقام الأول على النصوص الشرعية التي سيقى في هذا المجال.

¹ - وكیع (أبو بكر محمد بن خلف بن حیان بن صدقة الضبي البغدادی)، أخبار القضاة، عالم الكتب، بیروت، د.ت، ج2، ص297 و308.

الفصل الثاني

الإطار التاريخي لتكون المؤسسة السجنية بالمغرب الوسيط

المبحث الأول: ظهور السجون وتطورها

المبحث الثاني: نشأة السجون بالمغرب الوسيط

المبحث الثالث: وظيفة السجون بالمغرب الوسيط

الفصل الثاني: الإطار التاريخي لتكوين المؤسسة السجنية بالمغرب الوسيط

ارتبط ظهور السجون في الدولة الإسلامية باتساع رقعتها وامتداد نفوذها وتعدد مشاكلها، فأصبح لزاما البحث عن مكان مخصص لاعتقال كل خارج عن سلطتها، فتكاثرت بذلك السجون ووظفت العديد من البنايات لاستيفاء هذا الغرض.

المبحث الأول: ظهور السجون وتطورها

تكتنف الصعوبات كل محاولة للوصول إلى تحديد دقيق للوقت الذي نشأت فيه السجون، والمكان الذي ظهرت فيه هذه العقوبة لأول مرة، وقد استغرق وصول السجن إلى تطوره الحالي عصورا طويلة من الزمن.

اتخذت الأمم السالفة سجونا لردع كل خارج عن قوانينها، أو محاول المساس بأمنها واستقرارها، فقد عرفت مصر الفرعونية نظام السجون، وربط القرآن الكريم بين عقوبة السجن والخروج عن طاعة فرعون وعدم الإذعان بألوهيته، فموسى عليه السلام هدد بالسجن إن اتخذ إليها غيره ﴿ قَالَ لِّئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾⁽¹⁾.

واشتهرت السجون بمصر مع قصة يوسف عليه السلام، وكان سجنه يوجد بالجيزة ويحدد ياقوت الحموي⁽²⁾ مكان هذا السجن بدقة "وهو ببوصير من أرض مصر وأعمال الجيزة في أول الصعيد من ناحية مصر... سجن فيها المدة التي ذكر أنها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه وسطح السجن معروف بإجابة الدعاء، وأهل تلك النواحي يعرفونه ويقصدونه بالزيارة".

¹ - سورة الشعراء، الآية 28.

² - الحموي، معجم البلدان، م.س، ج 3، ص 193.

اتخذ اليونان والرومان أشكالاً عقابية شتى فاعتادوا استصفاء الأموال والنفي والتهجير والقتل والسجن الذي يستخدم للحبس "الاحتياطي"⁽¹⁾، وكان العديد من المتهمين يعقلون في بيوتهم الخاصة أو يودعون تحت حراسة الخواص⁽²⁾، وقد استعملوا "المطامير وارتبطت بالملك مامرس Mamers التي أضيف لها جزء تحت الأرض يسمى Trilianum وهو قاعة بلا باب ولا نافذة، لا يدخل إليها إلا من ثقب دائري في السقف، وفي هذه الأماكن كان يعدم السجناء الرسميون"⁽³⁾.

عرف السجن كذلك عند الفرس، "ومن سجونهم المشهورة سجن ساباط الذي كان في عاصمتهم المدائن"⁽⁴⁾، وفيه حبس قيس بن مسعود الشيباني الجاهلي⁽⁵⁾، وسجن خانقين وخانقون، وفيه حبس كسرى النعمان بن المنذر فبقي فيه حتى مات، وحبس كسرى، وفيه حبس عداس بن أبي عداس النميري، كما كان لكسرى بيت كالقبر ظلماً وضيقاً استعمل لحبس الوزراء والخاصة⁽⁶⁾، إلا أن أغلب سجون الفرس كانت تحت الأرض⁽⁷⁾.

لم يختص العرب في الجاهلية بحبس معين، ذلك أن حياة الترحال فرضت عليهم حبس السجين حيثما تيسر، فلم يكن للأسرى في البادية بناء خاص يحبسون به، وإنما يجعل الأسير في الخيمة مع الموكل به، وقد تحفر للأسير حفرة في الأرض كالبنر فتحوم الجوارح فوق رأسه، ويمنعه بعد القعر والأغلال من انتقاء جوانبها، وقد يجمع الأسرى معا في حظيرة

¹- قدور سكيئة، الحبيسات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه في الشعر العربي، جامعة منتوري- قسنطينة، تحت إشراف لخضر عيكوس، سنة 2007/2006، ص32.

²- البلاجي، م.س، ج1، ص93.

³- نفس المرجع والجزء والصفحة.

⁴- قدور سكيئة، م.س، ص34

⁵- أبو غدة، أحكام السجن، م.س، ص263.

⁶- البلاجي، م.س، ص96 وص275.

⁷- البرزة (أحمد مختار)، الأسر والسجن في شعر العرب، ط1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1985، ص107.

جمع الأغنام⁽¹⁾.

وعرفت الحواضر في الجاهلية ضربا من السجون مهياة وخاصة عند المناذرة ومن أشهرها سجن الصنين عند المناذرة وبنى الغساسنة سجنا متطورا نوعا ما، فلم يكن زنازة أو بئرا حيث حبس فيه سعيد بن العاص رفقة هشام العامري⁽²⁾.

وفي صدر الإسلام سبقت الإشارة إلى عدم اتخاذ النبي ﷺ وخليفته سجنا خاصا، إذ كان السجين يوضع في البيوت والدهاليز والمسجد والخيمة⁽³⁾، وقد حبس النبي ﷺ بعض الأشخاص مقيدين إلى أعمدة المسجد النبوي، منهم أبو لبابة ورفاعة بن عبد المنذر لتخلفهم عن الغزو⁽⁴⁾. ولعل المراد بالحبس في المسجد النبوي كان هو التقويم والإصلاح، بينما استند استند الحبس في البيوت على الآية التالية ﴿ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ط فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ ﴾⁽⁵⁾. وقد سمح التصميم العمراني للبيوت العربية الذي يمتاز بالرحابة والتهوية والإضاءة باتخاذها مكانا لحصر المذنبين، خاصة مع تأكيد الشريعة الإسلامية على حسن معاملة السجناء، وكثيرة هي البيوت التي سجن فيها على عهد النبي ﷺ، منها بيت حفصة زوج النبي ﷺ حيث حبس

¹ - نفسه ، صص 32-33.

² - نفسه، ص 21.

³ - ابن تيمية (تقي الدين)، الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، مج 5، ص 398. وابن قيم، الطرق الحكيمة، م.س، ص 629. وأيضا الكتاني، م.س، ج 1، ص 246.

⁴ - ابن حجر، فتح الباري، م.س، ج 1، صص 555-556.

⁵ - سورة النساء، الآية 15.

سهيل بن عمر وجعل في حجرة من حجراته بعد غزوة بدر⁽¹⁾، ودار نسيبة بنت الحارث الأنصارية حبس فيها الرسول ﷺ بعض اليهود من بني قريضة، بعد حكم سعد بن معاذ فيهم⁽²⁾، وقد وصل عدد المحبوسين فيها ستمائة سجين⁽³⁾، ودار أسامة بن زيد حبس فيها الرسول ﷺ مجموعة أخرى من يهود بني قريضة⁽⁴⁾.

واشتهرت الخيام كذلك باتخاذها مكانا للحبس خاصة عقب الحروب، وكانت مدة الحبس في الخيام تصل إلى ثلاثة أيام أو أكثر، فقد حبس الأسرى في بدر بخيمة ثلاثة أيام ثم اتجه بهم صوب المدينة⁽⁵⁾، وممن أسروا في الخيمة يوم بدر العباس عم الرسول ﷺ، حيث أمسى مأسورا في وثاقه يوم بدر، وبات النبي ﷺ ساهرا أول الليل لسماعه أنين العباس في وثاقه⁽⁶⁾، و في هذه النازلة أسلم العباس وكان قد أسره أبا سفيان بن حرب⁽⁷⁾.

ولعل مرحلة التأسيس الفعلي لمؤسسة السجن في تاريخ الإسلام بدأت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث تعتبر مرحلته مرحلة تأسيسية للسجون، حيث ثبت عنه رضي الله عنه أنه اشترى دارا للسجن بعد أن كان حبس في أول عهده في البيوت والمساجد والآبار⁽⁸⁾، إذ أنه نتيجة لانتشار رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الرعية، اضطر سيدنا عمر إلى

¹- ابن كثير اسماعيل (عماد الدين أبو الفداء)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ج 3، ص 307، انظر أيضا ابن هشام، م.س، ج 2، صص 286-287.

²- ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 2، ص 76. انظر أيضا القاضي أبو يوسف، م.س، ج 4، ص 201.

³- الشوكاني، م.س، ج 8، ص 212، و أيضا ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 2، ص 76.

⁴- ابن حجر، فتح الباري، م.س، ج 7، ص 414، وأيضا الشوكاني، م.س، ج 8، ص 212.

⁵- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، القاهرة، 1328 هـ، ج 3، ص 412. وابن كثير، م.س، ج 3، ص 303 و 305.

⁶- الصنعاني، م.س، ج 5، ص 206، وابن الأثير، الكامل، م.س، ج 2، ص 25 .

⁷- ابن كثير، م.س، ج 4، ص 289. وابن الأثير، الكامل، م.س، ج 2، ص 165.

⁸- الكتاني، م.س، ج 1، ص 298.

إلى شراء دار بمكة واتخذها سجنا دائما فكان ذلك أول بيت اتخذ سجنا دائما في الإسلام⁽¹⁾، وقد سبق الحديث عن هذه الدار في مبحث سابق. وكانت بعض الولايات على عهد عمر تتخذ سجونا خاصة بها، يسجن بها كل شاد عن السلطة، حيث تبين المصادر الإسلامية أن والي الكوفة المغيرة بن شعبة اتخذ سجنا من قصب وحبس فيه معن بن زائد بأمر من عمر، إذ زور خاتما على نقش خاتم بيت المال⁽²⁾.

إلا أن أول من ينسب له أمر بناء السجون في صدر الإسلام هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حيث أمر ببناء سجن في الكوفة، وكانت مادته الأولية هي القصب وسماه علي نافعا وهو ما سهل على اللصوص عملية تنقيبه والفرار منه، فدفع ذلك عليا إلى بناء غيره، لكن هذه المرة استعمل الحجارة والطين وسماه مخيسا⁽³⁾، كما بنى علي رضي الله عنه عنه سجنا آخر في البصرة⁽⁴⁾، ولعل الفتنة التي عاشها عصر علي بعد مقتل عثمان وموقعة وموقعة الجمل والصفين وحادثة التحكم، دفعت علي إلى الاهتمام بإمكانة مخصصة للعقاب تكون أمنع وأكثر تحصينا. وقد كان السجن زمن علي ذو جدران عالية منيعة وأبواب كبيرة، فسجن المخيس في الكوفة كان على هذه الشاكلة فقد جاء على لسان علي نفسه في وصف السجن:

أما تراني كيسا مكيسا ❁ بنيت بعد نافع مخيسا

¹ - القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، ج 3، ص153. وابن تيمية، الفتاوى، م.س، ج5، ص 398. وابن قيم الجوزية، الطرق الحكيمة، م.س، ص 103.

² - البلاذري، م.س، ص 249.

³ - ابن عابدين (محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز)، رد المحتار على الدر المختار، المشهور بحاشية ابن عابدين، تحقيق مصطفى الباسي الحلبي، القاهرة، 1966، ج5، ص 377. و ينظر كذلك ابن فرج محمد بن فرج القرطبي (أبو عبد الله)، أفضية رسول الله ﷺ، ط1، دار الوعي، حلب، 1396، ص 512.

⁴ - أبو غدة، أحكام السجن، م.س، ص 286.

بابا كبيراً وأميناً كيساً⁽¹⁾

كان عمر يستعين بالآبار المهجورة لحبس الأشخاص مثل الحطيئة الذي حبس في بئر مظلمة، وفي ذلك يقول:

ألقيت كاسهم في قعر مظلمة ❀ فإرفق عليك سلام الله يا عمر⁽²⁾

كثرت السجون وتطورت في عهد الدولة الأموية وخاصة مع كثرة المعارضين لسياساتهم، حتى أصبح القتل والسجن والعذاب أمراً مألوفاً⁽³⁾، كما توسعت أسباب السجن في العصر الأموي عما كانت عليه في العصر الراشدي، فبالإضافة إلى التزوير والشعر وبخاصة الهجاء وشرب الخمر والأسباب التي لها علاقة بالدين، فقد أضيف إليها أسباب أخرى كثيرة منها الأخذ بالنار وعسف بعض الولاة، أو عزل الولاة وحبسهم، وكذلك الأسباب السياسية التي كان لها الدور الأكبر في هذا الجانب⁽⁴⁾.

ويعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من وضع السجن والحرس⁽⁵⁾، ولم يتفنن أحد في بناء السجون على عهد الدولة الأموية كما تفنن الحجاج بن يوسف الثقفي⁽⁶⁾، فعندما مات الحجاج كان في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من حر أو برد أو مطر، وربما استتر

¹ - ابن منظور، م.س، ج6، ص75.

² - ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج5، ص309.

³ - الصمد، م.س، ص39.

⁴ - الطل، م.س، ص4.

⁵ - المقرئ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، دار صادر، بيروت، د.ت، ج2، ص187.

⁶ - ابن جرير الطبري (أبو جعفر محمد)، تاريخ الطبري، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج3، صص 547-554.

أحدهم بيده من الشمس فيرميه الحراس بالحجارة، وفي رواية أنه وجد في حبسه عندما توفي
مائة ألف وأربعة عشر ألف رجل وعشرون ألف امرأة⁽¹⁾.

وفي سجون الحجاج كان المسجونون يقرون بالسلاسل، يقومون معا أو يقعدون معا
ويسقون الزعاف (الماء الوسخ القاتل) ويطعمون الشعير المخلوط بالرماد، ليس للمسجون
المقيد منهم إلا مجلسه، فيه يأكل ويصلي وينام ويتغوط⁽²⁾، ويمكن الجزم أن هذه الإشارات
حول سجون الحجاج الثقفي تكاد تخلو من المصادقية، فكيف يعقل ألا يستطيع هذا الوالي
بناء سجون خاصة بالرجال وأخرى بالنساء؟

إن كثرة السجون على عهد الدولة الأموية دفعتنا إلى تسطير الجدول التالي:

جدول: سجون الدولة الأموية

<u>المصدر</u>	<u>صاحبه</u>	<u>نماذج من المسجونين</u>	<u>مكانه</u>	<u>السجن</u>
ابن عابدين، م.س، ج5، ص 377.	منذ زمن علي	—	الكوفة	الخيبر
البلاجي، م.س، ص 104.	الحجاج	جدر اللص ومحمد بن القاسم	واسط	واسط
ابن منظور، م.س، ج 2، ص 53.	الحجاج	—	—	الديماس
البلاجي، م.س، ص 106.	—	عطار اللص	اليمامة	حجر اليمامة
البلاجي، م.س،	—	السمهري	اليمامة	دوار

¹ - الصمد، م.س، ص 53.

² - نفس المرجع والصفحة .

ص 107.				
البلاغي، م.س، ص 107.	–	السمهري	اليمامة	الخضراء
البلاغي، م.س، ص 107.	–	الفرزدق	–	مالك بن المنذر
البلاغي، م.س، ص 107.	–	–	المدينة	ابن سباع
البلاغي، م.س، ص 107.	–	معاوية بن عادية الفزاري وهدبة بن الخشوم	المدينة	المدينة
البلاغي، م.س، ص 108.	–	–	واحد بالمدينة والآخر بالشام	عمر بن عبد العزيز
البلاغي، م.س، ص 108.	–	–	دمشق	مروان
البلاغي، م.س، ص 108.	–	–	دمشق	مرج عذراء
البلاغي، م.س، ص 108.	عبد الله بن الزبير وصار للحجاج	محمد بن الحنفية حمزة بن الزبير	مكة	عارم

العقيق	أرض بن عقيل	يزيد بن الطرية	_	البلاجي، م.س، ص 109.
تباله	بأرض تهامة من اليمن	مصعب بن عمر	_	الحموي، معجم البلدان، م.س، ج2 ، ص 63.
الطائف	الطائف	بعض الأعراب	_	البلاجي، م.س، ص 109.

أما في العصر العباسي، فلا يسعنا المقال للحديث بإسهاب عن هذه الفترة التي امتدت زهاء خمسة قرون، وكان السلاطين فيها غاية في الاستبداد، إذ نسجوا حول أنفسهم هالة من القدسية والرهبنة، ولذلك توزعت السجون في الدولة العباسية بحسب الفئات المسجونة، حيث خصت المجرمين بمحبس لهم عرف بسجن الجرائم أفرد للمتهمين بجرائم القتل والسلب، وفي ذلك يقول أبو العتاهية فلما امتنعت عن قول الشعر وتركته، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم وهو في مدينة الرصافة ... فلما أدخلته دهشت وذهل عقلي ورأيت منظرا هالني⁽¹⁾.

كما كان للزنادقة سجن خاص بهم عرف بسجن الزنادقة. وكان للثوار حبسهم الخاص لاسيما في عهد المنصور، حيث اتخذ سجنا في باطن الأرض ورفع فوقه منارة، و قد كان كالبرر العظيم قد حفرت إلى الماء القريب منه، تم فيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه وله من داخله مدرج قد جعل من مواضع التدرج مستراحات، وفي كل مستراح شبيهه **بالبيت يجلس فيه رجل واحد كأنه إلى مقداره يكون مكبوبا على وجهه وليس يمكنه أن يجلس**

¹- التونخي (أبو علي المحسن بن علي)، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشاحي، دار صادر، بيروت، 1987، ص 116. ينظر أيضا البرزة، م.س، ص 120.

ولا يمد رجله⁽¹⁾.

وهكذا كان بنو العباس الأكثر استعمالا للسجون في تاريخ الإسلام، وممن داقوا مرارة سجونهم أكثر من غيرهم نجد العلويين، وخاصة بعد ثورة محمد النفس الزكية وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن.

أفرد عدد كبير من الدراسات للحديث عن تطور المؤسسة السجنية بالتاريخ الحديث والمعاصر سواء العربية أو الأوربية، وعقدت ندوات ومحاضرات، وقد أشرنا إلى العديد منها في بداية الدراسة.

المبحث الثاني: نشأة السجون بالمغرب الوسيط

إن الحديث عن مؤسسة سجنية قائمة البنين في المغرب خلال العصر الوسيط، يعتبر مغامرة محفوفة بالمخاطر، حيث لا تساعد المادة المصدرية في ذلك بالشكل المطلوب، فكل النصوص المتوفرة تطرقت لهذا الموضوع بنوع من التعميم وبشكل عرضي، ويزداد الأمر غموضا وتعقيدا أثناء التأريخ لهذه المؤسسة خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، وخاصة مع غياب المصادر التي تؤرخ لهذه المرحلة جراء ضياعها، ولكن يمكن الجزم انطلاقا من التلاحق الثقافي والأسفار المتعددة بين المشرق والمغرب والامتزاج العرقي والاجتماعي، بأن السجن في المغرب قد لا يختلف كثيرا عنه بالمشرق، إذ استعملت القلاع والدور والدواميس في ذلك، ففي مدينة غدامس استعملت الكاهنة دواميس **وكهوبا كسجون**، وفيها **غرائب من البناء والآراج المعقودة تحت الأرض**⁽²⁾، والأكيد أن هذه الكهوف والدواميس لم تكن في الأول مخصصة للسجن نظرا لطبيعة بنائها، لكن الكاهنة اضطرت إلى ذلك نتيجة كثرة المواجهة مع الفاتحين المسلمين.

لم يستعمل القواد المسلمون السجن وإنما التجأوا إلى الحبس الاحتياطي، وخاصة في إطار الصراعات التي قامت بينهم، فغالبا ما كانوا يكبلون الموقوف ويوثقونه في الحديد، فأبو

¹ - البرزة ، م.س، ص 118.

² - الحميري، م.س، ص 427.

المهاجر دينار والي إفريقية عزل عقبة بن نافع "وسجنه وأقره حديدا حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله"⁽¹⁾، وجاء رد فعل عقبة بن نافع سريعا عندما رجع لولايته على إفريقية، " فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد وأساء عزله وغزا به معه إلى السوس وهو في حديد "⁽²⁾. وفي هذا الصدد يشير الباحث مصطفى نشاط أن الإشارات التي تخص "استعمال السجن وسيلة للعقاب" هي إشارات نادرة حيث استعمل في إطار تصفية الحسابات الشخصية⁽³⁾، ولعل المانع من استعمال السجن في هذه الفترة هو الحملات المتوالية التي قادها الفاتحون في المغرب، التي كانت تتطلب في كثير من الأحيان مواجهات حاسمة تقتضي أساليب أخرى في العقاب غير السجن، إضافة إلى عدم استقرار الولاة لمدة طويلة، فغالبا ما كان يتم عزلهم وتنصيب آخرين مكانهم، وعرفت هذه الفترة من تاريخ المغرب ظاهرة السبي، حيث التجأ الفاتحون العرب لإرسال السبايا نحو المشرق وبالتالي لم تكن هناك حاجة للسجون.

وبإلقاء نظرة متمعنة في تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ومقابلة الروايات التاريخية التي توفرها مصادر المرحلة، نجد أن ميل الفاتحين لأسلوب العنف والتصفية غلب على منطق العقوبة الحبيسة، فسياسة عقبة بن نافع إزاء المدن المفتوحة اتسمت بكونها عنيفة، فغالبا ما كان يعتمد أسلوب بتر أحد أعضاء الجسد تأديبا لمن يحارب العرب، فعندما دخل مدينة ودان وافتتحها أخذ ملكهم فجدع أذنه، وقال فعلت هذا بك أدبا لك إذا أمسست أذنك ذكرته فلم تحارب العرب⁽⁴⁾، ولما دخل مدينة حرمة سحب ملكها حتى بصق الدم⁽¹⁾،

¹ - ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص 56.

² - نفس المصدر ، ص 58.

³ - نشاط، م.س، صص 17-18.

⁴ - ابن عبد الحكم، م.س، ص 51.

كما قام عقبة بقطع أصبع ملك مدينة خاوار تأديبا له⁽²⁾.

يؤكد باحث معاصر ان بلاد الغرب الإسلامي عرفت بناء سجون من قبل بعض الخواص كما كان الشأن بمصر⁽³⁾، إلا أن النصوص المتوفرة تذهب عكس ذلك بالنسبة للمجال المدروس، وينطلق الباحثان لحسين بولقطيب ومصطفى نشاط، من قضية مردها أن السجون لم تكن قائمة بالمغرب الأقصى خلال المرحلة السابقة عن المرابطين⁽⁴⁾، وعوضتها الدور، ويستشف الباحث مصطفى نشاط فرضيته هذه من كون الأمير المدراري عندما علم بوجود الداعية الشيعي عبيد الله المهدي وابنه القاسم بسجلماسة، ألقى القبض عليهما وأودعهما بدارين اتخذهما الأمير المدراري حبسا⁽⁵⁾، إلا أننا نرى أن هذه الواقعة تؤكد باللموس خلاف ما ذهب إليه الباحثان من كون السجون لم تظهر إلا خلال الفترة المرابطية، حيث أن وظيفة الدارين هنا تحولت انطلاقا من قناعة راسخة لدى الأمير المدراري إلى وظيفة جديدة وهي ضرورة وجود بناء خاص لتنفيذ العقوبة الحبسية.

إذا كانت قضية السجن يلفها الكثير من الغموض بالمغرب الأقصى، فإن الامتداد المجالي للمغرب يفترض وجود هذه المؤسسة في مختلف ربوع الغرب الإسلامي، إذ تشير المصادر إلى تعدد السجون بالقيروان، فالناصرى يوردها بصيغة الجمع عند حديثه عن ولاية إلياس بن حبيب على المغرب حين يقول⁽⁶⁾ "وخرج إلياس لقتالهم فخالفوه إلى القيروان وملكوها عليه وفتقوا السجون". ولعل المكانة التي كانت تخص بها مدينة القيروان لدى الفاتحين المسلمين، كنقطة عبور بين المشرق والمغرب، جعلها تحظى بنصيب وافر من السجون.

¹- نفسه ، صص51-52.

²- نفسه، ص 52 .

³ - HNTATI (Nejmeddin), *La prison en occident musulman médiéval*, arabica, tome 54, N2, 2007,p 187.

⁴- بولقطيب، م.س، ص 4، نشاط، م.س، ص 18.

⁵- نشاط، م.س، ص 18.

⁶- الناصري، م.س، ج 1 ، ص 177.

وينطبق الأمر على الضفة الشمالية في وبرة السجون، حيث انتشرت في معظم المدن الأندلسية، فكان لكل مدينة سجن خاص بها ينسب إليها، وهو الأمر الذي ساد بالمغرب الأقصى في فترة المرابطين وما بعدها⁽¹⁾.

عرفت الأندلس في فترة الخلافة الأموية عددا كبيرا من السجون، إلا أن السمة التي تميزها أنها كانت سجونا مركزية تقع بمدينة قرطبة حاضرة الأندلس، التي عرفت عددا كبيرا من السجون منها ما كان مستقلا مفرد البناء، ومنها ما كان مرتبطا بالقصر. ومن أشهر سجون قرطبة المستقلة سجنها الكبير الذي كان مجاورا للقصر وبالقرب من وادي المدينة، إذ كان المسجونون يخرجون في اتجاه الوادي لقضاء حوائجهم أو للوضوء، وهو السجن الذي أورده ابن الأبار بكون أهله ينزلون إلى النهر الأعظم _ قريهم _ للظهور والوضوء على سرداب اتخذ لهم تحت الأرض، كان مكانه يومئذ لصق القصر على الهبط والرقباء عليهم⁽²⁾، وهو السجن الذي عرف بحادثة فرار أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري⁽³⁾، السجن نفسه اشتهر بإيواء عدد كبير من الشخصيات كالفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني وعبد الملك بن الشعيب⁽⁴⁾ وعيسى بن قرلمان الملقب بالزيركة ومؤنس الكاتب الكاتب ومحمد بن الأسعد الملقب بصدام الكاتب⁽⁵⁾.

اشتهر الحبس في قرطبة بعدة أسماء، فذكره ابن عذاري⁽⁶⁾ بسجن العامة عندما قال في معرض حديثه عن اقتحام قرطبة من قبل محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي سنة (39هـ/1009م) "وأرسل محمد للوقت من كسر سجن العامة فانطلق جميع من كان فيه من

¹ - سبقت الإشارة في متن الدراسة إلى أن الباحثان مصطفى نشاط والمرحوم الحسين بولقطيب توصلا إلى استنتاج مفاده

أن السجون القائمة بذاتها لم تظهر إلا خلال الفترة المرابطية وما بعدها.

² - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 2، ص 351.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - ابن حيان، م.س، ص 88. ولإطلاع على شخصيات أخرى يمكن مراجعة ص 200 من المصدر نفسه.

⁵ - نفسه، ص 73.

⁶ - ابن عذاري، م.س، ج 3، ص 56.

للصوص والدعار وأصحاب الجرائم وسارعوا إلى محمد فاستعان بهم"، وسماه ابن الخطيب⁽¹⁾ بسجن العامرية إذ يقول في الحادثة نفسها "وجعل يحركهم على العامرية ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه وبادر بكسر سجن العامرية وفيه اللصوص والدعار وأرباب الجرائم"، كما عرف سجن قرطبة باسم **السجن القديم** ⁽²⁾.

ومن السجون المفردة البناء نجد في قرطبة سجنا آخر أطلق عليه اسم سجن الرهائن أو دار الرهائن، يتضح من خلال هذا الاسم أنه كان مخصصا للرهائن، وهو السجن الذي أورده ابن القوطية⁽³⁾ "فمن أخباره أنه خطر بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة ورهائن بني قيسي ينشدون شعر عنثرة".

النوع الثاني من سجون قرطبة هي السجون الملحقة بالقصر، التي كانت تشكل جزءا أساسيا منه ومن أهمها سجن الدويرة، ومن خلال التسمية يتضح أنه سجن صغير الحجم كان يضم مجموعة من الموقوفين في إطار الحبس الاحتياطي (الاستيقاف)، وما يؤكد ذلك كون الوزير بن شهيد هدد بوضع أحد أبناء الأمير محمد بن عبد الرحمان الثاني في ذلك السجن⁽⁴⁾، وحبس في هذا السجن مجموعة من الفقهاء⁽⁵⁾، واستخدم هذا السجن لاعتقال الخاصة من أمراء ووزراء، نورد أسماءهم في الجدول الآتي:

¹ - ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إيفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص 110.

² - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل آسين، مدريد، 1983، ج 1، ص 33.

³ - ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن مزاحم الأندلسي)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص 107.

⁴ - نفسه، ص 99.

⁵ - نفسه، صص 72-73.

جدول: نزلاء سجن قرطبة

المصدر	التهمة	الآمر بالسجن	سجناء الدويره
ابن حيان، م.س، ص 120.	—	—	القاسم وعبد الملك وعبد العزیز أبناء العباس المرواني
ابن عذاري، م.س، ج2، صص 150-151.	الثورة	الأمير عبد الله بن محمد	القاسم بن محمد
العذري الدلائي (أحمد بن عمر بن أنس)، نصوص عن الأندلس ⁽¹⁾ .	أخذوا رهائن في ثورة سرقسطة	الإمام محمد عبد الرحمان الثاني	فرتون بن موسى ومطرف بن موسى
العذري، م.س، ص 72.	الثورة على السلطان	عبد الرحمان الناصر	يحيى بن محمد بن عبد الملك

ومن أشهر سجون الأندلس المتصلة بقصر الخلافة سجن المطبق، وهو السجن الذي
يقام تحت الأرض أو في جوف الأرض، وكان الغرض من هذا الحبس إبعاد الموقوف عن
الناس وجعله قريباً من الحاكم، حيث يؤكد بروفنسال أن هذا الحبس كان يقع تحت الأرض

¹ - من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز
الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، دت، ص 34.

في القصر وأنه كان مخصصا لمن حكم عليه بالإعدام⁽¹⁾، كما كان معدا للمحكوم عليهم بالسجن المؤبد مدى الحياة⁽²⁾. والراجح أن هذا النوع من السجون لم يكن سائدا في العالم الإسلامي ولا في بلاد المغرب، لأن أغلب الدراسات والمصادر لم تشر إلى سجون بهذا الاسم قبل الخلافة العباسية، على الرغم من كون الدواميس التي استعملتها الكاهنة كانت بمواصفات سجن المطبق نفسها، فقد ارتبط سجن المطبق في النصوص التاريخية بمدينة بغداد بعد بنائها من قبل أبي جعفر المنصور، وخصص هذا النوع من السجون لكل مباح وموال لآل البيت.

ويتميز سجن المطبق بكونه سجنا مظلما لا يعرف فيه المحبوس الليل من النهار، إذ يصف ابن الأبار مكان سجن القاضي عبد الملك مروان بن عبد العزيز الثائر ببلسنية أيام الثورة على المرابطين بكونه سجن في بيت مظلم، كان لا يعرف النهار فيه من الليل وترك أوقاتا دون غذاء ولا ماء⁽³⁾، ويصفه ابن الخطيب⁽⁴⁾ بكونه مطبق عميق القعر مقفل المسلك حريز القفل، وذكرت المصادر العديد من الشخصيات التي زج بها في سجن المطبق بالأندلس بتهم مختلفة، كما يفصح عن ذلك الجدول التالي:

¹– LEVI-PROVENCAL(E), Histoire de l'Espagne musulmane, Maisonneuve et Larose, Paris 1950, T III, pp 89-92.

²– ابن حيان، م.س، ص325.

³– ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج2، ص225.

⁴– ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج3، ص106.

جدول: نزلاء سجن المطبق بالأندلس

الإسم	الآمر بالسجن	المكان	التهمة	المصدر
أبو جعفر بن عثمان المصحفي	المنصور ابن أبي عامر	المطبق/ قرطبة	دعوة رجل ظلمه وحبسه زمن الخليفة عبد الرحمان المنصور	ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 270.
عبد الملك بن هشام الرضي	عبد الرحمان بن معاوية	المطبق/ قرطبة	نكبه أبوه وبقي في السجن 19 عاما بسبب التآمر	ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 5، ص 289.
أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري (ابن الأثبلي)	هشام بن الحكم المرواني (المؤيد)	المطبق/ قرطبة	التهمة في دينه مع عدد من الأطباء	ابن بسام، م.س، القسم 1، مج 1، ص 282، والحموي (أبو عبد الله ياقوت)، معجم الأدباء ⁽¹⁾ .
زعماء ثورة طليطة	الحكم بن هشام	المطبق/ قرطبة	الثورة والتمرد على طليطة	ابن حيان، م.س، ص 215.

¹- تحقيق إحسان عباس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج 1، ص 123 الترجمة 34.

			الربطي	
ابن دحية، م.س، ص 136.	تبيد الأموال	المطبق /قرطبة	عبد الرحمان بن الحكم	يحيى بن حكم الغزال

ابن الأبار، الحلة السيراء، م.س، ص 140.	-	المطبق/ قرطبة	المنذر بن محمد	هاشم ابن عبد العزير
ابن حيان، م.س، ص 122.		المطبق/ قرطبة	عبد الله بن محمد	-هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن أمية. -مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن أمية. -سعيد بن وليد الشامي. -أحمد بن هشام بن عبد الرحمان. -موسى بن محمد بن زيا.

ابن بسام، م.س، ق1، مج1، ص 332.	سجنهم المستكفي مخافة تأليب الناس عليه	المطبق/ قرطبة	المستكفي بالله	-أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم. -أبو المغيرة عبد الوهاب ابن حزم.
ابن بشكوال، الصلة، م.س، ج2، ص400.	-	المطبق/ قرطبة	-	أبو محمد عبد الله بن سعيد بن محارب القرطبي
ابن الأبار، الحلة السيراء، م.س، ج1، صص 94-95.	التأمر مع أبي عبد الله بن ناصر لأخذ الحكم	المطبق/ الزاهرة	الخليفة الناصر	-أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي. -أبو عمر أحمد بن سعيد الأموي الطار.
القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ⁽¹⁾ .	تهمة القيام على ابن المؤيد وابن أبي عامر	المطبق/ الزاهرة	هشام المؤيد	أبو عبيد الله قاسم بن خلف الجبري
ابن بشكوال، م.س،	بسبب	المطبق/ الحكم	الحكم	أبو عمر يوسف بن

¹ - ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج 2، ص 89 و 111.

هارون الكندي الرمادي	المستنصر	الزهراء	أشعاره التي يهجو بها الخليفة	ج3، ص169.
أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي	المنصور ابن أبي عامر	المطبق/ الزهراء		المراكشي، م.س، ص 70، وابن عذاري، م.س، ج2، ص 269.
أبو مروان عبد الملك الجزيري	المنصور ابن أبي عامر	المطبق/ الزهراء		ابن الأبار، الحلة السيراء، م.س، ج1، صص 220-221.
أبو عبد الله محمد بن مسعود الغساني البجاني	المنصور ابن أبي عامر	المطبق/ الزهراء	الانتساب إلى الزندقة	ابن بسام، م.س، قسم 1، مج 1، ص 562 و564.

والواضح انطلاقاً من الشخصيات التي سجنّت في سجن المطبق، أنه كان مخصصاً لكبار القوم (الخاصة). وكان سجن المطبق هذا يضم مجموعة من البيوت استخدمت سجونا انفرادية، وهو ما تفيد به الإشارة التي أوردها ابن عذاري⁽¹⁾ في معرض حديثه عن محنة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي أيام المنصور بن أبي عامر حيث قال: "فما لبث في السجن إلا أياماً وأخرج ميتاً وأسلم إلى أهله، فقبل قتل خنقا في البيت المعروف بيت البراغيث".

¹ - م.س، ج2، ص270.

ومن السجون المعروفة بالأندلس واللصيقة بقصر الخلافة ما يعرف بدار البنيقة، وفيه قال ابن عذاري⁽¹⁾ عن محنة القاسم بن محمد عندما حبسه الأمير عبد الله بن محمد، "فلما كثر بذلك الرفع إليه، وتتابع الكلام فيه عليه رأى بمقتدى الرئاسة وحكم التدبير والسياسة أن يحبسه في دار البنيقة من القصر حتى يكشف هذا الأمر".

كل هذه الإشارات عن مادة السجن في الضفة الغربية من العالم الإسلامي تبرهن على مدى أهمية هذه المؤسسة في النظم السياسية للدول الحاكمة، وهو الأمر الذي ينطبق على المغرب بعد تأسيس الدولة المرابطية واتساع أطرافها شرقا وشمالا وجنوبا، إذ ستحتضن مؤسسة السجن بأهمية قصوى في سياسة الأمراء والخلفاء بالمغرب، وهو ما سنعرض له في مبحث لاحق.

المبحث الثالث: وظيفة السجن بالمغرب الوسيط

مارست المؤسسة السجنية دورا مهما في الفكر التأديبي، وكانت نقطة تحول مهمة في منطق العقاب الذي كان يروم دائما قمع الجناة والشاذين وجعلهم عبرة، فغالبا ما استخدمت عقوبات من قبيل الحرق وقطع الرأس والصلب.. وقد عوض السجن مثل هذه العقوبات في بعض الأحيان، حيث لم يعد الهدف التغلب على الجسد نهائيا عن طريق سحقه وإبادته، وإنما أصبح الهدف هو ترويضه وتدجينه ومراقبته⁽²⁾.

إلا أن الباحث في تاريخ المغرب الوسيط يندهش من تعدد الوظائف التي أسندت إلى السجن، في علاقة بعقلية السلطة الحاكمة. إذ لم تكن هذه الوظائف مستقرة ودائمة، وإنما ارتبطت بوضعية معينة تتحكم فيها أهواء رجالات الدولة (الوزراء والأمراء والفقهاء والكتاب والحجاب). فقد وظفت السجن بالمغرب للانتقام منذ بداية العصر الوسيط فاستعملت في

¹- نفسه، ص 150.

²- ميشيل فوكو، م.س، ص 138.

تصفية الحسابات الشخصية، ولعل أهم الإشارات المؤكدة لذلك، الصراع بين أبي المهاجر دينار وعقبة بن نافع استعمل السجن في الأول: سجن أبو المهاجر دينار لعقبة، لتصفية الحساب، والثاني: سجن عقبة لأبي المهاجر دينار، للانتقام.

مارس السجن وظيفة تأديبية في بعض الأحيان وخاصة مع بعض الشخصيات البارزة. إلا أن هذا النوع من السجن كان أشبه بالإقامة الجبرية (الاحتجاز)، ففي سجن أغمات احتجز أبو عبد الله بن عبد المومن الموحد تأديباً له على معاقرة الخمرة⁽¹⁾.

استعمل السجن في كثير من الأحيان في إطار الصراع حول السلطة، وهذه الوظيفة ظلت مرتبطة بالسجن، خاصة بعد فترة انتقال الحكم، وأكد الباحث مصطفى نشاط " أن الحكم في بعض الأحيان كان يحسم داخل الأسرة الحاكمة بالعنف"⁽²⁾، مستدلاً بأنموذج ورد عند صاحب المعزى يقول فيه "أن الخليفة عبد المومن الموحد سجن نساء الأمير علي بن يوسف ونساء أولاده، ولم يسرحهم إلا بعد تدخل من الولي أبي شعيب الدكالي"⁽³⁾، ويضيف الباحث مثالا آخر ورد عند ابن عذاري يخص المرحلة المتأخرة من الحكم الموحد حيث اعتقل أبو إسحاق بن الشيخ وزير يحيى بن الناصر، أبناء الخليفة المأمون⁽⁴⁾.

استعمل السجن كذلك كمرحلة احتياطية حتى يحسم في أمر العقاب الذي يستحقه المسجون، ففي عهد الدولة الموحدية سجن يصلان ابن المعز (احتياطياً) حتى نفذ فيه حكم الخليفة عبد المومن بن علي الكومي، إذ أمر عبد الله بن سليمان بالتحايل عليه لقتله، لكن هذا الأخير كبله وجاء به إلى سبته وسجنه⁽⁵⁾، فلما وصل عبد الله إلى مراکش " قال له

¹- ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 78.

²- نشاط، م.س، ص 32

³- نفس المرجع والصفحة.

⁴- نفس المرجع والصفحة.

⁵- البيهقي الصنهاجي، م.س، ص 75.

الخليفة ما فعلت في الذي أمرناك؟ فقال له عبد الله سجنته، فقال له الخليفة سر واضرب عنقه فمشا إلى سبته وضرب عنقه وصلب بالبينة والإشهاد"⁽¹⁾. وكذلك كان بخصوص قضية القائد الشرقي بن أبي جعفر، حيث قبض عليه " وسير مكبولا في الحديد إلى سجن إشبيلية، وبقي إلى أن نفذ الأمر بصلبه فصلب في الرملة تحت قصر ابن عباد "⁽²⁾.

واستغل بعض الخلفاء بالمغرب السجن والسجناء كوسيلة لإظهار عطفهم وعفوهم، فكثيرا ما كانوا يوظفون السجناء لاستمالة قلوب الرعية، وسنأتي على ذكر ذلك في مبحث لاحق.

¹ - نفس المصدر والصفحة.

² - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص122.

الفصل الثالث

العقوبات البديلة لعقوبة السجن بالمغرب الوسيط

المبحث الأول: أنواع العقوبات

- 1- عقوبة قطع الرأس
- 2- عقوبة الصلب
- 3- عقوبة الخنق
- 4- عقوبة النفي والتغريب
- 5- عقوبة بتر أعضاء الجسد
- 6- عقوبة الحرق
- 7- عقوبة الإهانة والتشهير
- 8- عقوبات أخرى

المبحث الثاني: المقاربة الفقهية للعقوبات

الفصل الثالث: العقوبات البديلة لعقوبة السجن بالمغرب الوسيط

لم يقتصر أمر العقاب في المغرب على السجن وإنما تعداه إلى عقوبات أخرى كانت أشد وطأة وعنفًا، وسنحاول في هذا الفصل التطرق لأنواع هذه العقوبات ومدى احترامها لمبادئ الشرع الإسلامي.

المبحث الأول: أنواع العقوبات

وصف الباحث الحسين بولقطيب حكام الدولة المغربية الوسيطة بكونهم يتميزون بالقسوة والاستبداد وسفك الدماء، وقد استدل على ذلك بالوصف الذي أورده ابن العماد الحنبلي⁽¹⁾ في حق الخليفة عبد المومن بن علي أول خلفاء الموحدين، هذا الوصف الذي جعل من عبد المومن الأنموذج الحقيقي للحاكم المطلوب خلال العصر الوسيط، إذ وصفه قائلاً وكان سفاكا لدماء من خالفه، سأل أصحابه مسألة ألقاها عليهم فقالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، فلم ينكر ذلك عليهم، فكتب بعض الزهاد هاذين البيتين ووضعهما تحت سجاده وهما:

ياذا الذي قهر الأنام بسيفه ❁ ماذا تضرك أن تكون إليها

ألفظ بها فيما لفظت فإنه ❁ لم يبق شيء أن تقول سواها⁽²⁾

وإن كان هذا الوصف يحمل ما يحمل من قيم المبالغة، فإن المطلع على مظان الفترة الوسيطة، تصادفه الكثير من الإشارات عن سلوك الخلفاء مسلك القوة والقهر وسفك الدماء، في تعاملهم مع المتمردين والثائرين على السلطة. وتقدم كتب الحوليات الكثير من الأمثلة

¹ ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1986، ج6، ص 305.

² نفس المصدر والجزء والصفحة.

على إقدام الخلفاء والأمراء على إبادة قبائل بأكملها بسبب رفضها الاعتراف بمشروعية سلطتهم.

أحاط الخليفة في العصر الوسيط نفسه بمجموعة من العملاء والجواسيس، يراقبون كل ما يدور في فلكه ويضبطون كل خارج عن سياسته، بل أكثر من ذلك لم يكتف الحاكم بما كان يصله من أخبار عن طريق عملائه، بل إن إمعانه في الاحتياط دفع بأحدهم إلى استعمال وسائله الخاصة لمعرفة ما كان يدور داخل دولته، فالخليفة الموحدى عبد المومن بن علي كان يتزي بزى العامة ليقف على الواقع⁽¹⁾.

لجأ حكام المغرب في العصر الوسيط إلى استعمال عدد كبير من العقوبات، كانت تروم في مجملها ردع الجناة، وجعلهم عبرة لكل من سولت له نفسه الخروج عن طاعة السلطة.

1- عقوبة قطع الرأس:

تعتبر هذه التقنية من أكثر التقنيات العقابية استعمالاً في التاريخ الوسيط، وكان الهدف منها إدخال الرهبة والخوف في نفوس الرعية حتى لا تفكر في الاقتداء بالثوار، ولعل هذه العقوبة تمتح من تراث المغرب القديم، إذ تم التأكيد على أن القضاء على الفتنة يبتغي قطع رأسها، وأكثر من ذلك فإن الرأس في المعتقد الإنساني يرمز إلى العقل المدبر، فالرأس هو المتحكم في سائر أعضاء الجسد ويقطعة تشل باقي الأعضاء، وغالبا ما ارتبطت هذه التقنية في العقاب بالمساجين الثائرين على السلطة.

بالغ أصحاب السلطة في كثير من الأحيان في تعاطيهم مع تقنية قطع الرأس، ومن أشهر الحوادث على ذلك ما قام به الأمير الأغلبى زيادة الله بن إبراهيم في إفريقية مع سجنائه، الثائر عمر بن معاوية القيسي وولديه حباب وسجمان، " حيث أقبل زيادة الله إلى

¹- نفس المصدر والجزء والصفحة.

السجن وبيده السيف فقتل عمر بن معاوية ثم رجع إلى قصره... فأمر بحباب أن يقتل وضرب عنقه ووضع الرأسين في ترس ودعا بسجمان بن عمر بن معاوية وقال له أتعرف هذين الرأسين؟ فقال أعرفهما ولا خير في الحياة بعدهما، فأمر زيادة الله بضرب عنقه وجعل رؤوسهم في ترس فشرب عليها ذلك اليوم مع أهل منادمتة⁽¹⁾.

يوضح هذا الحدث عقلية السلطة الحاكمة في هذه الفترة، التي كانت تروم إذلال وإهانة الخارجين عنها، وجعلهم عبرة في صورة تبعث نوعا من الرعب والرغبة في النفوس، ولعل لجوء زيادة الله إلى هذا الفعل لكي يجعل من الثائر وولديه عبرة لمن يقف في وجهه مهما علا مقامه وكثر أتباعه.

كما استعمل رجال السلطة طرائق وأساليب أخرى أكثر بشاعة في تعاملهم مع الرؤوس المقطوعة رغبة منهم في النيل أكثر من نفوس معارضيتهم، ومنها ما فعله إبراهيم ابن أحمد الأغلب، حيث " قتل من أهل تاورغا خمسة عشر رجلا وأمر بطبخ رؤوسهم مظهرا أنه يريد أكلها هو ومن معه من رجاله، فارتاع أهل العسكر منه"⁽²⁾.

وبالغ مؤرخو العصر الوسيط في تعاملهم مع ظاهرة قطع الرؤوس، حيث أن الأعداد التي قدموها بخصوص ما احتز من رؤوس تكاد تكون خالية من المصادقية، ويشوبها نوع من التضخيم في صورة هي أقرب إلى الأسطورة.

فقد روى ابن عذاري أن الحكم بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام قد " قتل من المشركين ما لا يحصى، واجتمع من رؤوسهم أكاداس كالجبال، حتى كان الفارس يقف من ناحية فلا يرى صاحبه من ناحية أخرى من عظمها"⁽³⁾.

¹ - ابن عذاري، م.س، ج1، صص 97-98.

² - ابن عذاري، م.س، ج1، ص129.

³ - م.س، ج2، ص85.

التضخيم نفسه نصادفه في فترة حكم الأمير محمد ابن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام، الذي خرج سنة 240 هـ إلى طليطلة، فقتل منها العدد الكثير "وحيز من رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس، وجمعت ورصعت فصار منها جبل علاه المسلمون يكبرون ويهللون"⁽¹⁾. إن مثل هذه الروايات تجعلنا نجزم إن صحت أن الفكر التأديبي في بعض فترات التاريخ الوسيط بالغرب الإسلامي وظف ما يعرف الآن بالإبادة الجماعية، ويجهر ابن عذاري⁽²⁾ في بعض رواياته بهذا المعطى إذ يقول "فانهزم المشركون من أهل طليطلة وأخذهم السلاح هذا بالسيوف وطعنا بالرماح فقتل زيادة الله عامتهم وأباد جماعتهم".

لم تقتصر السلطة في مسألة الرؤوس ببتها فقط، وإنما غالبا ما كانت هذه الرؤوس تنتقل من مكان إلى آخر، فتوظف كدليل قاطع على الانتصار أو القضاء على الفتنة، ففي سنة 181 هـ عندما ثار عبيدة بن حميد بطليطلة احتز رأسه وأرسل إلى عمر بن يوسف الذي بدوره قام بإرسال الرأس ورؤوس آخرين إلى قرطبة (مقر الخلافة)⁽³⁾، كذلك فعل الحكم برأس سليمان بن عبد الرحمان سنة 184 هـ⁽⁴⁾.

وكثيرة هي النصوص التي تورد إشارات عن لجوء السلطة إلى قطع الرؤوس وبأعداد كثيرة، " ففي سنة 176 هـ غزا يوسف بن بخت إلى جليقية فالتقى ببرمود الكبير ووضعه الحرب فانهزم عدو الله وانتهب المسلمون عسكره وقتل فيهم مقتلة عظيمة وحيز من رؤوسهم عشرة آلاف سوى من لم يتمكن منه"⁽⁵⁾، وحز من رؤوس أهل طليطلة سنة 240 هـ ممن

1- نفسه، ص 95.

2- نفس المصدر والجزء والصفحة.

3- نفسه، ص 69.

4- نفسه، ص 70.

5- نفسه، ص 63.

شاركة "في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس"⁽¹⁾، وفي سنة 243، "كانت وقعة عظيمة في أهل طليطلة، وذلك أنهم خرجوا إلى طلبيرة؛ فخرج إليهم قائدُها مسعود بن عبد الله العريف، بعد أن كمن لهم الكمائن؛ فقتلهم قتلا ذريعا، وبعث إلى قرطبة بسبعمئة رأس من رؤوس أكابره"⁽²⁾. وفي سنة 251 هـ كانت غزوة ألبة والقلاع بقيادة الأمير عبد الرحمان بن محمد، "وكان مبلغ ما حيز من رؤوس الأعداء في تلك الواقعة عشرين ألف رأس وأربعمائة رأس واثنين وسبعين رأسا"⁽³⁾.

عقوبة الصلب:

تكرر ذكر عقوبة الصلب في نصوص المصادر التاريخية الوسيطية، والمقصود به تثبيت شخص ما على جذع أو عمود من الخشب وينزل المذنب بعدها إلى الأرض، إلا أن ظاهرة الصلب في الغرب الإسلامي الوسيط ارتبطت أكثر بعرض الجثة بعد إعدامها، لأن

الهدف

من الصلب في هذه الحقبة من تاريخ المغرب، هو إشهار أمر المصلوب لكي يشيع أمره، ويبقى معنى الازدجار به⁽⁴⁾.

لقد اقترنت عقوبة الصلب في الشريعة الإسلامية بقطع الطريق المقترن بالقتل، بيد أن الحالات التي تصادفنا في كتب تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط تخالف ذلك، فأغلب المصلوبين هم من الثوار على السلطة.

اختلفت طرائق الصلب في المغرب الوسيط، لكن أجمعت كلها على التمثيل بالشخص

¹ - نفسه، ص 95.

² - نفس المصدر والجزء ص 96.

³ - نفسه، صص 98، 99.

⁴ - الحداد، م.س، ص 234.

المعاقب، وغالبا ما كان يتم اللجوء إلى الصلب على الأبواب وتحت القصور، ففي " سنة 281هـ أمر إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية ميمونا الحبشي أن يسير إلى تونس فيقتل جماعة من بني تميم وغيرهم فقتلوا وصلبوا على بابها"⁽¹⁾، وكذلك فعل زيادة الله بقاتلي والده حيث أمر بصلبهما على باب الجزيرة وباب القيروان بعد أن قطعت أيديهما وأرجلهما، وصلب القائد الشرقي ابن أبي جعفر وسير مكبولا إلى سجن إشبيلية، وبقي إلى أن صلب تحت قصر بن عباد⁽²⁾.

تمت الإشارة إلى أن جل حالات الصلب تتم بعد عملية القتل، لكننا لا نعدم إشارات إلى من صلبوا أحياء، ففي أخبار الثائرين على المهدي بن تومرت، صلب الغياتي المسمى بسعيد في فحص آداد في طريق فاس، كما صلب يوسف الجياني بمدينة فاس، وصلب معاد المسطاس القائم بملوية بمراكش، إلى أن عفى عنه الخليفة بعد أن جاءه الأمر بتوحيده وسجنه في دار ابن عروس حتى مات⁽³⁾.

لم تتورع السلطة في عملية صلب الجثة كيفما كانت حالتها، وتتكيفا بصاحبها كانت تصلب حية مبنورة الأعضاء أو مقطوعة الرأس أو مبنورة الأيدي والأرجل، فقد صلب يصلسن في مدينة سبتة ورأسه مقطوعة، وصلب ابن قرهب وأصحابه على يدي عبید الله بعد أن ضربوا بالسياط وقطعت أيديهم وأرجلهم⁽⁴⁾، وحمل الثائر على إفريقية عبد الله بن الوليد بن المغيرة هو وصاحبه على جملين وطيف بهما فضربت أعناقهما ورفعوا وصلبا.

لا يمكن انطلاقا من النصوص الوسيطة إعطاء وصف دقيق للأداة المستخدمة في الصلب، وتفيد الإشارات القليلة عن هذه الأداة أن السلطة استعملت قطعة خشبية ترفع عليها

¹ - ابن عذاري، م.س، ج1، ص129.

² - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص122.

³ - البيهقي الصنهاجي، م.س، صص 83-84.

⁴ - ابن عذاري، م.س، ج1، ص174.

الجثة بعد تثبيتها، فقد قام عاصم بن مسلم بحلق رؤوس ولحي بعض الأسرى وألبسهم جباب الصوف وأدخلهم في السلال، " فأتى بهم على تلك الحال إلى خشب قد أعدت لهم فصلبوا فيها⁽¹⁾، وفي سنة 237هـ رفع رجل على خشبة مصلوبا بعد أن ادعى النبوة⁽²⁾، وعلى الخشبة نفسها صلب عيشون على يد الأمير المنذر سنة 274هـ وصاب على يمينه خنزيرا وعلى يساره كلبا⁽³⁾.

3- عقوبة الخنق:

الخنق هو الضغط على الرقبة بأي وسيلة ممكنة سواء باليد أو بالحبال أو بقطعة من قماش، وقد استعمل هذا الأسلوب في حالات متعددة، فقد قتل إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي المعروف بالقوس خنقا بأمر من أبو عبد الله الشيعي⁽⁴⁾.

من أشهر عمليات الخنق ما تعرض له محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الله المومن، بعد أن تمت توليته على رأس الموحدين، فلم يحسن التدبير ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته بمراكش⁽⁵⁾. وأكثر حالات الخنق تمت داخل حجرات السجن على يد الحراس والسجانين بعد أمر السلطان أو الوالي.

4- عقوبة النفي والتغريب:

تعتبر عقوبة النفي من أشهر العقوبات التي استمرت في عهد ما قبل الإسلام إلى

¹ - نفسه، ج2، ص 53.

² - نفسه، ص 90 .

³ - نفسه ، صص 116- 117.

⁴ - نفسه، ج1، ص150.

⁵ - مقديش (محمد بن سعيد)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ج2، ص 441.

حدود العصر الإسلامي، وتستمد عقوبة النفي مشروعيتها من القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ
الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (1)، " ويكون النفي عادة من بلد إلى بلد داخل حدود دار
الإسلام" (2).

وقد أفرد الباحث حميد الحداد لموضوع النفي دراسة خاصة موسومة بالنفي والعنف
في الغرب الإسلامي (3) أدرج فيها تعريفا للنفي وتفصيلا لأسبابه، مع ذكر طبقات المنفيين.
استعمل هذا الأسلوب من العقاب في حق كل معارض وناظر على السلطة، سواء أكان فرديا
أو جماعيا، وفي حالات أخرى استعمل "أسباب مرتبطة بالصراعات العائلية على السلطة،
وخلع الطاعة، والفرار من المعارضة، والاستعانة، ومحاولة قلب نظام الحكم، والخيانة
السياسية، وإساءة التصرف مع أولي الأمر، ورفض الخضوع لأوامر الحاكم" (4).

وكثيرا ما لجأ خلفاء وأمراء المغرب إلى هذه الوسيلة من العقاب وطالبوا ولائهم
وعمالهم بتنفيذها، فقد كتب يوسف بن تاشفين إلى أهل مكناسة "ولا تجعلوا للعقوبة عليكم بدا
ولا سلطانا واعلموا أن من نزع بينكم أو نفتت في فتنة بضرر عام، عندنا عليه الدليل أخرجناه
عنكم وأبعدناه منكم فاتقوا الله" (5).

1- سورة المائدة، الآية 35.

2- الحداد، م.س، ص 18.

3- م.س.

4- نفسه، صص 29-30.

5- ابن خاقان، م.س، ج 1، ص 312.

تعددت مجالات النفي في العصر الوسيط، وتعتبر مدينتي قرطبة ومراكش من أهم المدن التي استقبلت طبقات المنفيين، ولعل ذلك راجع لكون الأولى مارست دورا سياسيا كبيرا باعتبارها عاصمة للخلافة والمركز الثقافي الرئيسي بالأندلس⁽¹⁾، والثانية بفضل عاملي الأمن والاستقرار إضافة إلى رغبة السلطتين المرابطية والموحدية في مراقبة المعارضين أو من يشك في طاعتهم عن قرب⁽²⁾.

5- عقوبة بتر أعضاء الجسد:

تعتبر هذه العقوبة من أشهر العقوبات في التاريخ الإسلامي، لأنها ارتبطت بالسرقة وقطع الطرق، وذلك تنفيذاً للآيات القرآنية المنزلة في هذا الصدد، ففي حد السرقة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾ وفي قطع الطريق أو الحراقة قال عز وجل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾⁽⁴⁾.

ساد استخدام هذه العقوبة تكميلاً بالجناة وتذكيراً لغيرهم ممن تسول له نفسه التمرد على السلطة، فلكذلك فعل زيادة الله بقائلي أبيه حين أمر بقطع أيديهما وأرجلها وصلبا على باب القيروان وباب الجزيرة⁽⁵⁾، وعمد أبو زك تمام بن معارك الأجنبي إلى قطع أذان

¹ - الحداد ، م.س، ص 144.

² - نفس المرجع والصفحة.

³ -المائدة، الآية 38.

⁴ -المائدة، الآية 33.

⁵ - ابن عذاري، م.س، ج1، ص135.

الخارجين عن طاعة أبي عبد الله الشيعي⁽¹⁾.

ومن أبشع صور هذه العقوبة ما قام به نصير الدولة باديس صاحب افريقية تجاه يوسف بن أبي حبوس، فبعد أن حلق لحيته بمعية بكار بن جلاله الوتلكاني أمر بإحضاره وعدد عليه تساوي أفعاله وقبائح أعماله، ثم أمر به فجدع أنفه وقطعت أذنه ورفع بين يديه، ثم أعيد إليه فقطعت يداه جميعا، ثم أمر به إلى موضع اعتقاله فبات مشحطا في دمائه⁽²⁾.

كما سجل تاريخ المغرب الوسيط وجود عقوبة مرتبطة بقطع اللسان، ففي سنة 282 هـ ضم المطرف بن الأمير عبد الله إبراهيم بن حجاج وابن خلدون وابن عبد الملك الشذوني في السجن، وقطع لسان سحنون الكاتب وضرب ظهره⁽³⁾.

ونجد أنموذجا آخر لهذه العقوبة في العصر المريني، حيث عمد الأمير أبو عنان إلى التقبض على كاتبه في الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين، بعد اتهامه بممالة بني مرين في الإمالة عليه عن اللحقاق بمراكش من سجلماسة، وأثار حقه في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد إلى السلطان بأموال الجباية، ووسوس إليه في السعاية به كاتبه أبو عبد الله محمد بن أبي عمر، لما بينهما من المنافسة فامتحنه وقطع لسانه⁽⁴⁾.

6- عقوبة الحرق:

لم نصادف هذا النوع من العقوبات في المظان التاريخية التي اشتغلنا عليها، وربما مرجع ذلك إلى عدم تطرق المؤرخين لمسألة الحرق باعتبارها من العقوبات التي اختص بها الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: [إِنْ وَجَدْتُمْ

¹ - نفسه، ص 163.

² - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 265.

³ - نفسه، ج 2، صص 124-125.

⁴ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 596.

فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرَقُوهُمَا بِالنَّارِ]، ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج [إِنِّي كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا]⁽¹⁾، وفي حديث آخر حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أيوب عن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق قوما، فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال [لَا تُعَذَّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ] ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ]⁽²⁾.

وتبقى الإشارة الوحيدة التي وقفنا عندها في هذا الصدد، هي إقدام حاكم إفريقية على إحراق قاضيه بها على أكله أموال اليتامى⁽³⁾، ويتضح من خلال هذه الإشارة حضور عقوبة الحرق في الفكر التأديبي خلال العصر الوسيط، إلا أن المؤرخين غضوا الطرف عنها لخروجها عن مقتضيات الشرع الإسلامي بأحاديث نبوية واضحة، وإن خلقت هذه الإشارة الاستثناء فلكونها لم تخالف الشرع الإسلامي، حيث أن الحاكم قتل القاضي في مرحلة أولى ثم أحرقه بالنار⁽⁴⁾، وهو ما يعني أن عقوبة الحرق هنا لم يكن فيها تعذيب، وإنما تمت بعد القتل، وهو ما قام به علي رضي الله عنه مع جماعة الرافضة⁽⁵⁾.

7- عقوبة الإهانة والتشهير:

يتكرر ذكر عقوبة التشهير بوضوح في المصادر التي تعود إلى العصر الوسيط

¹ - صحيح البخاري، م.س، ص 743، حديث رقم 3016.

² - نفسه، حديث رقم 3017.

³ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 257.

⁴ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁵ - روي عن علي أن جاءه ناس من الشيعة فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا، قال: ويلكم ارجعوا فتوبوا، فأبوا فضرب أعناقهم، ثم قال: يا قنبر ائتني بحزم من الحطب فحفر لهم في الأرض أخدودا فأحرقهم بالنار ثم قال: لما رأيت الأمر أمرا منكرا ... أوقدت نارا ودعوت قنبرا. انظر:

العلواني (طه جابر)، لا إكراه في الدين إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003، ص 136.

بالغرب الإسلامي، وتسمى هذه الممارسة عادة بالتتكيل، والمراد بها جعل العقوبة علنية، وتتمثل في الطواف المذل والسحب في أرجاء المدينة في أحوال مختلفة، وكثيرا ما كانت تسبق عقوبة التشهير عقوبات أخرى كالجلد والقتل أو حلق اللحي، وقد يستعمل لوحده كعقوبة لعرض الجاني في وضع مزر إذلالا له وتشنيعا به.

وعرف التشهير في العصور الوسطى بالتجريس، فإذا أشهر شخص قالوا جرسوه، مرد ذلك أن أكثر الذين يشهرون يصحبهم شخص يحمل جرسا يدقه لتنبيه الناس إليه⁽¹⁾.

ولعقوبة التشهير في الغرب الإسلامي الوسيط أهميتها القصوى لحضورها الدائم في الفكر التأديبي للسلطة، لكونها عقوبة تستقطب حشودا كثيرة، ويكون الطواف عادة عبر جميع أنحاء المدينة مرورا بقصر السلطان وداخل الأسواق والساحات العامة⁽²⁾.

كثيرة هي الحالات التي يكون عليها المشهر به، لكن غالبا ما يركب على دابة من الدواب ويطاف به، ومن أشهر الدواب التي وضعت في عملية التشهير بالجناة نجد الجمال والبغال التي كانت أكثر استعمالا في الغرب الإسلامي، فقد حمل القائد جوهر الصقلي صاحبا فاس وسجلماسة ووضعهما في أقفاص من خشب على ظهور الجمال وطيف بهما في بلاد إفريقية وأسواق القيروان⁽³⁾. وهناك من طيف بهم على الحمير، ومنهم خليفة ابن مبارك وهو رجل من صنهاجة ثار على باديس بن المنصور بن يوسف بلكين صاحب إفريقية، فأركبه حمارا وحمل خلفه رجلا أسود يصفعه، وطيف به ولم يقتل احتقارا له بل سجن⁽⁴⁾. وكذلك فعل عاصم بن مسلم بابن عروة وهشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن

¹ - الشالجي (عبود)، موسوعة العذاب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت، ج3، ص 214.

² - لانغ كريستيان، العدالة والعقاب في المتخيل الإسلامي خلال العصر الوسيط، ترجمة رياض الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2016، ص142.

³ - ابن أبي دينار القيرواني (محمد ابن أبي القاسم الرعيني)، المونس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286، ص61.

⁴ - ابن الأثير، الكامل، م، س، ج9، ص128.

الخطاب وابن الوليد، حيث أدخلهم في السلال بعد أن ألبسهم جباب الصوف وحملهم على الحمر⁽¹⁾. الأمر نفسه قام به المنصور ابن أبي عامر مع الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب طليطلة، وأحد الخارجين عليه والمدبرين لانتزاع الملك منه فلما ظفر به أمر بتقييده، ثم أمر أن يطاف به على جمل وهو مقيد، إمعانا في إذلاله والتشهير به⁽²⁾، وزيادة في الكناية والتشهير به جعل معه مناديا ينادي هذا عبد الله بن عبد العزيز، المفارق لجماعة المسلمين النازع إلى عدوهم⁽³⁾. وفي حدث آخر أمر المعتمد بأبي بكر بن عمار وزيره صاحب قرطبة وإشبيلية أن يشهر على بغل بين عدلي تبين وتكون قيوده ظاهرة للناس⁽⁴⁾.

واستمرت هذه التقنية في التشهير على عهد الدولة المرينية، ومن أمثلة ذلك أن السلطان المريني عبد العزيز لما ثار عليه عامر بن محمد بالمغرب وباع أميراً من بني عبد الحق من أولاد ثابت اسمه تاشفين جرد جيشاً لمحاربتة وأسره وسلطانه تاشفين، فأمر السلطان بهما فأشهرهما على جملين وأفرغ عليهما الروث وعبثت بهما أيدي الإهانة ثم قتلتهما⁽⁵⁾.

ومن ألوان التشهير نجد شكلاً آخر وهو السحل، حيث تعدى الأمر الطواف بالمنكل بهم أحياء إلى سحلهم (سحب جثث القتلى والموتى)، ومن أمثلة ذلك أن السلطان المريني أبو العباس لما عاد إلى سرير ملكه قبض على ابن أبي عامر وكان يحقد عليه تصرفات

¹ - ابن عذاري، م.س، ج2، ص 53.

² - رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994، ج2، ص130. وأيضا ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج1، ص218.

³ - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج1، ص 220.

⁴ - المراكشي، م.س، ص93.

-CLAUDIO (Sanchez), Al-Borno: La Espana Musulmana Segun los Autores Islamitas y Cristianos Medievales- Espasa-calpe- Cuarta Edicion-2 Vols.- Madrid, 1974, p 88.

⁵ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، ص326.

أجراها معه بعد خلعه...، فاعتقله وامتحنه بالضرب بالسياط إلى أن مات تحت الضرب، ولما حمل إلى داره ميتا وأخذ أهله في تجهيزه ليدفن، أمر السلطان بأن يسحب في نواحي البلد، فحمل من نعشه وربط في رجله حبل وسحب في سائر المدينة، ثم ألقى على بعض المزابل⁽¹⁾.

وقد يشهر بالجاني بأن يسحب سيرا على الأقدام كنوع من الإهانة والإذلال، وفي كثير من الأحيان يجعل أمامه مناد ينادي عليه بما اقترف من الإثم أو وقع فيه من التقصير زيادة في الفضيحة والتشهير، وهو ما فعله أبو عبد الله الشيعي باليسع بن مدرار بسجلماسة، فبعد أن ظفر به طيف به في العسكر وضرب بالسياط ثم قتله⁽²⁾.

8- عقوبات أخرى:

تتعدد صنوف العذاب والعقوبات التي التجأت إليها السلطة في المغرب خاصة والغرب الإسلامي عامة، وكانت تهدف في مجملها إلى التكيل والإمعان في التعذيب تجاه كل من تعتبره خارجا عن سلطتها، واختلفت هذه العقوبات وصنوف التعذيب بين القتل بالجوع والعطش وبقر البطن والإبقاء في الشمس والإنتحار، ولكثرة النماذج والأمثلة في ذلك بمظان الفترة الوسيطية، سنورد بعضا منها في الجدول الآتي:

¹ - نفسه، ص 752.

² - ابن أبي دينار القيرواني، م.س، ص 52.

جدول: العقوبات السائدة في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

نوع العذاب أو العقاب	المكان	الأمثلة	المصدر
الجوع والعطش	الأندلس	ولما استولى محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش على مرسية وأعماله بالأندلس تنكر له أكثر رعيته فقتل من قواده جماعة بأنواع القتل، ومنهم من بنى عليه في حائط وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً.	المراكشي، م.س، ص 322.
	الأندلس	وكان السلطان محمد بن محمد النصري سلطان غرناطة المخلوع سنة 807 والمقتول سنة 810 عظيم القسوة اعتقل طائفة من مماليك أبيه، فسجنهم في مطبق بحمراء غرناطة وأقفل عليهم الأبواب ومنعهم القوت.	ابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج3، صص 555-556.
الفصد (نزف الدم)	افريقية	وغضب زيادة الله بن الأغلب صاحب افريقية (ت304) على طبيبه اسحاق بن عمران الملقب بسم ساعة فأمر به ففصد من ذراعيه جميعاً، وسال دمه حتى مات، ثم صلبه على جدع.	ابن جلجل الأندلسي (أبو داود سليمان)، طبقات الأطباء والحكماء ⁽¹⁾ .

¹ - ويليه تاريخ الأطباء والفلاسفة لاسحاق بن حنين، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، صص

<p>المقري التلمساني (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب⁽¹⁾. وابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ج5، ص214.</p>	<p>ولما اعتقل السلطان علي بن عثمان المريني سلطان المغرب، أخاه عمر وأحضره إلى فاس في سنة 734 فقتله فصدًا وخنقا.</p>	<p>إفريقية</p>	
<p>ابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج3، ص 305 و 311.</p>	<p>وقدم ابراهيم بن أحمد بن مفرج (ابن همشك) الموحدين وقدم مراکش 571هـ وأقام بمكناس حتى مات، وكان جبارا قاسيا عظيم العبث بالخلق، يحرقهم بالنار ويطرحهم من الشواهد.</p>	<p>المغرب</p>	<p>الرمي من الأعلى</p>
<p>ابن عذاري، م.س، ج1، ص220. وابن أبي دينار القيرواني، م.س، ص 59.</p>	<p>وقدم أبا يزيد إلى المغرب وأسره بعد عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات أبو اليزيد بعد أسره بأربعة أيام، فلما مات سلخ جلده ومأه قطنا.</p>	<p>المغرب</p>	<p>سلخ الجلد</p>
<p>ابن الأثير، الكامل، م.س، ج11، ص 120.</p>	<p>وفي سنة 542 فتح الحسن صاحب إفريقية... فثار أهل قابس بيوسف وسلموا البلد إلى الحسن، وأخذ يوسف أسيرا فقطعوا ذكره، وجعلوه في فمه.</p>	<p>إفريقية</p>	<p>قطع الذكر</p>

¹ - تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج5، صص 155-156.

الوقوف في الشمس	إفريقية	وقيل أن الوليد بن عبد الملك هو الذي نقم عليه وأقامه في الشمس يوما كاملا حتى خر مغشيا عليه.	ابن أبي دينار القيرواني، م.س، ص 36.
		وفي سنة 96 توفي الوليد بن عبد الملك في جمادى الأخير، وولى الخلافة سليمان فغضب على موسى غضبا عظيما وأمر عليه فأوقف في يوم شديد الحر في الشمس.	ابن عذاري، م.س، ج1، ص45.
الضرب واللطم	إفريقية	وفيها ضرب محمد بن العباس الهذلي الفقيه بالدرّة في الجامع عريانا وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه وبرح عليه في أسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشاركة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك.	ابن عذاري، م.س، ج1، ص182.
	بلاد كتامة	وهرب الثائر أبو الفهم إلى جبل وعر، فأرسل إليه المنصور من أخذه فلما صار بين يديه، أمر به فلطم لظما شديدا.	ابن عذاري، م.س، ج1، ص243.
بقر البطن	بلاد كتامة	بقيت في الثائر أبي الفهم حشاشة من الروح فأخذه بعض رجاله فنحروه	ابن عذاري، م.س، ج1، ص130.

	وشق بطنه وأخرجت كبده.		
ابن عذاري، م.س، ج1، ص130.	وفي سنة 284 كانت وقعت بنفوسة لأبي العباس ابن ابراهيم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر منهم نحو ثلاثمائة، فلما وصل بهم إلى والده ابراهيم أحمد دعا بهم ففرد إليه الشيخ منهم فقال له ابراهيم أقرف علي بن أبي طالب؟ فقال له: لعنك الله يا ابراهيم على ظلمك وقتلك! فذبح ابراهيم وشق عن قلبه وأخرجه بيده، وأمر أن يفعل بالأسرى كذلك.	نفوسة	
ابن عذاري، م.س، ج1، ص169.	وكان عبيد الله يمد حباصة بن اليوسف بالجيش... وتقل على أهل العافية منهم حتى لقد أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام فأضرم لهم النار وأجلسهم حولها وأمرهم أن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها، وقذفهم بعد ذلك في النار قال إن هذه الحمام تأتيهم بالأخبار من قبل بني العباس.	برقة	شي اللحم والإحراق

ابن عذاري، م.س، ج1، ص244.	وشق بطنه وأخرجت كبده فشويت وأكلت، وأخذ عبيد المنصور فشرحوا لحمه وأكلوه حتى إذا لم يبقى إلا عظامه متجردة.		
ابن الأثير، الكامل، م.س، ج8، ص431.	وفي سنة 394 قصد أبو زيد الخارجي مدينة تونس فدخلها بالسيف وقتل الرجال وسبى النساء ونهب الأموال وهدم المساجد، فانتحر الكثير من أهلها بأن رموا أنفسهم في البحر.	إفريقية	الانتحار ⁽¹⁾
ابن الأثير، الكامل، م.س، ج8، ص616.	وكان محمد قد عصى على المعز لدين الله بإفريقية وكثر جمعه فأمر المعز يوسف بالتخلص منه فبادر إليه يوسف... فلما رآه محمد جرد سيفه وانتحر به.	إفريقية	
ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، ص95.	وفي سنة 703 اشتد حصار السلطان يوسف بن يعقوب المريني بمدينة تلمسان، وكانت بحكم عثمان بن يغمراسن من بني عبد الواد، وضاق عثمان بالحصار درعا	تلمسان	

¹ - ويشير أحد الباحثين إلى أن الإنتحار هنا، هو وسيلة للتعبير عن فشل الذات، وانزعاجها لعدم انتباه الآخرين إلى الأوضاع الكارثية التي يمر منها المنتحر، فينتهي الأمر بفقدان تلك الذات لصوابها، انظر:

- MORON (P), Le suicide, edition que sais-je ? puf, Presses Universitaires de France, 5 edition, 1993, p7 et p73

	فانتحر بأن وضع سما في قدح من اللبن وشربه فمات.		
ابن الأثير، الكامل، م.س، ج10، ص580. وأيضا المراكشي، م.س، ص271.	وفي سنة 539 هـ حصل عبد المومن أمير الموحدين بمدينة وهران بالمغرب ونزل تاشفين أمير المسلمين بظاهرها على البحر وفي ليلة 27 رمضان صعد تاشفين إلى الربوة المطلة على البحر بأعلاها تنية يعمرها المتعبدون ... وأحرقوا عليه باب الرباط... ركب فرسه واخترق النار ثم أقحمه الوادي فتردى هو وفرسه من جرف عال على الحجارة فمات منتحرا.	وهران	

المبحث الثاني: المقاربة الفقهية للعقوبات

من خلال دراستنا لموضوع العقوبات في العصر الوسيط، يتضح جليا أن أغلبها لم يوافق الشريعة في شيء، ومن خلال المقارنة ما بين الجانب العلمي التطبيقي وبين الجانب النظري الفقهي نلاحظ فرقا شاسعا ما بين الجانبين، ذلك أن الخطاب الفقهي النظري لا يتعلق بالممارسة الجزائية إلا قليلا.

لم تستند أغلب العقوبات لنصوص الفقه الإسلامي وإنما ترك أمر الفصل فيها للولي أو السلطان، وإذ كان التعزير يعتبر صنفا ثانويا في فقه الجنايات الإسلامية وفي الممارسة،

فقد أصبح خلال العصر الوسيط صالحا لكل مناسبة، إذ لجأت إليه السلطة الحاكمة لتوقع العقوبات على الناس لا على أساس الشريعة، بل على أساس المصلحة العليا للدولة أو المصلحة الشخصية.

لقد أرغمت السلطة الرعية بقبول صنوف التعذيب في حالة الخروج عن طاعتها من خلال إرغامها على الإيمان بهذه الألوان بوصفها من نتائج الحكمة الإلهية الموجهة نحو تحقيق المصالح ودرء المفسد، فهذه العقوبات إذا كان بعضها أخرويا مرتبطا بالعقاب الإلهي فإنها تصبح بحكم الإيمان جزء من المنظور الاجتماعي والأخلاقي الذي يجب أن يتقبله الفرد.

إن الغاية الموجهة لهذه العقوبات وصنوف التعذيب، تهدف بالأساس إلى جعل كل شاد عن السلطة عبرة لكل من سولت له نفسه التمرد أو الثورة أو مخالفة ولي الأمر...، انطلاقا من ذلك خالفت السلطة منطق التعزير الذي هو عقوبة على معصية لا حد فيها ولا كفارة، وارتأت تطبيقه في كل الحالات دون مراعاة جانب الحدود والكفارات والجنايات، التي فيها عقوبات واضحة مقدرة لابد من تنفيذها وإيقاعها على الجاني، مهما كانت مكانته ومنزلته، وهي ثابتة لا جزاء عليها لا يزداد عليها ولا ينقص، وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تحدد خطأ واضحا للقصاص والحدود⁽¹⁾.

وقد أكد الشرع الإسلامي على ضرورة احترام حدود الله والتقيد بها، وتوعد كل مخالف لعقوبات أخروية، وهو الشيء الذي لم تلتزم به السلطة في مغرب العصر الوسيط، فقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ

¹ - البقرة الآيتان 178-179، النساء الآيات 13-18-25-92-93، المائدة الآيات 33-34-38-39-44-52، النحل الآيتان 126 و128، الإسراء الآية 33، النور الآيات 1-9-23-25.

عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾، وقوله عز وجل ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ ﴾ (٢)، وقد أمر رسول الله ﷺ بإقامة الحدود فقال: [أَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمٌ] (٣).

¹ - سورة النساء، الآية 14.

² - سورة الطلاق، الآية 1.

³ - الحنفي (أبو الحسن) المعروف بالسندي، سنن ابن ماجة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1996، مج3، ص 217، حديث رقم 2540.

الباب الثاني

مؤسسة السجون بالمغرب الوسيط

الفصل الرابع: جغرافية السجون بمغرب العصر الوسيط

الفصل الخامس: وضعية السجون بالمغرب الوسيط

الفصل السادس: نماذج من فئات السجناء

الفصل الرابع

جغرافية السجون بمغرب العصر الوسيط

المبحث الأول: سجون فاس

المبحث الثاني: سجون مراكش

المبحث الثالث: سجن أغمات

المبحث الرابع: سجن سجلماسة

المبحث الخامس: سجن سبتة

المبحث السادس: سجون مدن أخرى

الباب الثاني: مؤسسة السجون بالمغرب الوسيط

الفصل الرابع: جغرافية السجون بمغرب العصر الوسيط

نكاد نعدم وجود دراسة اختصت بجغرافية السجون بالمغرب الإسلامي، ومما يزيد الأمر تعقيدا دراسة هذه المؤسسة في مغرب العصر الوسيط، وقد تطلب الأمر تمحيصا وتدقيقا للإشارات المتناثرة في المظان التاريخية، التي اختص جلها بذكر سجون فاس ومراكش، ولعل هذا الاختصاص مرده إلى الدور السياسي والقيادي الذي مارسه المدينتين باعتبارهما حاضرتي المغرب الوسيط.

لقد سكتت المصادر التاريخية الوسيطية التي اهتمت بتعداد المآثر العمرانية عن الحديث عن السجون، وهو ما يقف حجر عثرة أمام رسم خطاطة تقريبية لهندسة السجن وتفرعاته الداخلية، ونحيل هنا على كتاب زهرة الآس لعلي الجزنائي⁽¹⁾، الذي يجرد بالتفصيل مختلف المنشآت العمرانية لمدينة فاس (المنشآت الاقتصادية والاجتماعية...)، غافلا الحديث عن سجنها، في حين ذكره الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا فقط في معرض حديثه عن ملحقات إقامة عامل فاس⁽²⁾.

لقد كان لندرة الدراسات المهمة بموضوع السجون بالمغرب الوسيط، دور كبير في دفعنا لمحاولة كشف النقاب عن العديد من الجوانب التي ظلت مجهولة في هذا الصدد، وهو ما اقتضى ضرورة الإحاطة بالمصادر الأدبية للفترة المدروسة، ومحاولة قراءتها بدقة، وجمع ما تناثر فيها من معلومات، وربط بعضها ببعض، في محاولة لرسم صورة واضحة عن السجون في مغرب العصر الوسيط، وكانت نتيجة قراءة وتمحيص هذه المصادر الوقوف عند عدد من سجون المغرب خلال الفترة الوسيطية.

¹ - الجزنائي (علي)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

² - الوزان، م.س، ص 249.

المبحث الأول: سجون فاس

كثيرة هي النصوص التاريخية التي جاءت على ذكر سجون مدينة فاس، إلا أن الحديث عن هذه السجون ارتبط بالشخصيات المسجونة، ويتصل ذكر السجن بفعل الاعتقال والحبس دون الإشارة إلى تفاصيله العمرانية، والتفصيل الوحيد الوارد في هذا الصدد هو ما أورده لحسن الوزان عند معرض حديثه عن ملحقات مقر العامل بفاس بالقصبة التي أسست أيام ملوك لمتونة⁽¹⁾، فمن بين المآثر العمرانية لهذه القصبة التي كانت "مساحتها تراوح مساحة مدينة بأكمله"⁽²⁾ يوجد السجن، وهو على شكل "كهف سقفه معقودة على أعمدة عديدة"⁽³⁾، من مميزات هذا السجن مساحته، وقد تصل "سعته إلى ثلاثة آلاف شخص"⁽⁴⁾، وليس في هذا السجن المذكور أي زنانات فهو "عبارة عن حجرة واحدة، وفي ذلك يقول الوزان⁽⁵⁾ "ليس فيه أية حجرة مفصولة أو سرية لأنه ليس من العادة بفاس أن يوضع أحد في زنزانة".

من الواضح أن السجن الذي ذكره الوزان لا يدخل في إطار السجون المركزية (سجن الحاضرة)، أو ما يسمى بالسجون المستقلة أو مفردة البناء التي كان لها مكان محدد مخصص ومستقل، وإنما يدخل في إطار السجون الملحقة أو سجون القاضي، الذي من الطبيعي أن يكون له سجن خاص به يحبس فيه من يقوم معه بالتحقيق، إلى حين إصدار حكم نهائي في حقه.

ومن السجون التي داعت بمدينة فاس سجن السلطان أو السجون الملحقة بالقصر السلطاني، أو تلك التي تشكل جزءا أساسيا منه، فعندما **اعتقل السلطان علي بن عثمان**

¹ - نفسه، 248.

² - نفسه.

³ - نفسه، ص 249.

⁴ - نفس المصدر والصفحة.

⁵ - نفس المصدر والصفحة.

المريني سلطان المغرب في سنة 734 أخاه عمر أحضره إلى فاس، وحبسه في حجرة من حجرات قصره⁽¹⁾.

ويمكن أن نستشف من بعض الإشارات وجود سجن مركزي كانت تلجأ إليه السلطة لسجن الخارجين عنها والمتمردين عليها، وهو السجن الذي سجن فيه الموحدون عمر بن ينتان بعد أن ألقوا عليه القبض مع جماعة من شيوخ لمطة. وفي سجن فاس كذلك اعتقل وزير السلطان المريني عبد العزيز عمر بن مسعود بعد أن كبر منه تقصيره في أمر حمزة وأصحابه⁽²⁾. وبفاس سجن عثمان بن عبد الرحمان بأمر من السلطان أبو عنان المريني إلى أن تم قتله بمحبسه⁽³⁾. كما سجن بسجن فاس أمير عبد وادي وهو أبو زيان بن أبي حمر، حبسه بنو مرين بفاس مدة ثم سرحوه⁽⁴⁾. ومن أشهر الحالات التي ذاقت مرارة السجون بمدينة فاس نجد لسان الدين ابن الخطيب الذي قتل مخنوقا بسجن فاس في قصة مشهورة ماثورة، وبهذا السجن قضى ابن خلدون سنتين من حياته بتهمة التآمر على السلطان أبي عنان⁽⁵⁾.

المبحث الثاني: سجون مراكش

على غرار مدينة فاس كان السجن بمراكش بالقصبة، ويبدو أنه لم يكن بعيدا عن المشور الموحيدي، وكان عبارة عن أطباق مسقفة⁽⁶⁾، بهذا السجن اقترح الفقيه ابن وهيب

¹ - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ج5، ص214.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، ص550.

³ - ابن الأحمر (اسماعيل)، روضة النسر في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص54.

⁴ - نفس المصدر والصفحة.

⁵ - ابن خلدون، ابن خلدون ورسالته في القضاء، م.س، ص38.

⁶ - نشاط، م.س، ص88.

الإشبيلي على علي بن يوسف بن تاشيفن أن يسجن المهدي بن تومرت لولا تدخل ينتان بن عمر وسير بن ورييل اللذان اقترحا على علي بن يوسف تخلية سبيله⁽¹⁾.

وما يؤكد وجود السجن في مراكش بالقصبة، كون المرتضى الموحي سجن فيه أولاد الوزير أبا محمد عبد الله بن يونس، حيث " أمر المرتضى باعتقاله، فاعتقل بداخل القصبة بدار الحكماء، واستاق إلى مراكش أولاده فسجنوا بها، وعمل عليهم وعلى أبيهم جملة من الرقباء إلى أن قتل بموضع سجنه واعتقاله، وبقي أولاده مسجونين في هذه السنة إلى أن أخرجوا بعد ذلك "⁽²⁾. وأما الدليل على وجود السجن بمراكش بالقرب من المشور أو القصر هو أن الخليفة الموحي عبد المومن أمر بإخراج المساجين في زقاق يصل إلى باب المشور ليتم قتلهم⁽³⁾.

إضافة إلى سجن مراكش استعملت فضاءات أخرى لوقف من تراه السلطة خارجا عنها، ومن أشهر البنايات التي وظفت في هذا الصدد صومعة جامع الكتبية بمراكش، فأبو يعزى يلنور حبس في صومعة الجامع أياما ثم خلي سبيله⁽⁴⁾، وكانت محنته هذه على يد عبد المومن بن علي الكومي الموحي الذي خاف من اعتقاد الناس في ولاية ومهمة أبي يعزى الساعية إلى إدماج الجماهير في التوبة الإسلامية ودوره الاجتماعي في وسط القبائل.

إن أشهر حالات السجن في مراكش ارتبطت بشخصية ابن زهر على عهد الدولة المرابطية ذلك أنه مطالبة عند أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشيفن كانت سببا في اعتقاله بسجن مراكش مدة⁽⁵⁾، وتفيد بعض الدراسات إلى أن السجن الكبير بمدينة مراكش عرف

¹ - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 28.

² - ابن عذاري، م.س، قسم الموحيين، صص 404-405.

³ - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 79.

⁴ - ابن الزيات، م.س، ص 215.

⁵ - نفس المصدر والصفحة.

باسم قرقدين، وهو ما يذكره ابن زهر في وصف حالة السجناء بهذا الفضاء، حيث يصرح بأنه شاهد وهو بسجن مراكش قوما كانوا بأطياف سجنه (علي بن يوسف) المعروف بقرقدين يتطرحون على أعشاب كانت تزال من الشقوق ويأكلونها⁽¹⁾.

المبحث الثالث: سجن أغمات

ارتبط السجن بأغمات بشخصية أمير اشبيلية المعتمد بن عباد آخر ملوك بني عباد في الأندلس (431-488 هـ / 1040-1095م)، وقد اقتيد المعتمد إلى سجن أغمات بعد أن نفاه يوسف بن تاشفين سنة 484 هـ، ثم خلعه في السنة نفسها، وقد دامت مدة إقامة المعتمد في سجن أغمات أربع سنوات إلا أنها كانت غنية من حيث الإنتاجات الشعرية، وأول ما أنشد المعتمد في منفاه بأغمات قصيدة توضح تجرع هذا الأخير مر الهوان وتطوف به ذكريات ملكه الزائل، ويتحسر من خلالها على مآل أسرته وبناته، مطلعها⁽²⁾:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأسورا
تري بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس ليملكن قطميرا⁽³⁾

اتخذت أغلب مواضيع شعر المعتمد بن عباد مجال الشكوى والنحس والألم، مما يفيد مدى قساوة سجن أغمات، وقد قدم الأمير العبادي وصفا دقيقا لهذا السجن من خلال أبياته الشعرية، حيث كان هذا السجن مستقرا للغريان، وينشد المعتمد قائلاً:

غريان أغمات لا تعدمن طيبة من الليالي وأفنانا من الشجر
تظل زغب فراج تستكن بها من الحرور وتكفيها أذى المطر⁽¹⁾

¹ - البزاز (محمد أمين)، حول المجاعات والأوبئة بالمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب، الرباط، 1993، العدد 18، ص 101.

² - البحر البسيط.

³ - أدهم (علي)، م.س، ص 292، وابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 96.

يصف الشاعر المتقي السجن من الداخل منطلقاً من شكواه لكثرة الحشرات السامة
المروعة وفي ذلك يقول المعتمد⁽²⁾:

ويا عقاربها لا تعدمي أبداً ❀ شجا وعقرا ولا نوعا من الضرر

كما ملأتني قلبي مذ حلت بها ❀ مخافة أسلمت عيني إلى السهر⁽³⁾

واحتضن السجن بأغامت قيوداً وأغلالاً كانت مصدر إزعاج وشكوى دائمة من
المعتمد بن عباد، وكان يوحي له بصور مفزعة كصور الأفعى والأسد وفي ذلك يقول
المعتمد⁽⁴⁾:

تعطف من ساقى تعطف أرقم ❀ يساورها عضا بأنياب ضيغم⁽⁵⁾

وعلى الرغم من جلد وصلابة وقوة المعتمد بن عباد، إلا أن هذه القيود والكبلات
سببت له آلاماً بكى من إثرها⁽⁶⁾:

يعيد على سمعي الحديد نشيده ❀ ثقيلاً فتبكي العين بالجس والنقر⁽⁷⁾

تميزت قيود أغامت بكونها ثقيلة، وكانت ملازمة للمعتمد كلما تحرك إلا وسمع
أصواتها، وهو ما جعل المعتمد يشبها بالثعبان ومن ذلك قوله⁽⁸⁾:

¹ - ابن عباد (المعتمد)، ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد بدوي، ط 3، دار الكتب
المصرية، القاهرة، 2000، ص 100.

² - البحر البسيط.

³ - البرزة، م.س، ص 508.

⁴ - البحر الطويل.

⁵ - البرزة، م.س، صص 517-518.

⁶ - البحر الطويل.

⁷ - ابن عباد، م.س، ص 106.

⁸ - البحر الكامل.

غنتك أغماتية الأبحان ❁ ثقلت على الأرواح والأبدان
قد كان كالثعبان رمحك في الوعى ❁ فغدا عليك القيد كالثعبان (1)

لم يكن المعتمد بن عباد النزىل الوحىء بهذا السجن، بل تؤكء بعض الإشارات التاريخية **على** أن سجن أغمات احتضن فئات أخرى من المساجين، فقد احتضن طائفة من أهل فاس كانوا قد عاشوا فيها وفسقوا وانتظموا في سلك الطغيان، فأمر يوسف بن تاشفين بسجنهم في أغمات إلى جانب المعتمد بن عباد، وسمح حارس السجن (السجان) للسجناء بمجالسة الأمير المأسور فخلى بينهم وبينه، وغمض لهم في ذلك عينه، فكان المعتمد يتسلى بمجالستهم ويعد أثر مؤانستهم ويستريح إليهم بجواره ويبوح لهم بسره ونجواه⁽²⁾، وبعد إطلاق سراح المعتقلين من مدينة فاس أثر ذلك في نفسية المعتمد فقال⁽³⁾:

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة ❁ لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد
هبوا دعوة يآل فاس لمبتلى ❁ بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من **سجن أغمات والتوت** ❁ علي قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود ❁ تلوى وأما الأيد والبطش فالأسد
فهنتم النعمى ودامت لكلكم ❁ سعادته إن كان **قد** خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت **واحدا** ❁ والله في أمري وأمركم الحمد (4)

ومارس سجن أغمات الوظيفة نفسها بعد انهيار الدولة المرابطية، حيث احتضن داخله مجموعة من المساجين كان أهمهم محمد بن عبد المومن بن علي بن تومرت، الذي خلعه والده من **"ولاية العهد لأمر قبيحة نسبت إليه وأسقط اسمه من الخطبة يوم الجمعة، وأمر الخليفة**

¹ - ابن عباد، م.س، ص 115.

² - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 101.

³ - البحر الطويل.

⁴ - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 101.

الموحي لما طلع مراکش ونزل في قصر أبيه بمحمد فوجهوه إلى أغمات وسجنوه بها⁽¹⁾.

المبحث الرابع: سجن سجلماسة

لم تصادفنا إشارات كثيرة عن وضعية هذا السجن أو أركانه ولا طريقة تشييده، بل أكثر من ذلك فقد كان السجن بسجلماسة مكانا لقضاء عقوبة احتياطية، ومن أشهر حالات السجن بسجلماسة هو اعتقال اليسع بن مدرار أمير سجلماسة الشيعي وولده بهذا السجن، إلى أن دخلها أبو عبيد الله الشيعي واستخرج المهدي وولده من السجن وقرب إليهما مراكب رائعة فركبا⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن سجن سجلماسة لم يكن شديد المراقبة حيث كان من السهل التحايل والوصول إلى السجناء، ذلك أن رسالة وصلت إلى الإمام المهدي وهو في سجن سجلماسة من عبيد الله الشيعي يخبره فيها عن حالة البلاد ويبشره من خلالها، وسير الكتاب مع بعض ثقافته فدخل السجن في زي قصاب يبيع اللحم فاجتمع به وعرفه ذلك⁽³⁾.

ويخالف ابن عذاري⁽⁴⁾ ما ورد في النصين السابقين حيث يؤكد أن عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم كانا مسجونين في غرفة بأحد منازل مدينة سجلماسة، وفي ذلك أن أبو عبيد الله احتل على مدينة سجلماسة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة، فأحاط بها في جموعه وجيوشه وصار بها يوم الأحد لسبع خلون منه ففتحها في هذا اليوم، وأخرج منها عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم وكانا مسجونين في غرفة عند مريم بنت مدرار⁽⁵⁾.

¹ - البيهقي الصنهاجي، م.س، صص 81-82.

² - ابن أبي دينار القيرواني، م.س، ص 52.

³ - ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 6، ص 456.

⁴ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 153.

⁵ - مريم بنت مدرار عمة السبع بن مدرار أمير سجلماسة المنتصر.

المبحث الخامس: سجن سبتة

من المدن المغربية الوسيطة التي عرفت بسجنها مدينة سبتة، وكثيرا ما اقتصر هذا السجن على العقوبة الاحتياطية انتظارا للمرور إلى الضفة الأخرى من الأندلس، وفي هذا السجن اعتقل ابن زرقون محمد بن سعيد المنوني 621 هـ، ذلك بأنه اتهم بالتعصب لمذهبه فسجن بسبتة وولده الحسن حيث أمر بتصفيده في الحديد وأن يلقي في عنقه ما يتصل بحبل الوريد وحمل إلى السجن الذي بباب حميدة بسبتة⁽¹⁾.

إن ما يؤكد أن سجن سبتة كان مجرد مكان للاعتقال الاحتياطي حتى ينفذ أمر الحاكم هو قصة مقتل يصلاتن بن المعز، الذي تحيل عليه عبد الله بن سليمان وكبله في الحديد ووضعه في سجن سبتة حتى جاء أمر الخليفة بضرب عنقه وصلبه بالبينة والإشهاد⁽²⁾.

المبحث السادس: سجون مدن أخرى

تعددت المدن المغربية في العصر الوسيط التي ضمت ضمن بنيانها مرافق سجنية، ومن المدن التي اشتهرت بسجنها مدينة أزموور، وهو السجن الذي استقبل ابن **وانودين** في العصر الموحيدي، وكان عبارة عن دويرة مؤلفة من **مجموعة من البيوت**⁽³⁾، وكذلك مدينة أنفا التي أوى سجنها ستون شيخا من قبائل الخلط وسفيان وابن جابر والعاظم بأمر من السلطان المريني أبي تابث⁽⁴⁾. **"وعرفت مدينة تازي بسجنها حيث يشير أحد الباحثين أن**

¹ - ابن دحية، م.س، صص 221-222.

² - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 75.

³ - يؤكد ابن عذاري على أن الدويرة التي سجن بها ابن واندين أحتضنت كذلك سجناء آخرين كابن مزاحم وزكرياء بن عطوش كل واحد منهم في بيته، م.س، قسم الموحيدين، ص 368.

⁴ - الناصري، م.س، ج 3، 1997، ص 94.

الثوار تمكنوا من تسريح الأسرى الموجودين بسجن تازى"⁽¹⁾.

واستقبل سجن رباط الفتح أبا حفص عمر والي مرسية وأبي ربيع سليمان والي تادلا زمن الخليفة الموحي المنصور، " حيث تحملتها **التقات** إلى رباط الفتح خيلا ورجلا وصارا تحت الثقاف والإشراف حتى أتاها اليقين "⁽²⁾، فجاء أمر السلطان لصاحب قسبة رباط الفتح " أن يعفي أثارهم وبصيرهم في الهالكين فقدمهما **فضرب رقابهما**"⁽³⁾. وبقسبة مكناسة الموحدية وجد سجن القسبة في زقة موسى التي كانت تعرف بحومة درب الطاوس⁽⁴⁾. كما وجد السجن بمدينتي تطوان وطنجة، فسجن تطوان اعتقل ثلاثة آلاف أسير مسيحي كانوا ينامون ليلا مقيدون في الأصفاة داخل سراديب تحت الأرض، حيث أكد الوزان⁽⁵⁾ أنه شاهد في إحدى المرات التي ذهب فيها إلى هذه المدينة "ثلاثة آلاف أسير مسيحي لابسين جميعا سترات من الصوف ينامون ليلا مقيدون في الأصفاة داخل سراديب تحت الأرض"، **وبمدينة طنجة احتضن السجن الوثائق من الأسرة الحاكمة سنة 789 هـ وبها قتل**⁽⁶⁾.

كانت هذه الإشارات التي وقفنا عليها في المظان التاريخية، التي تؤكد وجود سجون في مختلف ربوع المغرب الوسيط، بالإضافة إلى استعمال الدور والقصبات والمطامير وصوامع الجوامع والسراديب كمكان للاعتقال والتعذيب.

¹ - DUFOURCQ (Ch), L'Espagne catalane et le magribe au 13 et 14 siécl,p.u.f, paris, 1966, p 456.

² - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 200.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - الحيمر (جمال)، مكناس من التأسيس إلى العصر المريني، دار أبي رقرق، الرباط، 2006، ص 241.

⁵ - الوزان، م.س، ج 1، ص 319.

⁶ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 474-475.

الفصل الخامس

وضعية السجون بالمغرب الوسيط

المبحث الأول: التخطيط العمراني للسجون بالمغرب الوسيط

المبحث الثاني: تنظيم السجون بالمغرب الوسيط

الفصل الخامس: وضعية السجون بالمغرب الوسيط

إن الحديث عن المؤسسة السجنية بمغرب العصر الوسيط يفترض وجود تنظيم معين وهيكل خاص لهذه المؤسسة، وهو ما سنتطرق له في هذا الفصل من خلال الحديث عن التخطيط العمراني وتنظيم السجون.

المبحث الأول: التخطيط العمراني للسجون بالمغرب الوسيط

لا توجد في حدود علمي دراسة متخصصة في التخطيط العمراني للسجون بالمغرب الوسيط، وإن كان الباحث عبد الوهاب مصطفى ظاهر قد نبش في هذا الموضوع من خلال مؤلفه عمارة السجون في الإسلام⁽¹⁾، إلا أنه لم يشر إلى سجون المغرب خلال المرحلة الوسيطة، وأكثر من ذلك فإن جل المظان التاريخية لا تقدم إشارات صريحة في هذا الشأن، ومن خلال مقابلتنا لبعض منها يتضح أن السجون في المغرب الوسيط اتخذت مواقع مختلفة داخل المدن، شأنها شأن السجون في البلاد الإسلامية، فتركزت وسط المدن وخاصة في البيوت والقلاع والقصور وأبراج القلاع، فقد كان بعض الحكام يتخذون السجون السياسية أحيانا في أماكن ملحقة بقصورهم، وخاصة في المدن الكبرى كمكناس ومراكش، وسجون أخرى تركزت في أطراف المدن وبالقرب من أسوارها.

والواضح أن السجون المركزية في المغرب كانت على السعة بمكان، فالوزان يصف سجن فاس بكونه على شكل كهف سقفه معقود على أعمدة عديدة وهو فسيح جدا يمكن أن يسع ثلاثة آلاف شخص ليس فيه أي حجرة مفصولة أو سرية⁽²⁾، وكان السجن في مراكش

¹ - ظاهر (عبد الوهاب مصطفى)، عمارة السجون في الإسلام، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت،

2014.

² - الوزان، م.س، ج 1، ص 249.

ملحقا بالقصر الموحدى، حين وجد بالقصبة غير بعيد عن المشور الموحدى⁽¹⁾.

وخططت سجون أخرى على شكل دور مقسمة إلى بيوت اتسمت بالضيق، والنموذج على ذلك استعمال السعيد الموحدى لدويرة بمدينة أزموار اعتقل فيها كل من ابن واندوين وأبى زكرياء ابن مزاحم وابن عطوش الثائرين على سلطته، كل واحد منهم في بيته، وكان هذا البيت من الضيق بحيث لم يكن بإمكان السجين أن يتزحزح فيه من مكانه⁽²⁾.

وتضمنت السجون من الداخل مطامير وحفر، التجأت إليه السلطة للتكيد وتشديد العقوبة تجاه كل المعارضين، حيث كان يرمى فيها المسجون تنكيلا به، وأشهر قصة على ذلك ما وقع للمتصوف أبو ابراهيم اسماعيل الرجراجي الذي تكلم في حق العامل بكلام خاف منه الناس على أنفسهم، فأمر العامل بحمله إلى السجن وتقييده ووضع في مطمورة عميقة، ثم بعد ذلك جعل على رجليه كبلين ودلاه بالحبل في حفرة وجعل عليها لوحا وأمر رجالا أن يجلسوا عليه⁽³⁾. ومن الواضح أن السجون المركزية كانت قريبة من الأحياء السكنية، بحيث كان بإمكان السجناء سماع صوت الأذان.

يتعد الأمر أكثر عند الحديث عن تصميم شكل وهيئة السجن، بحيث لا ترد أي إشارة في هذا الصدد سوى تلك الواردة عن سجن فاس عند الوزان. ولعل استعمال الدور والبيوت كمكان للسجن قد تقيده في وضع هندسة تقريبية لبناية السجن، فلعله كان يتكون من ساحة في الوسط بها غرف من جهتين أو أكثر، وأمام الغرف أروقة وفي الجدران أبواب ومنافذ متقنة تجعل أمر الدخول والخروج سهلا، كما كان المكان يسمح بمراقبة السجناء، ولربما كانت مواد البناء المستعملة لبناء السجن نفسها المستعملة في بناء مختلف المرافق.

¹ - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 114.

² - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 346 و 368.

³ - ابن الزييات التادلي، م.س، ص 356.

تفيد مختلف الإشارات عن وضعيات مجموعة من السجناء، أن السجن انقسمت إلى جماعية وأخرى فردية، ففي سجن العامة لا تختلف الوضعية عن المعمول به في السجن الإسلامية، حيث يحبس الرجل أو الرجال في حجرة واحدة يمكنهم الخروج إلى ساحة السجن ومرافقة والاختلاط بغيرهم، على شاكلة الوصف الذي قدمه الوزان⁽¹⁾ في معرض حديثه عن سجن فاس. وهناك سجون ذات حجرات انفرادية مغلقة الأبواب، وكانت غالبا ما تعد للأحوال الخاصة بحسب طبيعة الجرم المقترف، وكانت هذه الحجرات الانفرادية مخصصة غالبا لاستقبال المتمردين على السلطة.

ولما كانت مسألة العناية بالسجين مطلباً في الشريعة الإسلامية فلا غرو أن السجن ضمت ضمن مرافقها مطبخاً لتهيئ الطعام للسجناء، وفي ذلك القصة الشهيرة لعبد السلام الكومي حيث كان في سجنه خادم (عجان) "يعجن له الخبز الذي يأكل كل يوم ويجعل له فيه مقدارا من المحمودة (مادة تسبب الإسهال)، فيسهل كل يوم لحمه وتسل عظمه حتى لم يبقى فيه إلا عيناه"⁽²⁾، "ولما أريد قتله صنع له السجنان تردة في فروج جعل فيها سما"، وإن كانت هذه القصة تدل على شيء فإنما تدل على وجود فضاء داخل السجن خصص لصنع الطعام للمساجين.

وبالحديث عن أماكن العبادة لم تتم الإشارة في المصادر المطع عليها إلى وجود مكان مخصص للصلاة داخل السجن، وإن كان يسمح للسجناء بممارسة شعائرهم الدينية، والاستثناء الوحيد الذي نصادفه يخص مدينة مراكش في العصر الموحد، بحيث كان للسجن بالمدينة مسجد يصلي فيه **المسجونون**، وكان الإمام علي بن محمد القيسي مقرءا وخطيبا لهذا السجن⁽³⁾.

¹ - م.س، ج 1، ص 249.

² - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 118.

³ - ابن عبد الملك، م.س، السفر الخامس، القسم الأول، ص 422.

المبحث الثاني: تنظيم السجون بالمغرب الوسيط

لاغرو أن حتمية وجود مؤسسة السجن بمغرب العصر الوسيط، يفرض وجود إدارة معينة مسؤولة عنها وعن تسييرها وتفقد أحوالها وأحوال نزلائها شأنها شأن أقاليم الدول الإسلامية .

وقد أكد العديد من الخلفاء والأمراء خلال تعاقبهم على حكم الدول الإسلامية، على ضرورة الاهتمام بهذه المؤسسة وإيلائها العناية الخاصة، ورغم ندرة المعلومات المتعلقة بإدارة السجون وأنظمتها الداخلية، إلا أننا سنحاول جمع شتات ما أتاحتها المادة المصدرية المتعلقة بهذا الجانب لتكون صورة أقرب لما كان عليه الوضع.

خضعت إدارة السجون لصاحب المدينة⁽¹⁾، الذي كان عليه تفقد السجن العام "في الشهر مرتين أو ثلاثا، لينظر فيه أحوال المسجونين إذا كثر الخلق فيه"، وكانت هذه المهمة تفرض على صاحب المدينة أن يخرج من السجن كل من كان ذنبه خفيفا وأن ينفذ فيه ما يليق بجرمه، و"ألا يسجن النساء مع الرجال في سجن واحد"⁽²⁾، وكان صاحب المدينة ينفذ أمر الخليفة أو الأمير إذا ما تعلق الأمر بإطلاق سراح أحد السجناء، ومن مهامه كذلك التقبض على الخارجين عن السلطة وإيداعهم بالسجن⁽³⁾. ومن المشرفين على السجن كذلك نجد القاضي الذي كان يسهر على عملية تنظيم الدخول إلى السجن أو الخروج منه، حيث كان القاضي يزعم أسماء السجناء في دفتر مثبتا لنوع التهمة وفترة الاعتقال، **يتفقد** هذا الدفتر كل أسبوع لمعرفة النزلاء الجدد وتسريح من استوفى مدة عقوبته⁽⁴⁾، **وأوكلت** مهمة تسيير

¹ - صاحب الشرطة.

² - ابن عبدون (محمد بن أحمد عبدون التجيبي)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ.ل.في برفنسال، منشوات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، صص 18-19.

³ - ابن حيان، م.س، ص 73 و75.

⁴ - ابن المناصف (محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ)، تنبيه الحكام على مأخذ الأحكام، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار التركي، تونس، 1977، ص 68.

السجن من الداخل إلى سجان، حيث كان عليه مراقبة السجناء ومرافقتهم وتتبع تحركاتهم وسكناتهم بدقة، خاصة عند خروجهم لقضاء الحاجة أو الطهارة أو الوضوء، فقد كان أهل الحبس بقرطبة "يومئذ ينزلون إلى النهر قريبهم للطهور والوضوء على سرداب اتخذ لهم تحت الأرض والرقباء عليهم"⁽¹⁾، وهو ما يؤكد ابن عذاري حيث يقول "وكان السجن يومئذ يخرج الناس منه إلى النهر لما يكون من الحاجة مع الموكلين بهم"⁽²⁾، ومن خلال الإشارتين يتضح أن السجن لقب بمجموعة من الألقاب منها الرقيب والوكيل، ووجدت هذه المهمة في سجون المغرب خلال العصر الوسيط، حيث أن حراسة المعتد بن عباد وبعض قطاع الطرق بسجن أغمات يقوم بها سجان⁽³⁾، وكان على السجن أن يلتزم بمجموعة من القواعد لا يجب تجاوزها، حيث كان عليه ألا يضرب أحدا في السجن، ولا يضرب بالسوط إلا بأمر السلطان وصاحب المدينة والقاضي والمحتسب والحاكم فقط⁽⁴⁾، وكان من اختصاصهم كذلك سلطة الأمر بالسجن.

من المهام الأخرى داخل السجن في هذا العصر مهمة صاحب العذاب، وإن كانت الإشارة إليها منعدمة في المغرب إلا أنها وجدت بالضفة الشمالية وخاصة بالأندلس، وهو ما دفعنا إلى القول بإمكانية توفر هذه المهمة في المجال الجغرافي المدروس، ففي سجون الأندلس وجد رجال مهمتهم تعذيب المساجين عرفوا باسم الضاغط، وقد اشتهروا بالقسوة ومن أشهرهم ضاغطا يسمى عميرا كان مسؤولا عن التعذيب في السجن إبان عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان، وهو المذكور من قبل الشاعر عبد الله بن حسين بن عاصم خلال نكبة سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عاصم حيث قال:

¹ - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 2، ص 351.

² - ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 50.

³ - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 100.

⁴ - ابن عبدون، م.س، صص 19-20.

وأحل عليهم عميرا أن يديقهم ❁ طيب العصافير أن القوم قد سمقوا (1)

وقد وصف ابن حيان الضاغط عميرا قائلاً: "كان ضاغطا للأمير محمد وكان يتولى له تعذيب من يسخط عليه يبدع في ذلك مكاره يستعاذ بالله منها وكان شديد القساوة، فضا لا يعرف الرحمة، فله في شأنه أخبار معروفة وكانت العصافير آلة من آلات تعذيبه"⁽²⁾. ومهمة الضاغط تكلف بها كذلك شخص يدعى واثق الضاغط، وهو الذي قام بتعذيب الحاجب **جعفر بن عثمان المصحفي** بأمر من المنصور بن أبي عامر، حيث كان واثق الضاغط يزعجه، وهو ما دفع المصحفي إلى القول "يا بني رفقا، فستدرك ما تريد، ويا ليت أن الموت بيع، فأعلى الله سومه"⁽³⁾. وممن اشتهر كذلك بهذه المهمة، **رجل يدعى نجاح، كلفه الخليفة المستظهر بالله عبد الرحمان بن هشام بمهمة القبض على مجموعة من وزرائه ومحاسبتهم وإخراج ما بأيديهم**⁽⁴⁾. **كما كان لصاحب** غرناطة مسؤول تعذيب يسمى قداح كان مسؤولا عن السجن وتعذيب المساجين والتكيل بهم⁽⁵⁾.

اشترط في مسؤولي التعذيب مجموعة من المواصفات، إذ يتم اختيارهم بعناية فائقة، فهم باختصار أجساد بلا قلوب وليس لهم أي وازع ديني أو خلقي، وعلى درجة كبيرة من الفضاضة⁽⁶⁾.

اتفق أهل العلم والدراية على ضرورة الفصل بين الرجال والنساء داخل السجن، ولا يعلم انطلاقا من المادة المصدرية المتوفرة إن كان للنساء سجن خاص بهن، وأكدوا على ألا

¹ - ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، دارالكتاب العربي، بيروت، 1983، ص 185.

² - نفس المصدر والصفحة .

³ - ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 268.

⁴ - ابن بسام، م.س، ق 1، مج 1، ص 52.

⁵ - ابن عبد الملك، م.س، السفر الثامن، القسم الثاني، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984، صص 422-423. وابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج 1، ص 456.

⁶ - البرزة، م.س، ص 127.

تسجن النساء مع الرجال في سجن واحد⁽¹⁾، كما أكدوا على ضرورة الفصل بين السجينات كذلك، فتفصل "المحبوسات في الديون والأداب"⁽²⁾ عن "سجن المحبوسات في التهم القبيحات"⁽³⁾، وأما السجناء على السجينات توجب أن يكون "شيخا مزوجا عفيفا، ويتفقد سيرته فيهن"⁽⁴⁾، أو تسجن كل من عليها "حكم من الحكومات عند امرأة قابلة خيرة، قد عرف القاضي فضلها إلى أن تتطلق، ويجعل لها القاضي أجرة على ذلك من بيت مال المسلمين"⁽⁵⁾.

تقع واجبات تسيير شؤون السجون والإنفاق على المساجين على عاتق الدولة، من خلال ما يحتاج إليه السجين من مأكّل ومشرب وملبس وفرش وأغطية، وإن كانت من بين الحقوق الأكثر انتهاكا وإهمالا في مغرب العصر الوسيط، حيث أن الحرمان منها يستخدم كوسيلة للتعذيب وامتهان الكرامة. وقد اختلف الفقهاء في طريقة الإنفاق هاته بين فريق يؤكد على أن المسجون ينفق على نفسه من ماله الخاص إذا كان له مال، وإلا فنفتته على المسلمين الموسرين، وفريق آخر يؤكد على أن الإنفاق يتم من بيت مال المسلمين، وذلك كان شأن النبي والصحابة رضوان الله عليهم، حيث دأب الخلفاء على أن يجروا على المساجين ما يقوتهم في طعامهم وإدامهم وكسوتهم في الشتاء والصيف⁽⁶⁾.

كانت الصدقات والمغارم من أهم موارد الإنفاق على السجناء، حيث يؤكد الوزان⁽⁷⁾ أن

¹ - ابن عبدون، م.س، ص 19.

² - المالقي (أبو القاسم ابن رضوان) ، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص 360.

³ - نفس المصدر والصفحة.

⁴ - ابن عبدون، م.س، ص 19.

⁵ - نفس المصدر والصفحة .

⁶ - الكتاني، م.س، ج 1، ص 300.

⁷ - م.س، ج 1، ص 254.

أن العامل كان يأخذ مثقالا وربع مثقال عن كل محكوم عليه، بالإضافة إلى بعض المغامر المعنية عن كل سجين يؤديها له بصفة خاصة طائفة من التجار والصناع المعينين لهذا الغرض. واقترح مالك بن وهيب على الأمير علي بن يوسف بعد اعتقال المهدي بن تومرت وأصحابه أن يضعهم في السجن وأن يخصص لهم دينارا كل يوم للإنفاق عليهم⁽¹⁾، وأكد الخلفاء في المغرب على ضرورة الإنفاق على السجناء من أموال الصدقات وكانوا يعاقبون كل مخالف عقوبات تصل إلى حد السجن، وهو الشيء الذي حكم به المنصور الموحدى على قاضيه محمد بن علي بن مروان الهمداني، نتيجة تقاعسه في توزيع الصدقات على السجناء⁽²⁾.

ويعتبر المنصور الموحدى أحد أهم السلاطين الذين اعتنوا كامل العناية بالسجون وأحوال المساجين، ما دفع أحد الباحثين إلى اعتبار أن هذا الاهتمام يؤشر على رؤية المنصور لعقوبة السجن باعتبارها وسيلة تربوية وليست عقابية⁽³⁾. وعن أجرة مسؤولي السجن السجن فقد كان السجناء يتحصل على أجرته مما يوفره السجناء، ماعدا في حالة تبرئة المتهم بدم فأنذاك يوفرها القائم ضد المتهم⁽⁴⁾. وأما أمور إصلاح السجن أو عملية البناء فكانت تتم باعتماد أموال المخزن⁽⁵⁾.

¹ - الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، اعتناء إحسان عباس، دار فرانز شتاينر فيسبادن، 1969، ج 3، ص 328.

² - ابن عبد الملك، م.س، السفر 8، القسم 2، ص 339.

³ - القادري بوتشيش (إبراهيم)، الجرائم وعقوباتها في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط القرن (4-8 هـ / 10-14م)، ضمن أعمال ندوة التاريخ والقانون، مطبعة برانت توب، مكناس، 2009، ص 347.

⁴ - فتحة (محمد)، النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9 هـ / 12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني عين الشق سلسلة الأطروحات والرسائل، الدار البيضاء، 1999، صص 66-67.

⁵ - نفس المرجع والصفحة.

الفصل السادس

نماذج من فئات السجناء

المبحث الأول: السجناء من العامة

المبحث الثاني: السجناء من الخاصة (سجناء الحقل السياسي)

المبحث الثالث: السجناء من العلماء

المبحث الرابع: السجناء من المتصوفة

الفصل السادس: نماذج من فئات السجناء

تعددت الحالات التي عانت من السجن في الفترة المدروسة، ولم تفرق السلطة الحاكمة بين العامة والخاصة وإنما كان الأمر سيان بالنسبة لها، فكان السجن مآل اللصوص والذعار كما كان عقوبة للأمرء ورجال الدولة وأصحاب الحضوة.

المبحث الأول: السجناء من العامة

يطلق على هذه الفئة من السجناء "سجناء الحق العام"، وهم المعتقلون في قضايا مرتبطة بالجنح العامة أو بالجنايات، لم تتعرض المضان التاريخية لهذه الفئات وإنما عمدتنا في الإشارة إليها تقع على كتب المناقب والنوازل، التي وإن كانت تشير إلى سجناء الحق العام، إلا أنها لا تشير إلى وضعيتهم وأحوالهم وأعدادهم بقدر ما تشير إلى مدد الحبس ونوع الجرم المقترف وما يزيد الأمر تعقيدا كونها لم توطن لا زمانيا ولا مكانيا ، وكان اللصوص وأصحاب الجرائم المرتبطة بالسرقة الأكثر تعرضا للسجن، حيث كان بإمكان من اشتهر بالسرقة أن تكون عقوبته السجن أبدا حتى يموت⁽¹⁾، يضاف إليهم المتهمون بجرائم التدمية والقتل، وقد أخذ أصحاب هذه التهم النصيب الأوفر داخل كتب النوازل في باب الحدود والتعزيرات وكانت عقوباتها تقضي بأن كل من لطح بدم ووقعت التهمة عليه سجن العام⁽²⁾ ومن أدمى زوجته على وجه الاعتداء يسجن في الحديد⁽³⁾، ومنها أن بعض الفقهاء سألوا عن مسألة ابن قطب الذي كان سكن بزوجه بدار منفردا عن الناس نحو أربعة أشهر ليس معهما أحد... وبعد هذا التاريخ أصبحت مذبوحة مكتوفة في الدار فأجاب الفقهاء بأن يطال سجن الزوج موثقا في الكبل مضيقا عليه في الحبس زمنا طويلا، فإن طال حبسه ولم تقم

¹ - الونشريسي، م.س، ج2، ص 286.

² - نفسه، ص 271.

³ - نفسه، ص 280.

بينة وبقي على حاله فيقسم حينئذ في مقطع الحق خمسين يمينا أنه ما قتلها ولا شارك في دمه ثم يسرح⁽¹⁾.

ذهبت بعض النوازل الفقهية إلى ضرورة سجن المدلس في ضرب النقود حتى يموت فيه، واعتبرها ابن المسيب من الفساد في الأرض⁽²⁾ ولا يقتصر أمر الحكم بالسجن فقط على هذه القضايا، وإنما تتجاوزها إلى قضايا أخرى، وخاصة تلك التي تستوجب التأديب دون الحد، ومنها تعريف ابن فرحون التعزير هو " تأديب وإصلاح وزجر على ذنوب لم تشرع فيها حدود ولا كفارة"⁽³⁾، وإن كانت السلطة المغربية قد تجاوزت هذا المبدأ في أحكامها بالسجن حيث غالبا ما تلجأ إليه في عقوبات تستوجب إقامة الحدود.

تميز كثير من الفتاوى بين سجون القاضي وسجون السلطان، وغالبا ما كانت الأولى تأوي سجناء الحق العام أو الجرائم بينما كانت الثانية مخصصة لسجناء الفعل السياسي⁽⁴⁾.

إذا كانت الإستوغرافيا الوسيطية بالمغرب قد أغفلت الحديث عن وضعية سجون الخاصة، فإن الأمر يزداد غموضا أكثر فأكثر إذا ما حاولنا النبش في السجون المتعلقة بجرائم الحق العام والإستثناء الوحيد الذي تقدمه المضان التاريخية يخص السجن العام بمدينة قرطبة حاضرة الندلس، وهو السجن الذي كان ملاصقا للقصر ويصل بينه وبين النهر فيستخدم السجناء مياهه للظهور والوضوء وقضاء الحاجة، وقد تؤكد هذه الإشارة انعدام مجموعة من المرافق داخل سجن العامة⁽⁵⁾.

¹ - نفسه، صص 290 - 291.

² - نفسه، ص 114.

³ - ابن فرحون، م.س، ج2، ص 217.

⁴ - مصطفى نشاط، م.س، ص 19.

⁵ - خلف (سالم بن عبد الله)، نظام حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003، ج2، ص 893. ينظر أيضا ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ص 351، وابن الأثير، الكامل، م.س، ج5، ص 257.

وأكد موضع هذا السجن ابن عذاري حين يقول وكان السجن يومئذ يخرج الناس منه إلى النهر لما يكون مع الحاجة مع الموكلين بهم⁽¹⁾، وكان سجناء قرطبة يفتقرون لشيء يسترون به لقضاء حوائجهم، والواضح أن هذا الأمر كان مقصودا لتسهيل عملية المراقبة، وهو ما أكده ابن حيان الأندلسي حين قال "السجناء يخشون هذا الموضع من غير سترة"⁽²⁾ وهو الشيء الذي دفع بالفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد السلام الخشني (ت سنة 286 هـ / 899م)، إلى الإضراب عن الطعام لمدة ثلاثة أيام لكي لا يضطر للذهاب إلى هذا المكان⁽³⁾.

من خلال هذه الأوصاف يبدو جليا أن هذا السجن هو السجن العام (العمومي)، وتعددت أسماؤه في المضان التاريخية الوسيطية، حيث يشير إليه ابن عذاري بسجن العامة، كونه سجنا كان يأوي الكثير من اللصوص والسوقة والغوغاء وأصحاب الجرائم، وهم الفئة التي كان يتقوى بها محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي، حيث عمد هذا الأخير حسب ابن عذاري إلى إخراجهم من سجن قرطبة، فأرسل "من كسر سجن العامة، فانطلق جميع من كان فيه من اللصوص والذعار وأصحاب الجرائم وسارعوا إليه واستعان بهم"⁽⁴⁾، بينما يسميه ابن الخطيب في الحادثة نفسها بسجن العامرية حيث يقول "وجعل يحركهم على العامرية وخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه وبادر بكسر سجن العامرية وفيه اللصوص والذعار وأرباب الجرائم"⁽⁵⁾.

وسمي السجن كذلك باسم المدينة المشيد بها (سجن قرطبة) لكونه السجن الرئيسي في المدينة والمخصص لأغلبية فئات الشعب وقد ذكر بهذا الاسم في حادثة تنقيب السجناء

¹ - ابن عذاري، م.س، ج2، ص 50.

² - ابن حيان، م.س، تحقيق محمود مكي، ص 255.

³ - نفس المصدر والصفحة.

⁴ - ابن عذاري، م.س، ج3، ص 56.

⁵ - ابن الخطيب، أعمال الأعلام، م.س، ص 110.

له والفرار منه، وبالضبط في النصف الثاني من القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي) وذلك عندما سجن الوزير هاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمان الثاني الشاعر مؤمن بن سعيد بن ابراهيم بن قيس لأنه علم أنه شمت به عندما وقع الوزير في الأسر بقصيدة أنشأها لهذا الغرض فأودعه الوزير هاشم بسجن قرطبة، **وحاول الشاعر التشفع للوزير فلم ينفذ ذلك إلى أن كسر أهل سجن قرطبة السجن ومعاتبة من فيه والنظر في أمره خرج إليه الشاعر يستعطفه ويطلب عفوهُ فلم يلتفت الوزير إليه بل أوصى السجنان بإبصار باب السجن في وجهه فقتله اليأس بعد ستة أيام حيث لقي حتفه سنة (267هـ/880م)⁽¹⁾، وأورده مرة أخرى ابن عذاري بهذا الاسم (**سجن قرطبة**) مشيراً إلى (282هـ/895م)، عندما خرجت مدينة اشبيلية عن الطاعة فقبض المطرف ابن الأمير عبد الله على جماعة من زعمائها وأودعهم سجن قرطبة، وكان منهم ابراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون وابن عبد الملك الشدوني إلا أنه سرعان ما أطلق سراحهم بعد رجوعهم إلى الطاعة وتقديم الجباية المطلوبة، وفي هذه القصة يقول ابن عذاري **"وفيها (أي سنة 282هـ/895م) أتت جباية اشبيلية وعندما أتت أطلق المطرف ابن حجاج وابن خلدون والشدوني من سجن قرطبة"**⁽²⁾، وسمي هذا السجن كذلك بالسجن القديم لكونه من أقدم سجون قرطبة.**

ومن السجناء العامة الذين تحدثت عنهم المصادر التاريخية في العصر الوسيط، من يعرفون بالرهائن وكانوا يحتجزون في دار تسمى "دار الرهائن"، وهم العناصر التي كان يقدمها الثوار الخارجون عن طاعة الدولة في الأقاليم والمدن والحصون البعيدة عن حاضرة الإمارة أو الخلافة وكانوا يقدمون كإثبات لحسن النوايا وحسن الطاعة وعدم النكت والرجوع إلى التمرد والعصيان. ولم نجد إشارة واحدة لهذا النوع في مغرب العصر الوسيط، بينما وجد

¹ - ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1993، ج1، صص 132-133.

² - ابن عذاري، م.س، ج2، صص 124-125.

في الأندلس حيث يشير ابن القوطية وهو يتحدث عن الوزير أمية بن عيسى بن شهيد فيقول "فمن أخباره أنه مر بدار الرهائن المجاورة لباب القنطرة، وذكر أنه كان في هذا السجن آنذاك رهائن لبني قسي"⁽¹⁾.

المبحث الثاني: السجناء من الخاصة (سجناء الحقل السياسي)

تميزت الحقبة الوسيطية في المجال الجغرافي المدروس بكثرة النزاع والخلاف بين الأمراء والصراع على السلطة والإمارة، لذلك أنشأت الدول القائمة سجونا خاصة لمعاينة المنتزين والخارجين عن طاعتها وكانت هذه السجون **إحدى** وسائل إبعاد المنافسين عن كرسي السلطة، وفي غالب الأحيان لم تكن السلطة تعتقل هذه الفئات في سجون العامة وإنما كانت تضعهم في سجون انفرادية خوفا من تأثيرهم على باقي السجناء. ويعتبر سجن المطبق⁽²⁾ من أكثر السجون المخصصة لاستقبال الخصوم السياسيين والمغضوب عليهم من الخاصة وكبار الدولة بالإضافة إلى أصحاب القضايا الخاصة ويأتي في مقدمتها كل من يعمل من أجل الوصول إلى الحكم أو يساهم في ذلك.

ولم يكن سجن المطبق السجن الوحيد المعد لإستقبال هذه الفئة من السجناء، بل هناك سجون أخرى عرفت بأسماء منها دار البنيقة وحبس الدويرة وهذان الحبسين كانا مخصصين لأبناء ولاة العهد أو يدخلان ضمن التنظيم الإداري والسياسي وخاصة في الأندلس.

تعرض الأمراء أكثر من غيرهم لمحنة السجن وخاصة في المراحل الانتقالية للحكم ومن أشهر الأمراء الذين ضاقوا مرارة السجن في مغرب العصر الوسيط نجد المعتمد بن عباد الذي أقام أسيرا في أعماق متجرعا مر الهوان كسير القلب متأسفا على ما فاتته من

¹ - ابن القوطية، م.س، ص 106.

² - سبقت الإشارة إليه والتعريف به، في مبحث آخر.

ملك وجاه وفي ذلك يقول المعتمد⁽¹⁾

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ❀ فساءك العيد في أغمات مأسورا⁽²⁾

وفي ذلك يقول غرسيه كوميس: "وكان ألم المعتمد في الحقيقة ألما نفسيا روحيا مبعثه التباين بين حياته الماضية وحياته في المنفى وأساسه الاختلاف الواضح بين الحضارة التي كان يعيش في ظلها والبربرية التي وجد نفسه بين أنيابها في منفاه، ذلك الاختلاف البعيد بين قصور اشبيلية وبين أكواخ المغرب وما فيها من مرارة"⁽³⁾.

وارتبطت قصة أسر المعتمد بن عباد بجزواز المرابطين إلى الأندلس سنة 438هـ، ونقله إلى طنجة ثم إلى مكناسة لينتقل بعد ذلك إلى مقر سجنه بأغمات رفقة زوجته اعتماد الرميكية وبناته في قصة مشهورة أسالت الكثير من المداد، وخاصة عن الكيفية التي تعامل بها يوسف بن تاشفين مع المعتمد بن عباد⁽⁴⁾.

وفي نكبة المعتمد بن عباد يقول المراكشي⁽⁵⁾ "وأقام المعتمد بطنجة رحمه الله أياما على الحال التي تقدم ذكرها ثم انتقل إلى مدينة مكناسة فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة أغمات فأقاموا بها إلى أن توفي المعتمد رحمه الله ودفن بها، وقبره معروف هناك، وكانت وفاته في شهر سنة 87 وقيل 88 فالله أعلم وسنه يوم توفي إحدى

¹- بسيط.

²- أدهم (علي)، م.س، ص 292. وابن خاقان، قلاند العقيان، م.س، ج1، ص 96.

³- أنخل جونتالت بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص 127.

⁴- يشير الباحث الهولندي دوزي في أحد دراساته أن الأمير المرابطي قد تجاوز حدود الصواب واللباقة في تعامله مع المعتمد بن عباد مجردا بذلك الأمير مما ينسب له من فضائل حيث اعتبر سجنه للأمراء الأندلسيين خاليا من الشهامة ووصفه بالقاسي والبغيض، ينظر دراسة الباحث:

-DOZY (R), Histoire des musulmans d'Espagne jusque a la conqutes de l'andalousse par les almoravides, leiden University, 1932, T3.

⁵- م.س، ص 108.

لم يرتبط سجن أغمات بشخصية المعتمد بن عباد، بل مارس الوظيفة نفسها وهي استقبال السجناء من الأمراء، حيث آوى هذا السجن في العصر الموحي الأمير محمد بن عبد المومن، **والسبب في حبسه وعقابه** يسردها ابن عذاري حيث يقول "ولما تحرك عبد المومن في هذه السنة إلى زيارة الإمام المهدي... وقد ظهر في تلك الحركة من جرحة محمد المخلوع وعند الانصراف منها في الطريق ما أوجب عليه إثر ذلك الخلع من شرب الخمر وظهور السكر عليه وذلك أنه تقياً يوماً على ثيابه وأطنابه وهو راكب على فرسه في المحلة على مرآى من أشياخ الموحدين والعام من الناس الزائرين"⁽¹⁾.

وعانى أخوي المهدي عبد العزيز وعيسى من السجن بعد الثورة التي قاما بها، بعد أن كانوا من مشيخة العسكر ووجوه الجيش بالأندلس بإشبيلية، إلا أنهما ساءا التصرف مع عبد المومن الكومي ولم يبديا له الاحترام والطاعة، وعمدا إلى قتل يوسف البطروجي صاحب لبله بالأندلس، إلا أنه هرب منهم ولحق بالمغرب وأقام الدعوة للمرابطين، وبعد أن عقد الخليفة الموحي عبد المومن ولاية العهد لابنه محمد وعقد لإخوته على العمالات والنواحي، وأهمل أخوي المهدي فسدت نيتهما، وقصدا مراكش وقتلا عاملها أبي حفص عمر بن تافراكين، فتم اعتقالهما وأودعا بالسجن قبل أن يقتلها ويصلبهما⁽²⁾.

كانت قصة الثائرين أخوي المهدي موضوع رسالة بعث بها الكاتب أبو جعفر بن عطية إلى عبد المومن الكومي يرصد من خلالها مظاهر الانحلال والخروج عن الطاعة والإساءة إلى مذهب بن تومرت، على الرغم من محاولات إكramهما لقربتهما من المهدي ابن تومرت، ويتضح من الرسالة أن الكاتب أبو جعفر هو من أفتى بضرورة قتلهم ففي ختام الرسالة يقول الكاتب "ولما اجتمعنا وفقكم الله بهذا القطر الذي نفى الله خبثه... فأعثر الله

¹ - م.س، قسم الموحدين، ص 78.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، صص 313 - 314. وأيضاً البيذق الصنهاجي، م.س، ص 78.

على غواة الأشقياء **دعاتهم** وأطلع على غيوب المنافقين وطوياتهم **وانبعثت** إليهم طوائف الانتقام من خواصهم وذواتهم وتقبض على من عرف بأذاهم قواعد الفتنة وأصولها ورؤوسها **التي** تمكن بها وجود الغرة وحصولها. وكان حكم الله فيهم حز رؤوسهم من **أجسادها، وتصيير** نفوسهم إلى سوء مصيرها **ومهادها،** والغزو فيهم متصل مع الأيام، والبحث قائم على جانب الظن والاتهام⁽¹⁾.

تم قتل أخوي المهدي بطريقة تراجيدية تتم عن مدى فضاة وخطورة الجرم المقترف من قبلهم، يصفها البيهقي⁽²⁾ بقوله "ثم جمع رضي الله عنه السوقة بأجمعهم صغيرهم وكبيرهم، وقال لهم اليوم أعرف أن مالي إخوانا ولا جيرانا غيركم، وأنتم أهل الأمانات، بارك الله لنا فيكم، وأعطاهم السلاح سيوفا ورماحا **ودرقا** وسكاكين وأمرهم ان يعملوا زقاقا من "إيمي ن تكمي" حتى إلى السجن، وأمر بإخراج أعداء الله من السجن عشرة في عشرة. وكانوا يقتلونهم بخصائصهم فكل من قال منهم لأي شيء أقتل؟ قيل له هذا كتابك، فيعطا كتابه بيده، كذلك فعل بهم حتى ماتوا جميعا، وكان ذلك في عام تسعة وأربعين وخمسة.

وتعرض أبناء الخليفة المامون في أواخر الدولة الموحدية للإعتقال على يد يحيى بن الناصر في مدينة مراکش عن طريق وزيره ابن اسحاق الذي لم يكن همه قبل احتلال يحيى "بأيام ثلاثة أو أربعة إلا في القبض على من بقي في القصر من أولاد المامون ليمسكهم فيما أخذته الأيدي وانتبه واحتمل إلى الجبل من حصل منهم في يده"⁽³⁾. ولم يسلم أزواج الأميرات من السجن كذلك حيث اعتقل السعيد زوج أخته عزوز في دار الإمارة وقد كانت زوجته عزونة سببا في محنته هذه، وفي ذلك يقول ابن عذاري⁽⁴⁾ "وهي كانت سببا في تجرعه كأس

¹ - إلفي برفنسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، صص 46-47.

² - م.س، ص 79. وينظر أيضا عزوي، م.س، صص 69-75.

³ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، 328.

⁴ - نفسه، ص 362.

منونه فذكر عنها أنها وجدت براءة أوقفت عليها أباها فشكرها على ذلك **وأرضاهما**، ولم يعلم أحد ما كان فيها غيرها وأخيها، فلما وقف على البراءة المذكورة أمرها بردها إلى الموضع الذي فيه أصابتها، **فما** علم زوجها أنها رأته، ثم أمر بعد ذلك بثقافه بدار الإمارة، **فلم** يعلم أحد أي وقت لقي **حمامه**، ونكل أبي دبوس (أبي العلاء ادريس من أصحاب البيت الموحدى)، بالأمير المرتضى بأن وضعه وأولاده في السجن، وكان على شكل دويرة صغيرة بإزاء دار الوالي، بعد أن أمر بالبحث عنه وسير لذلك مجموعة من الرجال والخيل فخرجوا وبعض أشياخ صنهاجة " في طلبه فوجدوه قد دخل في غار على شاطئ الوادي خيفة أن يبصره الرائح والغادي، وذلك بمقربة من الموضع المعروف **"بورتوصوف"** فقبضوا عليه وأكبلوه وركبوه على زامل وحملوه، وركب أولاده على زوامل معتقلين وثقوهم في دويرة صغيرة بإزاء دار الوالي المذكور"⁽¹⁾ وكان موضع سجنه بمدينة أزمور لكن أبي دبوس سرعان ما أمر بنقل المرتضى إلى مدينة مراكش... وفي الطريق إليه وصل كتاب بقتله، "وقد كان على بغل مكبولا وفي العمارية محمولا وكذلك أولاده مكبولين على الدواب وكل واحد منهم بنقاب فأنزل من البغل وطلب أن يصلي ركعتين قبل أن يباشر السيف عمله"⁽²⁾ وأما أبناؤه فقد سجنوا في مراكش طيلة حكم أبي دبوس "إلى أن أخرجهم الأمير أبو يوسف من ثقافهم باستثناء أبو محمد عبد الله فإن أبا دبوس قتله في السجن بمسلة أدخلها تحت إبطه"⁽³⁾.

يعتبر العصر المريني من أكثر العصور التي عانى خلالها الأمراء من غياهب السجون وكانت البداية على سبيل المثال ما فعل السلطان أبي الحسن بابنه أبي الفضل الثائر بعد أن دبر له مكيده أدت إلى اعتقاله واغتياله، فأخذوا **أبا الحسن** " بمخنق ابن حميدي وأرهبه بوصول العساكر والوزراء إليه وداخله في النقيض على أبي الفضل، وأن يبذل له في ذلك ما أحب من المال، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الأمير أبا الفضل

¹- نفسه، ص 442.

²- نفسه، ص 444.

³- نفسه، ص 447.

ووعده من نفسه الدخول في الأمر، وطلب لقاءه، فركب إليه أبو الفضل ولما استمكن منه عبد الله بن مسلم تقبض عليه... وأشخصه معتقلا إلى أخيه السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين وسبعمئة وأودعه السجن... ثم قتله لليال من اعتقاله خنقا بمحبسه⁽¹⁾.

وعندما كان السلطان أبو العنان على فراش الموت كان أبو زيان وليا للعهد، فاتفق مجموعة من الوزراء على تحويل الأمر عنه... فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لأخيه السعيد فأجلبوه للبيعة وأوعز وزيره مسعود بن رحو بن ماسي بالتقبض على أبي زيان من نواحي القصر، فدخل إليه وتلطف في إخراجه من بين الحرم وقاده إلى أخيه فبايع وتل إلى بعض حجر القصر⁽²⁾، وقد ورد نص عند ابن خلدون يتأكد من خلاله أن حالات سجن الأمراء في البيت المريني كانت أكثر إذا ما قورنت بالحكم الموحي والمرابطي، وفي ذلك يقول ابن خلدون " ولحق عبد الرحمان ابن السلطان أبي عنان بجبل الكاي يوم بيعة أخيه وكان أسن منه وإنما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماسي من وزارته فبعثوا إليه من لطفه واستنزله على الأمان، وجاء به إلى أخيه فاعتقله الحسن بالقصبة من فاس وبعث **علي** أبناء السلطان الأصاغر الأمراء بالثغور، فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد بمراكش، وكان بها في كفالة عامر بن محمد الهنتاني استوصاه به السلطان، وجعله هنالك لنظره فمنعه من الوصول وخرج به من مراكش إلى معقله من جبل هنتاتة، وجهاز الوزير العساكر لمحاربتة ولم ينزل هنالك إلى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب⁽³⁾.

إن كان هذا النص يدل على شيء فإنما يدل على كثرة الصراعات السياسية التي عرفها المغرب خلال العصر المريني، وخاصة بعد وفاة أبي عنان المريني.

¹ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، ص 389.

² - نفسه، ص 396.

³ - نفسه، ص 397.

لم يقتصر أمر السجن على الأمراء وإنما طال رجال الدولة بمختلف مهامهم ووظائفهم ومنهم الوزراء ولعل أشهر حالة نصادفها في هذا الصدد هي قصة نكبة عبد السلام الكومي وهو أحد وزراء الخليفة عبد المومن بن علي، وقد ولي الوزارة بعد أبو جعفر بن عطية، وكان يدعى بالمقرب لتقريبه من الخليفة وكان ينتمي إلى قبيلة كومية التي ينتمي إليها الخليفة عبد المومن، التي تسكن بساحل البحر من أعمال تلمسان⁽¹⁾.

ساهم هذا الوزير في نكبة وزير عبد المومن السابق جعفر بن عطية، حيث حجب عن عبد المومن رسالة استعطاف وطلب عفو وجهها ابن عطية إليه، وكانت هاته الرسالة في غاية البلاغة والتأثير، وردت عند مجموعة من المؤرخين⁽²⁾.

وكان سبب سجن عبد السلام أنه استبد بعمله واستأثر بالسلطة واستعلى على أبناء الخليفة وبالغ في التقصير تجاههم، وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة "وطال السادات وضايقهم ونسب إليهم عند أبيهم قبائح الأفعال من الراحة والبطالات بالنها **وطول الليال**، وقد كان قديما.. يقصر معهم ويسيء العشرة معهم، فرفع إلى أمير المؤمنين أنهم يشربون الخمر المحرمة وقرر ذلك وكرر المطالبة لهم هنالك"⁽³⁾، يضاف إلى ذلك أنه أرسل على رأس حملة عسكرية إلى قابس من بلاد إفريقية فاستأثر بأموال الغنائم، وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة "واستبد عبد السلام الكومي بجميع الغنائم والأموال وتنفيل ما شاء من الأنفال، ولم يعلم بما فتح الله من الأموال وأدل بقرابته ووزارته غاية **الإدلال** نسب إليه في الأموال والاحتجان والإنكار والكتمان"⁽⁴⁾. وعندما "وصل عبد المومن بن علي إلى تلمسان تشكى أهل **العدوة بعمال عبد السلام من حملهم على الرعية وظلمهم**، فأمر بجمع المشتكين

¹ - السراج (محمد بن محمد الوزير)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1970، ق 4، ج 1، ص 264.

² - كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي، ط 2، دار الثقافة، دت، ج 2، صص 476-477.

³ - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 113.

⁴ - نفسه، ص 115.

وحضور أشياخ الموحدين وطلبة الحضور والقاضي لسماع أقوالهم⁽¹⁾، وكان الوزير عبد السلام الكومي واقفا " يسمع كلامهم فأمر بالقبض على الوزير وإيداعه في السجن، فمات في ليلة مسموما بعد أن صنع له السجنان ترده في فروج"⁽²⁾، وتحيل له في أكلها بأن قال له قد وصل الأمر بسراحك ورغبتني منك أن تجازيني على حسن تُلطفي بك فقدم له الطعام والترده فأكلها **وتشعر** في الحين بالسم فيها فرمى باللقمة التي كانت في يده في وجه السجنان، وقال خذ تردتك أهلكك الله ومات من ليلته⁽³⁾، ينضاف إلى ذلك أن العجان الذي يعجن له الخبز كان يضع داخله المحمودة⁽⁴⁾ فيسهل في كل يوم لحمه وينسل عظمه حتى لم يبق فيه إلا عيناه⁽⁵⁾.

يختلف المؤرخون بخصوص الطريقة التي من خلالها قتل الوزير عبد السلام الكومي في محبسه، حيث يؤكد الناصري⁽⁶⁾ أن مقتله كان بواسطة جرعة لبن مسمومة "ولما دخل عبد المومن إلى تلمسان في الرجعة قبض على وزيره عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمه في جرعة لبن هلك بها من ليلته" بينما ابن الآبار⁽⁷⁾ يورد أنه قتل بالأرجل "فسجن بتلمسان عند الانصراف من غزوة المهديّة في سنة خمس وخمسين إلى أن سم في طعامه فهلك وقيل إنه قتل بالأرجل".

ومن المؤكد أن ما أورده ابن صاحب الصلاة أقرب إلى الصواب كونه من المصادر المهمة في تاريخ المرحلة الوسيطية بالمغرب.

¹- نفسه، ص 116.

²- نفسه، ص 117.

³- نفسه، ص 118.

⁴- نوع من البتوع يسبب الإسهال.

⁵- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 118.

⁶- الناصري، م.س، ج2، 1954، ص 125.

⁷- الحلة السيرة، م.س، ج1، ص 239.صحيح

ومن وزراء الموحدين الذين عانوا السجن جعفر ابن عطية على الرغم من أنه كان صاحب كفاءة ومقدرة، حيث تقلد الوزارة في عهد عبد المومن الكومي، ووصف ابن الخطيب وزارته بأنها كانت زينا للوقت وكمالا للدولة⁽¹⁾، وهو أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي المراكشي⁽²⁾ وأصله القديم من طرطوشة ثم بعد ذلك من دانية⁽³⁾، وقد كانت الحضوة التي وصلها الوزير جعفر سببا في نكبته من حساده حيث انتهزوا فرصة ذهابه إلى الأندلس لمعالجة بعض الأمور، وفي ذلك يقول ابن عذاري⁽⁴⁾ "كان أبو جعفر ابن عطية لما غاب هذه الغيبة، تمكن أعداؤه منه وقالوا **ماشاءوه** عنه من قبيح المطالبة وصريح المكاتبة، فلما وصل الحضرة (مراكش) وجد حاله قد **تغيرت والمطالب في جانبه** قد أثرت وعبد السلام الكومي قد استكفا بالحال وانتضى سيفه لمطالبته بأعظم **نضال**، وعندما أفتى الخليفة وجهاؤه في ابن عطية وقد استحس عبد المومن بن علي كلام ابن وزير في شأن ابن عطية، وهو ما كان سببا في إخراج ابن عطية من سجنه **"وحمل إلى جبل درن وقتل بموضع تاجموت قرب الملاحه، وكان ذلك في التاسع والعشرين لصفري من سنة ثلاث وخمسين وخمسائة"**⁽⁵⁾، **وخمسائة"**⁽⁵⁾، وينضاف الوزير أبو محمد عبد الله بن يونس إلى قائمة الوزراء الذي ضاقوا مرارة السجن، فبعد أن كان وزيرا للمرتضى في أواخر أيام الدولة الموحدية، وكان سبب نكبته هاته أن أساء التصرف في حضرة المرتضى وكان الثائر علي بن يدر **"يشاركه** في بعض الأمور ويدخله ويتكفل له شراء **السرح** وغيرها، وثبت عند السيد أمرها إلى أن حصلت كتبه بخط يده لعلي بن يدر وأمر المرتضى باعتقاله"⁽⁶⁾، وفي قصة اعتقاله وسجنه **يقول ابن**

¹ - ابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج 1، صص 264.

² - <.

³ - البشير (محمد عبد الرحمان)، مباحج الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ص 420.

⁴ - م.س، قسم الموحدين، ص 57.

⁵ - نفسه، ص 58.

⁶ - نفسه، ص 404.

عذاري (1) "فاعتقل بداخل القسبة بدار الحكماء وخرج الحاكم إلى موضعه برسم ثقاف ماله وحاله مع الخيل والرجال والأمناء فاستاق إلى مراکش أولاده فسجنوا بها وعمل عليهم وعلى أبيهم جملة من الرقباء... فأمر بقتله في موضع سجنه واعتقاله وبقي أولاده مسجونين في هذه السنة إلى أن أخرجوا بعد ذلك".

أول إشارة صادفناها عن سجن الوزراء في مرحلة الدولة المرينية تخص وزير السلطان أبو ثابت ابراهيم بن عبد الجليل، الذي انحاز للثورة التي قام بها يوسف بن محمد بن أبي **عياد** بن عبد الحق ابن عم السلطان، الذي كان عاملا على مراکش، فسخط أبو ثابت على وزيره، "**فاعتقله واعتقل عشيره من بني دولين ومن بني ونكاسن**" (2)، وعلى عهد أبي الحسن المريني طال السجن الوزير أبو حركات عسكر بن طلحة بن تاحضريت، وكان السبب في محنته هاته أنه "**اشتد على الولاة وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم**" (3)، وعن هذا الوزير يقول ابن مرزوق (4) "**غير أنه أتى الرفعة من أعلاها وسلك في أولها أقصاها فاستبد بنفسه ولم يعرج على أحد من أبناء جنسه واشتد على الولاة وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم..... غير أنه تعدى في ذلك الاعتدال وشمخ بأنفه على من توسط في وزارته وقابل وده بإظهار عداوته واغتر برتبته واعتز بخطته وزل في إطلاق يده واستقل برأيه في كثير من تصرفاته واعتد بظهور المصلحة... فأخذ بعد عوده من عدوة الأندلس مدة حصر الجزيرة أخذا رقيقا فاستصحب اعتقاله إلى أن أشخص إلى تلمسان فاعتقل فيها مدة ثم سرح ولم يعد لوزارته وتوفي على هذا الحال"**

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، صص 311-312.

³ - الحريري (محمد عيسى)، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط 1، دار القلم، الكويت، 1985، ص 278.

⁴ - ابن مرزوق التلمساني (أبو عبد الله محمد)، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 363.

لم يسلم الوزراء المرينيون من السجن حتى بعد ضعف الدولة المرينية ووهنها، وخاصة بعد مرحلة أبي عنان المريني، ومن هؤلاء الوزير ابن غازي الذي اعتقله **السلطان أبو العباس أحمد (796-789 هـ / 1387-1393م)** بمدينة فاس قبل أن يقوم بقتله في سجنه، وفي قصته يقول ابن خلدون⁽¹⁾ "فبعثه السلطان محتاطا عليه إلى فاس فاعتقل بها... ولما احتل بدار ملكه أنفذ أمره بقتل أبي بكر بن الغازي، فقتل بمحسبه طعنا بالرمح وذهب مثلا في الأيام، واستوسق للسلطان أمره". وعلى عهد السلطان نفسه نكب الوزير محمد بن عثمان الذي استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى **بن طلحة بن محلي** والخبر عن محنته أنه لما دخل السلطان أبو العباس إلى تازة **"فارقهم محمد بن عثمان** إلى ولي الدولة ونزمار بن عريف، وهو مقيم **بتازي** وتذمم له فتجهم ونزمار وأعرض عنه، فسار معدا إلى **أحياء المنيات** من عرب المعقل كانوا هنالك قبلة **تازي** لذمة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد ابن عبو، فنزل عليه متذمما به فخادعه وبعث بخبره إلى السلطان، فجهز إليه **عسكرا** مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم بن ورزوق بن بومريطت والحسن العوفي من الموالي، فتبرأ منه العرب وأسلموه إليه فجاءوا به وأشهره يوم دخوله إلى فاس، واعتقل أياما وامتحن في سبيل المصادرة ثم استصفي، ثم **قتل ذبحا بمحبسه**⁽²⁾.

حرصت الدولة المغربية في العصر الوسيط على إيجاد إدارة حازمة تعمل على تسيير الشؤون الإدارية والمالية وقد عرفت هذه الإدارة باسم الكتابة، وتعتبر من أعلى أجهزة الدولة، وكانت خطة الكتابة تقتضي إعداد وصياغة المكاتبات الرسمية التي تصدر عن الأمير أو الخليفة، لذلك وجب توفر مجموعة من الشروط والمؤهلات في شخص الكاتب ومنها، أن يكون الكاتب **"جيد** المعرفة حسن الخط مهذب الطباع، نبيل **الأدوات** مشاركا في العلوم، عالما بالكتاب والسنة عارفا بالسير، واقفا على الأثر، مع سلامة الحواس وفطنة الأكياس

¹ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج7، ص 456.

² - نفسه، صص 466-467.

وذكاء الذهن، وأمانة الغيب وحفظ السر، وصدق **اللسان**⁽¹⁾ ونظرا لأهمية شخص الكاتب ونذرة طينته كان الأمراء غالبا ما يتأثرون لفقدان كاتب بعينه، وفي ذلك أنه **لما** توفي كاتب السر لعبد المومن بن علي اهتم لذلك، حتى ظهر عليه التأثر له وقال مسعود بن سلطان الرياحي فسألته: ما الذي أهمه، فقال لي إن كاتب سرنا قد مات واحتجنا إلى من نقيم مقامه وما وجدناه لأنه يحتاج في كاتب السر أن يكون على صفة كذا وعلى **نعت كذا**⁽²⁾، وسرد عبد المومن مجموعة من الشروط يتوجب توفرها في كاتب سره.

يعتبر أبو الحسن عبد الله بن مالك **الخرجي** الأنصاري أول كاتب في تاريخ دول المغرب الأقصى، وداع صيته خلال عصر دولة الأدارسة، **وكان** من العرب الوافدين على الإمام ادريس الثاني وضع نفسه لخدمة الدولة فاتخذه الإمام كاتباً له.

كان أبو الحسن يتمتع بثقافة عالية، ومن المهمات **التي كلفه** بها كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من أصحابه⁽³⁾.

إن أول إشارة صادفناها بخصوص محنة الكتاب بالسجن، تخص الكاتب أبو جعفر بن عطية على عهد عبد المومن الموحد، وقد سبقت الإشارة إلى هذه الشخصية في سجن الوزراء ، ذلك أن ابن عطية كان قد جمع بين خطة الوزارة والكتابة.

تتداخل خطة الكتابة مع مجموعة من المهام الأخرى، ومن بينها ما له علاقة بالأمور المالية، وخاصة الجباية والخراج والإشراف على ديوان الجند من عطيات ورواتب، وكان أصحاب هذه المهام أكثر عرضة للسجن، وممن عانوا من السجن من أصحاب هذه المهام "عبد الرحمان بن يحيى **المشرف** الذي أوقع به الخليفة أبي يعقوب لما صح عنده من خيانتته

¹ - المالقي، م.س، ص 211.

² - نفسه، صص 213-214.

³ - حسين حمودة (عبد الحميد)، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006، ص

وحمله على الرعية وإذابته، فألحقه هو وأصحابه **وألحق به في هذه السطوة والعقاب ابراهيم بن عبد الله الجباني الجاهل قدر نفسه**، وقبض في الحين على دورهم أجمع في كل بلد ومكان وأكبلهم وسجنهم في موضع أليم **النكال**⁽¹⁾، ولم يسلم من السجن على عهد هذا الخليفة كذلك مشرف مكناسة ابن عاصم والمشرف برباط تازا⁽²⁾، وإذا كان العصر المريني من أكثر عصور الدولة المغربية استعمالاً للسجون، فإن كتاب هذه الدولة لم يسلموا من السجن كذلك، ومنهم أبو علي الملياني بن أبي العباس أحمد، الذي استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فلم يصطاح بها وسعى به مشيختهم عند السلطان أنه احتجز المال لنفسه، وحاسبوه فصدق سعايتهم فاعتقله وأقصاه⁽³⁾.

وعلى عهد السلطان المريني أبو سعيد طال السجن كذلك الكاتب منديل بن محمد **الكناني**، والسبب في نكبته هاته أنه "لما ثار الأمير أبو علي على أبيه وخلعه **انحاش إليه منديل هذا الشيء** الذي أثار حفيظة وحقد الأمير أبي الحسن عليه، وتحين الفرصة للنيل منه، وعندما انفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلا له وجهه أحكم السعاية في منديل عند أبيه، وكان منديل كثيراً ما يغضب السلطان في المحاوراة والخطاب **دالة عليه وكبرا** فاعتد السلطان عليه بشيء من ذلك مع ما كان ابنه أبو **الحسن يغيره به** فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وأذن لابنه أبي الحسن في نكبته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتنحنه أياماً ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعاً"⁽⁴⁾.

لم يسلم كاتب الجباية بفاس يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين من السجن في عهد السلطان أبي عنان، والسبب في نكبته هذه **أن الأمير أبو عنان لما رجع**

¹ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 158.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

³ - البستاني (بطرس)، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1877، ص 276.

⁴ - الناصري، م.س، ج 3، ص 107.

إلى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وإزاحة العلل، وتقبض على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبي مدين واتهمه بممالة بني مرين في الإمالة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة. وأثار حقه في ذلك ما كان من نزوع عمه أبي المجد إلى السلطان بأموال الجباية ووسوس إليه في السعاية به كاتبه وخالسته أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن أبي عمر لما بينهما من المنافسة، فتقبض عليه وامتحنه ثم قطع لسانه وهلك في ذلك الامتحان⁽¹⁾. وكاتب آخر جمع بين خطة الكتابة والحجابه وهو أبو الفضل محمد أبي عمر التميمي، بالغ السلطان أبي عنانا المريني في التتكيل به وكان السبب في نكبتة هاته وشاية قدمها الوزير مسعود بن ماسي إلى السلطان أبي العباس مفادها أن محمد بن أبي عمر التميمي "يدخل السلطان في نكبتة"⁽²⁾، فقبض السلطان عليه "وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك إلى أن هلك بالسياط"⁽³⁾ ولم يكتف السلطان المريني بقتل هذا الكاتب وإنما تجاوز حدود العقل في التتكيل والتشهير به ذلك أنه لما أقبل أهله لتجهيزه "إلى قبره أمر السلطان بأن يسحب بنواحي البلد... فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب في سائر أنحاء المدينة ثم ألقى في بعض المزابل"⁽⁴⁾.

يضاف الحجاب إلى قائمة المسجونين من فئات الخاصة، وظهرت الحجابه بعد تحول نظام الحكم من الخلافة إلى الملك الوراثي، ويعود السبق في إنشاء خطة الحجابه إلى الدولة الأموية وخاصة على عهد الأمير عبد الرحمان الداخل، فبعد أن أعلن عن قيام إمارته اتخذ عددا من المشاورين والأعوان اختصهم بمجالسته واختار من بينهم شخصا لقبه بالحاجب⁽⁵⁾. وكانت وظيفة الحاجب في الأندلس على عهد بن أمية يقوم بها شخص يحجب

¹ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 379.

² - نفسه، ص 478.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁵ - المقرئ التلمساني، نفح الطيب، م.س، ج 1، ص 216.

السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم، في هذا الأمر يقول ابن خلدون عن بني أمية "فصار لهم حجاب... يفضي إليهم منه خواصهم من الأولياء" ويحجب دونه من سواهم من العامة، والحجاب الثاني يفضي إلى مجالس الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة⁽¹⁾.

ويعتبر المنصور بن أبي عامر من أشهر حجاب الأندلس وقد بلغ في سطوته وجبروته ما أسال الكثير من المداد، ونسب إليه الكثير فيما يتعلق بحالات السجن والتعذيب، وهو السبب في نكبة الحاجب جعفر بن محمد المصحفي، حيث اعتقله المنصور وضيق عليه وصادره في ماله، حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرقامهم ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله⁽²⁾.

وبالرجوع إلى بلاد المغرب الأقصى لم تشر المصادر التاريخية إلى وجود من تقلد هذه الوظيفة قبل الموحدين، بينما بدأت بالظهور مع بداية الدولة الموحدية، وإن لم يكن صاحب المهمة يحمل هذا الاسم، وفي ذلك يقول الباحث هوبكنز "ففي الأيام الأولى من حكمه كان للمهدي بن تومرت خادم من الواضح أنه كان يسمى حاجبا لو أن الظروف كانت أبعد عن السذاجة ألا وهو أبو محمد واسنار وتذكر الحجابة صراحة أنها كانت من بين مهامه، ونظرا للحجاب السود الذين نصادفهم فيما بعد، فلعل ما يسترعي الانتباه أنه كان أسود البشرة، ويمكن القول بأنه كان عبدا من حيث الأصل ولكن الروايات لا تتص على أنه كان في الواقع عبدا"⁽³⁾.

¹ - ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج 1، ص 482.

² - ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي)، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تحقيق مديحة الشراقوي، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007، ص 56.

³ - هوبكنز (ج.ف.ب)، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980، ص 56.

ويتبين من خلال هذا النص أن الخليفة الموحي، كان له خادم خاص ينظم له مقابلاته ويمنع عنه المتطفلين، وإن لم تكن وظيفة قائمة بذاتها. وبعد مرحلة عبد المومن أصبح أمر اتخاذ الحجاب شيئاً مألوفاً معروفاً، فقد كان لجل خلفاء الدولة الموحدية حجابها، حيث يرد ذكر مجموعة من الأسماء مارست هذه الوظيفة وخاصة على عهد الخلفاء البارزين كيوسف والمنصور والناصر والمستنصر، وسعيد والمرتضى.

إن أول إشارات سجن الحجاب التي تصادفنا تخص حاجب السعيد الموحي القائد أبي المسك على عهد المرتضى، حيث أنه "عندما استقر بحضرته واجتمع الناس على طاعته والدخول في جماعته، نظر أشغاله وتفقد أحواله وعماله، فأمر بالقبض على بعض خدام السعيد فقبض على حاجبه القائد أبي المسك وعلى خاصته أبي زيد ابن البقة ووقع البحث على غيرهما، فعثر على من قدر الله عليه بمحنته ونكته"⁽¹⁾. ويذكر ابن خلدون⁽²⁾ حالة واحدة لسجن الحجاب في العصر المريني وهي التي تخص الحاجب علال بن محمد في معرض حديثه عن الحملة للاستيلاء على مراکش حيث عمد السلطان المريني أبي عنان إلى التقبض على الحاجب المذكور "وأودعه السجن إلى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه".

وطال السجن كذلك فئة القضاة، فخلال العصر المرابطي امتحن القاضي ابن أسود الذي كان سبباً في مقتل ابن العريف من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بعد أن سعى به وسممه، ولما علم الأمير المرابطي حقيقة الأمر "وبما كان من ابن أسود في جانب ابن العريف قال لأعدبته ولأسممنه كما فعل بابن العريف فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقي سما هنالك فامتثل ما أمر به فمات هنالك"⁽³⁾.

تكثر حالات سجن القضاة على عهد الموحيين وممن عانوا من السجن القاضي أبو

¹ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحيين، ص 389.

² - العبر، م.س، ج7، ص 380.

³ - ابن الزيات، م.س، ص 120.

بكر بن العربي وهو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الذي سجنه الخليفة الموحي في قصة مشهورة، أوردها ابن عذاري، ذلك أن القاضي بن عربي كان يقود الوفد الاشبيلي الناهض لبيعة عبد المومن وبعد الثورة التي قام بها محمد بن عبد الله بن هود (الماسي) "وشى واش إلى الخليفة أن اشبيلية ارتدت بمن فيها، وشاع الخبر بذلك ولا علم عند الوفد بهم، فلم يشعروا إلا والموحدون قد أحاطوا بالدار التي كانوا بها على الأسقاف بالرماح والسيوف... ووتب عليهم الرقباء ليلا ونهارا ورأو الموت عيانا وجهارا ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل اشبيلية⁽¹⁾."

ولما كانت من مهام القاضي الاطلاع بحالة السجناء وحسن تدبير شؤونهم، فإن الخليفة يعقوب المنصور وصله "بأن السجناء يعيشون في حالة مزرية جدا يتمنون الموت من خلالها فأمر الخليفة بسجن القاضي في منزله"⁽²⁾. ومن القضاة الذين امتحنوا بالسجن ولم تشر المصادر إلى سبب سجنهم "تجد قاضي الجماعة بمراكش عبد الحق بن عبد الحق وأبا محمد عبد الله التادلي قاضي فاس"⁽³⁾.

المبحث الثالث: السجناء من العلماء

وجد العلماء في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط البيئة العلمية المناسبة لممارسة أدوارهم العلمية، وحظي العلماء بتشجيع خاص من قبل الدولة التي تولت رسميا رعاية العلماء والمفكرين حتى غلب على الدولة المغربية منطلق الاهتمام بالعلم وتنشئة العلماء ورعايتهم، نتيجة لذلك بلغ شأن العلماء موضعا رفيعا حتى أصبحت أمور البيعة تمر عبر تزكية العلماء، "وقد بلغ حب بعض الأمراء للعلم والعلماء إلى الحد الذي جعله يعتبر العلماء في رعايته الخاصة ومنهم "المعز بن باديس أحد أمراء دولة الصنهاجيين في الغرب

¹ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحيين، ص 34.

² - نشاط، م.س، ص 48.

³ - نفس المرجع والصفحة.

الإسلامي ، كان لا يسمع بعالم جليل إلا أحضره إلى حضرته، وجعله من خاصته، وبالغ في إكرامه، وعول على آرائه، ومنحه أسمى الرواتب⁽¹⁾، وأنشأ الخليفة الموحي يعقوب المنصور بيتا للطلبة وأشرف عليه بنفسه، وعندما بلغه حسد بعض حاشيته على موضع النابغين عنده فرغ منهم، وخاطبهم قائلاً، "يا معشر الموحيين أنتم قبائل فمن نابه منكم أمر فرغ إلى قبيلته، وهؤلاء -يعني الطلبة- لا قبيل لهم إلا أنا، **فمهما نابهم** أمر فأنا ملجأهم وإلي فرعهم وإلي ينتسبون"⁽²⁾.

نتج عن الاهتمام بهذه الفئة من شرائح المجتمع ظهور شريحة من العلماء عرفوا بعلماء السلطان كانوا نخبة متميزة وظيفيا واقتصاديا واجتماعيا، اتخذوا موقف القبول المطلق للسلطة وعلى الرغم من كل هذا لم تكن العلاقة بين العالم والحاكم تميل دائما إلى المثالية، بل في كثير من الأحيان وصلت العلاقة بينهم حد التوتر، وفي هذه الحالة كانت السلطة غالبا ما تبعد العالم وتتكلم به، وصل هذا التكتيل إلى حد الزج بالعلماء في غياهب السجون وبالرجوع إلى المادة المصدرية المؤرخة لحالات سجن العلماء فإن أول إشارة تصادفنا تعود إلى العصر المرابطي، وتخص العالم والطبيب أبو مروان ابن زهر الأندلسي الذي تعرض للسجن لأسباب يكتنفها الكثير من الغموض، حيث يربطها ابن شكوال بالسعاية والمطالبة ضد ابن زهر، وفي ذلك يقول "وأدركته مطالبة عند أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كانت سبب اعتقاله بسجن مراكش مدة"⁽³⁾.

على الرغم من المكانة التي تبوأها ابن زهر عند الأمير المرابطي حيث كان غاية في الجاه والعزة والتمكين من الدولة يولى من قبله حاكم يحكم من حاشيته وصاحب المدينة من توليته وشهود البلد بحكمه، وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة

¹ -المقدم (محمد أحمد اسماعيل)، علو الهمة، دار الإيمان، الإسكندرية، 2004، ص 397.

² -كنون، م.س، ج 1، ص 120.

³ - ابن عبد الملك، م.س، السفر 5، القسم 1، ص 14.

اشبيلية⁽¹⁾ إلا أن ذلك لم ينفعه عندما نقم عليه الأمير المرابطي بسبب الخلاف الذي دار بينه وبين صديقه وصهره الزهري، وكان هذا الخلاف سببا في نكته على ما يؤكد ابن عذاري⁽²⁾، ولم توضح المصادر سبب الخلاف بين ابن زهر والقاضي أبي الحسن علي بن زهري.

يذكر ابن زهر⁽³⁾ في كتابه التيسير في مداواة والتدبير، سبب محنته هاته حيث يقول "نالني تنكيد شديد بامتحان علي لنا لقولة حقدھا على الشيخ أبي رحمه الله- فأمر فينا بكل وجه من وجوه الانتقام، ونالني نكد عظیم على غير اعتياد". ولعل هذه المقالة هي الشعر الذي قاله في حق الفيلسوف ابن باجه وصديقه الوزير مالك بن وهيب جليس ومستشار أمير المومنين الذي يقول فيه⁽⁴⁾:

لابد للزنديق أن يصلبا ❀ شاء الذي يعضده أو أبا

كما أن ابن زهر تعرض لسعاية أخرى من قبل الفتح ابن خاقان، الذي كتب رسالة إلى الأمير المرابطي يشتكي من خلالها ابن زهر وهذا نصها "وهذا ابن زهر الذي أمرته رسنا وأوضحت له إلى الاستطالة سننا لم يتعد من الإضرار إلا حيث انتهيته، ولا تمادی على غيه إلا حين لم تنهه أو نهيته، ولما علم أنك لا تتكر عليه نكرا، ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرًا، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه، وسرى إلى ما شاء بعدوانه، ولم يراقب الذي خلقه، وأمد في الخضوة عندك طلقه وأنت بذلك مرتهن عند الله تعالى، لأنه مكنك لئلا يتمكن الجور، ولتسكن بك الفلاة والغور، فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من

¹ - ابن عذاري، م.س، ج 4، ص 65.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة

³ - ابن زهر، م.س، ص 233.

⁴ - دندش (عصمت عبد اللطيف)، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص

الباطل في كل طريق وأخفق به كل فريق... إذا وقفت أنا وأنت بين يديه أترى ابن زهر ينجيك في ذلك المقام أو يحميك من الانتقام⁽¹⁾.

كما تشير المصادر إلى سببين آخرين يمكن أن يكونا سببا في محنة ابن زهر، الأول مرتبط باكتشافه لسبب وفاة الأمير أبي الظاهر تميم الذي سمته زوجته الحرة حواء، فتطرق ابن زهر لسبب الوفاة أمام محيط الأمير المرابطي وفي ذلك يقول "ولم أتمالك أن صحت وكيف يبرأ وأنتم تسقونه ما فيه هلاكه وهو هذا (يقصد الماء) ونصحتني أحد عبيده فلم أجد معينا من نفسي على السكوت وتابعت القول فظهر لي الغضب من زوجته حواء ومن خادمتها وأعقب ذلك سعيا علي وخزيا لي، فلم يصرفني شيء من ذلك عن قول الحق، وعزم علي بعض أصحابي في السكوت والعودة إلى حضوتي، فرأيت أن ذلك ضرب من التلبيس فلم أحب إليه"⁽²⁾.

السبب الثاني مرتبط بهزيمة المرابطين في معركة قليبهر cullera سنة 524هـ وموقف ابن زهر من هذه الهزيمة وشماتته في المرابطين وفي ذلك يقول ابن عذاري⁽³⁾ "وفي هذه السنة صرف علي بن يوسف أمير المسلمين الأمير أبي زكرياء يحيى بن علي عن اشبيلية... ولما وصل الأمير أبو حفص إلى اشبيلية برز إليه أهلها وخرج الوزير أبو مروان بن أبي العلاء زهر... فلما رآه أصغره وقصر به، وترجل صاحب المدينة خالصة بن زهر فأخذ بيده مسلما عليه فلما أعلم به أمر عليه فألقيت عمامة في عنقه وجر إلى السجن. ويذكر أن ابن زهر هذه الحادثة فيقول "ثم إني في الغد احتجت إلى الانتقال فانتقلت راكبا والنكد لا يفارقتي في ذلك كله والذعر والتوقع ملازما لي"⁽⁴⁾. وبعدها بمدة رحل إلى سجن

¹ - المقرئ التلمساني، نفح الطيب، م.س، ج 2، ص 245.

² - ابن زهر، م.س، ص 98.

³ - م.س، ج 4، صص 65-66.

⁴ - م.س، ص 234.

مراكش وذلك في نفس العام بسبب استدعائه في سجنه لفحص الأمير واندوين بن سير بن أبي بكر⁽¹⁾.

طال السجن "جميع أفراد وحاشية ابن زهر حيث **فينفى** عميد الأسرة الوزير أبي العلاء إلى فاس **وتحدد إقامته بها** وينكل بعدد من شخصيات الأسرة التي تشغل مناصب هامة ويقتل بعض من حاشية ابن زهر⁽²⁾، وممن نكل بهم بالسجن خلال العصر الموحدى الفقيه أبي الحسين بن زرقون (502 هـ - 586 هـ) حيث سجن بمدينة سبتة، والسبب في ذلك أنه لما أمر السلطان الموحدى يوسف بن يعقوب بعدم قراءة كتب الفروع عامة والمالكية خاصة، استمر ابن زرقون في تدريس الفقه المالكي متحدياً لأمر السلطان⁽³⁾، والواقع أن معارضة أمر السلطان في هذا الشأن أفضى إلى امتحان ثلاثة على الأقل من أعلام الموحدين بإشبيلية، وهم ابن زرقون والفقيه أبي بكر بن علي (596 هـ/1099م) والفقيه أبي محمد عبد الكبير (617 هـ/1220م) وقد آلت المحنة باثنين منهما إلى طول السجن والاعتقال مع الإضاعة الشديدة⁽⁴⁾.

يشير ابن دحية الكلبي في مؤلفه المطرب من أشعار أهل المغرب إلى محنة ابن زرقون وصفاته فيقول⁽⁵⁾: "وكان له ولد يكنى أبا الحسين... ولم **يتبع** حسنه، فأمر صاحب المغرب أن يصفد في الحديد وأن يلقى في عنقه ما يتصل بحبل الوريد، وحمل إلى السجن الذي بباب حميدة، على حالة **مذمومة**، بكل لسان غير حميدة، ثم أحضر في موطن جرت العادة فيه بضرب رقاب أهل الظلم والعدوان وهو يحجل في قيوده ويضطرب اضطراب

¹ - دندش، م.س، ص 137.

² - نفسه، صص 126-127.

³ - علال (خالد كبير)، التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامى، دار المحتسب، عمان، 2008، صص 127 - 128.

⁴ - بولطيف (محمد لخضر)، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحديّة في الغرب الإسلامى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، 2008، صص 306-307.

⁵ - م.س، صص 221 - 222.

الخيزران، ثم أمر بإطلاقه بعد هوان، وخوف غلب على أمان، ثم أمر بإحضار كتبه وهي التي ورثها من أبيه وكانت تقاوم مالا جسيما وتساويه... فأحرقت **فسمع للنار تسعسع ورئي** لهما وقود..."، ويتضح من خلال إشارة ابن دحية أن الأمير الموحي يعقوب المنصور لم يكف بسجن هذا الفقيه بل أمعن في التنكيل به وأطال تعذيبه وأحرق كتبه وكتب والده في مجملها.

وبالعودة إلى العصر المريني نشير إلى أحد الشعراء والمؤرخين وهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان الملزوزي المكناسي الذي حضي بمكانة خاصة في البلاط المريني، إلا أن مكانته هاته لم تنفعه في نكبته خلال سنة 697 هـ، حيث توفي خنقا بسجن فاس بسعاية به جناها تهوره، وقد كان جعل له النظر في أمور الحسبة ببلاد المغرب⁽¹⁾، وفي السنة نفسها وقبل الملزوزي سجن وقتل بفاس عبد المهيم بن محمد الأشجعي البلزودي بعد أن سعى به الملزوزي **لدى** السلطان في شعر هجاه به فألقى إلى السلطان ما أوجب سجنه ثم ضربت عنقه صبورا⁽²⁾، ولم يسلم الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسيني من السجن كذلك، وكان سجنه على يد السلطان المريني أبو عنان وذلك أنه بعد وفاة **السلطان أبي** الحسن نهض ابنه أبو عنان إلى تلمسان فملكها... فاستخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلمي مع من اختار من المشيخة، ورحل به إلى فاس **فتبرم** الشريف من الاغتراب وردد الشكوى، فأحفظ السلطان بذلك، ثم بلغه أثناء ذلك أن "عثمان ابن عبد الرحمان سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع له مالا عند بعض الأعيان من أهل تلمسان، وأن الشريف مطلع على ذلك، فانتزع الوديعة وسخط على الشريف بذلك ونكبه وأقام في اعتقاله شهرا"⁽³⁾.

¹ - ابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج 4، ص 26.

² - نفسه، ص 20.

³ - ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، د.ت، ص 314.

وتعرض عالم آخر للسجن على عهد بني مرين وهو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني وكانت أولى محنه عندما أرسله أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمان الأمير العبدوادي لعقد الصلح مع السلطان **أبي الحسن المريني** بالجزائر إلا أن أخ الأمير العبدوادي أبي ثابت أبي ذلك وأنكره على أخيه أبي سعيد فأرسل من يعتقل ابن مرزوق، وهو ما أورده ابن خلدون عندما قال⁽¹⁾: "ونجا هو إلى الجزائر فاحتل بها، وأخذ في الحشد إلى تلمسان، فرأى أبو سعيد أن يكف غزيه عنهم بمواصلة تقع بينهم واختار لذلك **الخطيب ابن مرزوق**، فاستدعاه وأسر إليه بما يلقيه عند السلطان أبي الحسن... وأطل أبو ثابت وقومه على الخبر فنكروه على أبي سعيد وعاتبوه فأنكره فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه أياماً".

وبعد هذه المحنة أرسل ابن مرزوق إلى الأندلس واستعمل للخطبة بجامع الحمراء، حتى استدعاه السلطان أبو عنان وجعله في أكابر مجلسه، لينكل به مرة ثانية في حادثة مشهورة حيث بعثه السلطان المريني إلى تونس سنة 758 هـ "ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت تلك الخطبة واختفت بتونس، ووشي إلى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعاً على مكانها، فسخطه لذلك وأمر بسجنه فسجن مدة ثم أطلقه قبل موته"⁽²⁾. والواضح من هذه الإشارة ان فشل ابن مرزوق في مهمته هاته ساهمت في نقمة أبي عنان عليه، واستمرت معاناة ابن مرزوق مع السجن بعد اضطراب الدولة المرينية مع وفاة السلطان أبي عنان استعمل السلطان أبو سالم ابن مرزوق بعد أن "كان يداخله بالأندلس ويستخدم له، ويفاوضه في أموره وربما كان يكتبه ويدخل زعماء قومه في الأخذ بدعوته"⁽³⁾، فرعي أبو سالم له ذلك ورفع من قدره وقدمه على كافة الناس، وبعد "وثوب عبد الله بن عمر بالبلد الجديد وافترق الناس عن السلطان وقتله عمر بن عبد الله آخر اثنين وستين وسبعمئة حبس ابن مرزوق

¹ - العبر، م.س، ج 7، ص 530.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 530.

³ - نفسه، ص 531.

وأغرى به سلطانه الذي نصبه، محمد بن أبي عبد الرحمان بن أبي الحسن فامتحنه واستصفاه ثم أطلقه بعد ان رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعه منهم⁽¹⁾.

ويضيف أحد الباحثين أن ابن مرزوق "أخرج بالقوة من منزله الكائن بدار التنسي بفاس (بزنقة حجامة ليس بعيدا عن المدرسة المصباحية)، وكانت مدة حبسه في نكبته الثالثة ثلاثة أشهر"⁽²⁾. ولعل المنزلة التي أنزل ابن مرزوق في مناصب الدولة ومكانته العلمية كانت سببا رئيسيا في محنه الثلاثة بحيث تكالبت عليه الدسائس من كل حين التي عجلت بسجنه في كل مرة ولا غرو فإن ابن مرزوق كان على علم بما يكنه بعض الناس له من حقد وغل وهو ما دفعه إلى القول "وكان الناس يظهرون لي جميل الود ويبطن أكثرهم خلفه، ولشدة آتية فصار كل من قال درا خيب مطلبه ومن بقي على ما في ظنه قال هو سببه وأصله فمضى هو بسبيله إلى رحمة الله (يقصد السلطان أبو سالم) وبقيت غرضا لجميع من نالته مضرتة فنالني والله الحمد ما أنا بصدده"⁽³⁾.

لقد ندم هذا العالم الندم الشديد على الأيام التي قضاها خدمة للدولة وساهمت في إبعاده عن مباشرة علمه وزهده لينطلق بعد ذلك في رحلة قادته إلى القاهرة منتهيا عن خدمة الدنيا، مقبلا على خدمة الآخرة وفي ذلك يقول "ليكن هذا آخره فقد أشغلنا عن استيفاء الفرض ما ذهبت به من الكرب المتصل دفعه الله والحمد لله، والسلام على عباده"⁽⁴⁾، وتوفي

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - نشاط، م.س، ص 60، وتضيف باحثة معاصرة أن ابن مرزوق خرج من السجن بعد تقديمه لرشوة مقابل إطلاق سراحه، انظر:

- SHATZMILLER (M), L'historiographie merinide, Iben khaldune et ses contemporains, leiden University, 1982, not 2.,p37.

³ - ابن مرزوق التلمساني (أبو عبد الله محمد)، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2008، ص 310.

⁴ - نفسه، ص 311.

ابن مرزوق بالقاهرة سنة 781 هـ بعد أن تولى الوظائف العلمية، ملازما للتدريس⁽¹⁾.

من أبشع صور الامتحان خلال العصر الوسيط تلك النكبة التي طالت لسان الدين ابن الخطيب والتي آلت إلى مقتله في صورة تراجيدية هي أقرب إلى **"الجريمة السياسية"**، ونكبة ابن الخطيب هاته توضح الحالة غير المستقرة التي وصل إليها الغرب الإسلامي أيام الدولة المرينية أواخر سنة 733هـ، التي نخرتها الصراعات السياسية والدسائس والمكائد ويروي العلامة ابن خلدون فصولا من هذه النكبة التي طالت ابن الخطيب وآلت به مقتولا ومحروقا حيث يقول⁽²⁾ "و حين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب إلى السلطان بعث كاتبه ووزيره... أبو عبد الله بن زمرك، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالشورى في مجلس الخاصة **وأهل الشورى** وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه **النكير** فيها، فوبخ ونكل وامتنح بالعذاب... وتل إلى محبسه..، وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود إليه لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله، فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقا في محبسه".

والواقع أن نكبة ابن الخطيب كانت نتيجة مجموعة من التهم⁽³⁾ لفقها له خصومه السياسيين وخاصة ابن زمرك الذي لم يتوقف عن إشعال نار التلفيق والالتهام ضد ابن الخطيب فرماه بالإلحاد والخروج عن الشرع في بعض ما كتبه من مؤلفات، ونتيجة لهذه

¹ - المقرئ التلمساني، نفع الطيب، م.س، ج 5، ص 414.

² - العبر، م.س، ج 7، ص 453.

³ - مجموع هذه التهم موثق في رسالة كتبها القاضي النباهي إلى لسان الدين ابن الخطيب، يخبره من خلالها بمجموع التجاوزات التي قام بها، ويشير إلى ما اشتغل به البنيان ويسجل عليه فيها أمور منكرة، ومما جاء في الرسالة "فشرعتم في الشراء وتشبيد البناء وتركتم الاستعداد لهادم للذات... وأكثرتم في كتابكم من المن بها ذكرتم أنكم صنعتكم... وعلى أن تأسفكم لما وقعتم فيه من الغدر لسلطانكم... ووقعتم في مكتوبكم كلمات أوردتها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء".

انظر: المقرئ التلمساني (شهاب الدين أحمد بن محمد)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مجموعة من الباحثين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ج 1، ص 212 و 213 و 214 و 215. وأيضا، المقرئ التلمساني، نفع الطيب، م.س، ج 5، صص 123 - 124.

التهم أصدرت مجموعة من الفتاوى الفقهية تقضي بحرق كتب ابن الخطيب وإعدامه، وهو الشيء الذي تمكنوا منه بعد الثورة على السلطان المريني السعيد وتنصيب الأمير احمد بن السلطان أبي سالم، ولم يكتف الثوار بإعدام ابن الخطيب في محبسه بل زادوا في النكاية به والتشهير حيث عمدوا إلى إخراج جثته ودفنوه بباب المحروق وبعده أخرجت جثته مرة ثانية وأحرقت، وفي هذه الحادثة يقول ابن خلدون "وقتلوه خنقا في محبسه، وأخرجوا شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق، ثم أصبح من الغد على **شأفة** قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضمرت عليه نارا، فاحترق شعره واسود بشره وأعيد إلى حفرته"⁽¹⁾.

لقد ساهمت الدسائس والمكيدات التي حاكها الحاقدون على ابن الخطيب في التعجيل بمقتله، لم تنفع التدخلات التي قام بها صديقه ابن خلدون للكف عنه طالبا العفو له، وخاصة بعد استنجاد ابن الخطيب به حيث أرسل من محبسه رسالة لابن خلدون يطلب منه التدخل لنجده، وفي ذلك يقول ابن خلدون "وبعث **إليه** ابن الخطيب **مستصرخا به** ومتوسلا فخطبت في شأنه أهل الدولة وعولت فيه منهم على ونزمار وابن ماسي، فلم تتجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب في محبسه"⁽²⁾.

لم يسلم صديق ابن الخطيب وشفيعه ابن خلدون من السجن كذلك على عهد السلطان المريني أبي عنان الذي كان من أكثر سلاطين وأمراء الدول المغربية المتعاقبة تعويلا على السجن، وقد بلغ ابن خلدون مرتبة عظيمة حيث أقدمه السلطان أبو عنان ونظمه في أهل مجلسه العلمي، وألزمه شهود الصلوات معه ثم اختصه بمجلسه للمناظرة والمناقشة، وأنابه في التوقيع عنه⁽³⁾، ولعل هذا التقريب من قبل السلطان كان سببا لكثرة حساده وازدياد الوشائيات والسعائيات الشيء الذي عجل بنكبته، حيث وجد السلطان في المداخلة التي

¹ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 453.

² - نفسه، ص 638.

³ - ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته، م.س، ص 60.**

حصلت بين ابن خلدون والأمير الحفصي أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء (أمير بجاية) الذي كان قد اعتقله في فاس ما قوى عنده سعاية المنافسين، لقد كان الأمير يسعى سرا للفرار من سجن فاس لاسترجاع إمارته في بجاية، فكان أن طلب المساعدة من ابن خلدون، بعد أن وعده أن يوليه منصب الحجابة في حال مساعدته له، فغفل ابن خلدون التحفظ واستجاب لنداء الأمير الحفصي، ونمى الخبر إلى السلطان الذي قبض عليه وزج به في السجن سنة (758 هـ/1356م)، ثم أطلق السلطان سراح الأمير وأبقى على ابن خلدون في سجنه سنتين حتى وفاته، بعد ذلك أطلقه وزيره الحسن بن عمر، وأعادته إلى ما كان عليه، وأجزل له المنح والعطاء وقد خصص ابن خلدون فصلا كاملا في كتابه التعريف بابن خلدون سماه حدوث النكبة من السلطان أبي عنان، يتحدث فيه عن ما أصابه من سجن والسبب فيه⁽¹⁾.

المبحث الرابع: السجناء من المتصوفة

لم يكن ظهور الزهد والتصوف في بلاد المغرب بالشيء الغريب، ذلك أن البيئة الاجتماعية والتضاريس ساعدت بشكل كبير على ظهورهما، وقد كان للمتصوفة مكانة رمزية مهمة لدى العامة والخاصة، وكلمتهم مسموعة يأخذ برأيهم، ويجتمع حولهم الأتباع **والمريدون** ينهلون من علمهم ومعرفتهم، خاصة مع الدولتين المرابطية والموحدية، حيث اتخذ التصوف منهجا للحياة وتميزت هذه الفترة بالخصوص بوجود أقطاب من الصوفية كان لهم تأثير في الحياة السياسية بالمغرب فضلا عن الحياة الروحية، الشيء الذي جعلهم يمارسون دورا مهما، بحيث صاروا رمزا للعدالة يلوذ بهم الناس من ظلم حكامهم، وكانوا ملجأهم حين تنزل بهم أزمة أو شدة، وتعاملت السلطة الحاكمة مع هذه المكانة الرمزية والاجتماعية للمتصوفة بوجهين، **الأول** عن طريق إغداق الأموال على من يسهل استقطابه والثاني عن طريق

¹ - نفسه، صص 69 - 70.

ملاحقة المنتطعين من المتصوفة وتعريضهم للسجن والمضايقة وربما **للتصفية**⁽¹⁾.

ولقد بلغ النفور حدا كبيرا بين المتصوفة والسلطة الحاكمة وخاصة خلال العصر المرابطي حيث تؤكد النصوص نفور جل المتصوفة من الأمراء المرابطين ورفضهم سياسة التقارب معهم، وعبر المتصوفة في كثير من الأحيان عن رفضهم لبعض سياسيات الحكام ودخلوا في تحد مباشر مع الأمراء المرابطين ، فقد انتقد أحدهم تميم بن يوسف بن تاشفين علنا في جامع تلمسان على مال استلفه من أحباس هذا الجامع واستنكر أن يرده من ماله⁽²⁾.

إن مثل هذه المواقف من السلطة المرابطية الحاكمة جعلها تستأسد في التصدي للمتصوفة عن طريق المراقبة الصارمة والتشدد الذي وصل أحيانا إلى الاعتقال والسجن⁽³⁾.

ومن النماذج التي طالها السجن خلال العصر المرابطي أبو الحسن علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم (559 هـ)، الذي **أصبح** مصدر إزعاج للسلطة بفعل تزايد إقبال الناس **عليه**⁽⁴⁾، فسجن في الوهلة الأولى بمدينة مراکش حيث ذكر أبو العباس ابن الخطيب أن السلطان سجن الشيخ سيدي علي بن حرزهم في هذه المدينة⁽⁵⁾، ثم بعد ذلك حمل إلى سجن مدينة فاس⁽⁶⁾ وقد سجن ابن حرزهم في سجن العامة من مدينة فاس، ولم يسجن بأحد الدور أو ملحقات القصور ذلك أنه **لما حمل** إلى السجن بفاس تواصل سمار السجن للسجناء أن يكفوا عما كانوا يتكلمون به من الفحش وأن يقطعوا ليلتهم

¹ - نشاط، م.س، ص 66.

² - القادري بوتشيش، م.س، ص 151.

³ - نفسه، ص 150.

⁴ - نشاط، م.س، ص 69.

⁵ - التادلي الصومعي (أحمد)، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص 126.

⁶ - نفس المصدر والصفحة.

بكلمات من الذكر **يسمرون بها**⁽¹⁾، وإن كانت هذه الإشارة تدل على شيء فإنما تدل على أن ابن حرزهم زج به في السجن مع اللصوص وأصحاب الجرائم ما جعله يطلب منهم "أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من كلام، فإن الذكر محفوظ محروس ومحرم، إلا من أهل الذكر خاصة، وأن الذكر إذا اشتغل به غير أهله أتاهم الشيطان وحال بينهم وبين الذكر"⁽²⁾.

وظل هذا **المتصوف** يردد وهو في سجنه أنه سيطلق لا محالة وكان جلساؤه يسكتونه ويقولون "لا تتكلم بما يتحدث به عنك فلماذا وشبهه سجنك وهو لا يعبأ بكلامنا"⁽³⁾، ولكنه كان متيقنا من إطلاق سراحه بفضل "كرامات" **أبي يعزى** يلنور الذي رأى الحراس يحملونه إلى السجن فعلم أنه لن يتركه وأنه يسأل الله تعالى في فك قيده وفي ذلك يقول الشيخ ابن حرزهم عندما سأله عبد الله بن عثمان، عن علمه بإطلاق سراحه "رآني الشيخ أبو يعزى مع الحرس الذين حملوني إلى السجن فعلمت أنه لا يتركني وأنه يسألني من الله تعالى ولو سأله الله تعالى في الدنيا كلها لأجابه فيها، فكيف في خروجي من السجن"⁽⁴⁾. والحقيقة أن الشيخ لم يلبث كثيرا في السجن "فلما طلع الفجر جاءه البشير بالسراح من السجن، فقال له أبو الحسن والله لا خرجت حتى تخبرني، فقال له إن القائد عبد الله بن خيار الجياني جاءني البارحة إلى داري... وقال اذهب الآن إلى السجن فأطلق الفقيه أبا الحسن وإياك أن يبيت فيه فتصيبنا من أجله مصيبة وأكسر كل باب مغلق يصدك عن الوصول إليه"⁽⁵⁾.

كما طال السجن **أبي عبد الله** محمد ابن عمر الأصم (ت سنة 542 هـ) الذي تسببت سعاية عند الأمير **تاشفين بن علي** بسجنه حيث أمر بإشخاصه إلى مدينة فاس وسجن

¹- ابن الزيات، م.س، صص 171

²- التادلي الصومعي، م.س، ص 126.

³- ابن الزيات، م.س، ص 171، وأيضا التادلي الصومعي، م.س، ص 127.

⁴- ابن الزيات، م.س، صص 171-172.

⁵- نفس المصدر والصفحة، وأيضا التادلي الصومعي، م.س، ص 127.

بها⁽¹⁾.

وتحف الكرامات حادث سجن هذا المتصوف ومن أهمها أنه **"إذا جاءت** أوقات الصلاة يسقط كبله من رجليه ويخرج من السجن ولا يراه أحد إلى أن يصلي مع الناس جماعة، ثم يعود إلى السجن فكان صهره يعيد الكبل إلى **رجليه**"⁽²⁾، ومع هذا الشيخ سجن متصوف آخر وهو أبو عبد الله محمد الدقاق السجلماسي **"من كبار مشايخ الصوفية وأحد أشياخ أبي مدين"**⁽³⁾، ويخبرنا صاحب المستفاد عن السبب الذي آل بالدقاق إلى السجن حيث يقول **"أخبرني** قاسم بن محمد عن أبي عبد الله الدقاق، أنه سافر إلى سجلماسة، فتغيظ الوالي على أهل سجلماسة لشيء رفع عليهم فأخذ منهم جماعة، وضرب أعناقهم وأخذ مع القوم أبا عبد الله الدقاق فيمن أخذ، وكتف وحمل لموضع القتل فقال لمن حضر **"استروا ظهري فقيل له أنت تحمل للقتل وتقول استروا ظهري فقال: لا أقتل وما جعل الله لهم علي سبيلا فلما وصل للموضع الذي قتل فيه القوم، تكلم فيه رجل من مشيخة قبائل فاس حرسها الله فاستصفي فيه"**⁽⁴⁾.

وممن سجنوا كذلك من شيوخ فاس محمد بن أحمد ابن وشون (529 هـ) إمام جامع الأندلس وكان السبب في نكبته هاته أن **"الوالي** وجه إليه أن يتولى قضاء مدينة فاس من عدوة الأندلس، فامتتع كل الامتتاع **من ذلك** ولم **يقدر عليه، فيما طلب منه** فامر بسجنه وتكبيله وأن يكون سجنه **في داره**، فبقي على تلك الحال مدة فلما كان في يوم الجمعة أمر مملوكا له أن يقرب له ماء يتوضأ به للصلاة فلما أخذ في الوضوء انحل **قيده وكبله من غير**

¹ - ابن الزيات، م.س، ص 155.

² - نفس المصدر والصفحة.

³ - نفسه، ص 156.

⁴ - التميمي الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق

محمد الشريف، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، ط 1، مطبعة طوب بريسي، الرباط، 2002، ج 2، ص 187.

يعتبر ابن برجان من أبرز المتصرفة الذين سجنوا خلال عصر المرابطين وقد رحل من مدينة قرطبة إلى مراكش حيث "سئل عن مسائل عيبت عليه فأخرجها على ما تحتمله من التأويل فانفصل عما ألزمه من النقد، وقال أبو الحكم "والله لا عشت ولا عاش الذي أشخصني بعد موتي، فمات أبو الحكم فأمر السلطان أن يطرح على المزبلة ولا يصل على لولا تدخل المتصوف ابن حرزهم ليعدل السلطان من أمره ودعا إلى حضور جنازته" (2).

وممن سجن من المتصوفة مع ابن برجان أبو بكر المعروف بالميورقي الذي يورد ابن الآبار خبر اعتقاله وسجنه فيقول "وامتنحن بالقبض عليه مع أبي الحكم ابن برجان وأبي العباس بن العريف وتخلص دونهما، فقصد المشرق ثانية وأقام بمدينة بجاية في هربه من المغرب" (3).

كما طال السجن الشيخ محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمان نمارة الحجري بالأندلس حيث امتحن بالسجن، وفي سجنه هذا كتب شرح مقدمة ابن باب شاذ (4)، الشيء نفسه وقع مع المتصوف أبي عبد الله الشيوطي حيث ثم نفيه من الأندلس واعتقل بحضرة مراكش (5).

ومن أشهر حالات الإعتقال على عهد المرابطين حالة المتصوف أبو ابراهيم

¹ - نفسه، ص 207، وأيضا الجزنائي، م.س، ص 97.

² - ابن القاضي (أحمد المكناسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973، ص 465.

³ - ابن الآبار الفضاوي البلنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر)، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص 147.

⁴ - ابن عبد الملك، م.س، السفر 6، المجلد 4، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص 18.

⁵ - نفسه، ص 181.

اسماعيل ابن وجماتن الرجراجي (ت سنة 595 هـ) وكان سبب اعتقال هذا الشيخ أنه تكلم في العامل بكلام لم يستحسنه هذا الأخير خلال خطبة الجمعة بقرية أكوز ببلدة رجراجة، ولما خرج أبو ابراهيم من المسجد، **قال** العامل لرجاله احموه إلى السجن وقيدوه واجعلوه في مطمورة عميقة⁽¹⁾، وقد نكل بهذا الشيخ أبشع تتكيل **"حيث** جعل على رجليه كبلين **ودلاه بالحب**ل في حفرة وجعل عليها لوحا وأمر رجالا أن يجلسوا على اللوح"⁽²⁾، واختلفت الروايات في أمر **تسريح أبي ابراهيم** الرجراجي عند صاحب التشوف، فمرة يؤكد ابن الزيات أن العامل هو من أمر بإطلاق سراحه بعد ما تبين ما للشيخ من كرامات، ذلك أنه شوهد **"خارج** السجن يقول: "أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله فغضب العامل فقال: ما اظنكم فعلتم الذي أمرتكم به"⁽³⁾، ليعاد إلى سجنه مرة أخرى وأمر العامل كاتبه بأن يكتب رسالة في شأن الشيخ إلى الأمير بمراكش وبينما هم كذلك **"أبصر** أبا ابراهيم مارا عليه مرة أخرى يصيح بنفس ما قاله في المرة الأولى، فطأطأ العامل رأسه وتستر بالجالسين حوله إلى أن جاز عنه، فمزق الكتاب وتغافل عن أمره ولم يتعرض له بعد ذلك **بشيء**"⁽⁴⁾.

تؤكد رواية أخرى على أن أبا ابراهيم الرجراجي مكث في السجن ثلاثة أيام **"وكان** يقول لأهل السجن أتريدون أن تتطلقوا من السجن؟ فقالوا له نعم فسقطت طائفة من جدار السجن فتقدمهم وخرج فخرجوا في أثره ولم يرجع منهم أحد إلى السجن"⁽⁵⁾.

لم نعثر في المادة المصدرية المتوفرة على ماهية هذا التضارب في رواية ابن الزيات عن إطلاق سراح هذا الشيخ، ويكتفي ابن الزيات بالقول "وهذه القصة مشهورة سمعتها من **غيرما**

¹ - ابن الزيات، م.س، ص 355.

² - نفسه، ص 356.

³ - نفس المصدر والصفحة.

⁴ - نفسه، ص 356.

⁵ - نفسه، ص 355.

طريق من غير واحد وهي وإن اختلفت ألفاظ روايتها ترجع إلى معنى واحد وبالجملة فشان أبي ابراهيم من أعجب العجائب"⁽¹⁾.

أما حالات سجن المتصوفة عند الموحدين فنستهلها مع سجن **المتصوف أبي يعزى** يلنور، الذي سجن في صومعة جامع الكتبية، حيث أن السلطان عبد المومن بن علي بعث إليه عام إحدى وأربعين وخمسائة فورد عليه راكبا على حمار فحبسه في صومعة الجامع في الصومعة السفلى⁽²⁾، وهو ما يؤكد صاحب التشوف بقوله "وحدثني **غير واحد أن أبا يعزى قدم مراكش بعد عام أحد** وأربعين وخمسائة فحبس في صومعة الجامع أياما ثم خلي سبيله"⁽³⁾، وخلافا لذلك لم ترد إشارة واضحة تفيد سجن هذا المتصوفة عند كل من صاحب دعامة اليقين الذي يقول "لما أتى سيدنا أمير المؤمنين الخليفة بالشيخ الصالح أبي يعزى، وكان عنده شبه المحبوس"⁽⁴⁾.

وأما صاحب المستفاد فيؤكد **على أن أبا يعزى** كان نزيبا بصومعة الجامع وليس سجيناً إذ يقول "قال محمد: واجتمعت به أيضا بمدينة مراكش كان بعث فيه، فنزل في صومعة المسجد الجامع"⁽⁵⁾، ويشكك محقق المستفاد الباحث محمد الشريف بمصادقية تعامل تعامل التميمي مع قصة سجن **أبي يعزى** حيث يؤكد في خلاصة دراسته "أكثر من هذا نجد التميمي الذي عاشر أبا يعزى والذي تتفق المصادر على قصة حبسه بمراكش عام 541 هـ في صومعة الجامع أياما قبل إخلاء سبيله، لا يشير إلى هذه القضية بتاتا في الترجمة الطويلة التي أفردها له"⁽⁶⁾، ويرجع محمد الشريف سبب سكوت التميمي عن سجن أبو يعزى

¹- نفسه، ص 356.

²- التادلي الصومعي، م.س، ص 68.

³- ابن الزيات، م.س، ص 215.

⁴- العزفي، م.س، ص 49.

⁵- التميمي الفاسي، م.س، ج 2، ص 35.

⁶- نفسه، ج 1، ص 241.

لكونه "تغيب متعمد للعناصر الإخبارية التي تحتل الإفصاح عن وجود توتر بين السلطة الموحدية والمتصوفة"⁽¹⁾، ومهما يكن من أمر **فإن أبا يعزى** نفسه يعترف بأمر سجنه **حين** يقول للشيخ الصالح **أبي الربيع** بن تازكوارت: "لا بأس علي إن شاء الله حبسني القوم وفي بقية، وسيخلون سبيلي والقوم سيحبسونك في آخر عمر، فمات الرجل بحضرة مراكش كلاًها الله في دويرة محبوسا فيها وهو أعمى مقعد وسنه نحو من مائة"⁽²⁾، وإذا كان هذا الاعتراف يفصح عن ثبوت سجن هذا **المتصوف** في صومعة الجامع، فإنه يفصح كذلك عن سجن متصوف آخر زمن الموحدين وهو **الشيخ أبي الربيع** بن تازكوارت.

وسجن الشيخ أبو محمد عبد الله القطان زمن **أبي يعقوب** يوسف نتيجة لمخالفته الشديدة لأهواء الموحدين، وكان يجهر بمخالفته هاته، نتيجة لذلك بعث السلطان الموحي إلى الشيخ من يقتله، فأخذه إلى الوزير الذي أقعده بين يده **فقال له الشيخ**: يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما وجهت؟ فقال الوزير قد أمكن الله منك، ما تعيش بعد هذا أبدا فقال له الشيخ: لا تقرب أجلا ولا تدفع مقدورا... فقال الوزير لوزعته اسجنوه حتى أشاور السلطان، فسجن تلك الليلة فأنصرف وهو يقول عجا لم يزل المؤمن في سجن وإنما هذا بيت من بيوت السجن⁽³⁾، وعندما دعاه السلطان إلى مجلسه وسمع منه، لم يرجع **عبد الله القطان** عن مخالفته لسياسة الموحدين، فعجب السلطان لأمره ودعاه للجلوس في مجلسه مع وزرائه فكان رد ابن القطان أكثر جرأة حيث قال: لا فإن مجلسك مغضوب، ودارك التي تسكنها أخذتها بغير حق، ولولا أنني مجبور ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين أمثالك، فأمر له

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - العزفي، م.س، ص 49.

³ - حاج (محمد علي حاج يوسف)، شمس المغرب **سيرة الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي** ومذهبه، ط 2، دار فصلت للنشر والتوزيع، حلب، 2013، ص 111.

بأعطية وعافاه في نفسه⁽¹⁾.

ولم يتوانى الموحدون في القضاء على المتصوفة الذين تزعموا الثورات ضدهم ومنهم محمد بن عبد الله الذي ادعى أنه الفاطمي المهدي الذي ينصر الإسلام ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً⁽²⁾. وقد ظهر هذا التأثير في عام ستمائة بجمال ورغة من أحواز فاس⁽³⁾، وحبس هذا التأثير مرات عدة كان أولها سنة 596 هـ وطال سجنه إذ أنه لم يزل في الحبس إلى أن كانت سنة 601 هـ⁽⁴⁾، وقد وصف المراكشي هذا التأثير بقوله: "ثم خرج وقصد بلاد صنهاجة، فالتفت عليه منهم جماعة وانتشر له فيهم تعظيم، لأن هذا الرجل كان كثير الإطراق والصمت حسن الهيئة لقيته مرتين فلم أر في أكثر من شهدته من المشبهين بالصالحين مثله في الأدب الظاهر من هدوء النفس وسكون الأطراف ووزن الكلام وترتيب الألفاظ ووضع الأشياء موضعها"⁽⁵⁾، ولعل هذا الوصف هو الذي جعلنا ندرجه ضمن خانة المتصوفة، وقد سجن محمد بن عبد الله للمرة الثانية بعد أن عاد للثورة بسجلماسة، فكانت له معارك كثيرة انتصر في بعض منها وخاصة بسجلماسة إلى أن قبض عليه بأحواز مدينة فاس. واعتقل بسجنها على يد **مشرفها أبي** إبراهيم إسحاق ابن أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن حتى جاء أمر السلطان بقتله وصلبه، فضرب عنقه وصلب جسده ووجه برأسه إلى مراكش وعلق مع عدة رؤوس على أبوابه⁽⁶⁾.

أخذت العلاقة بين السلطة الحاكمة وبين الحركات الصوفية طابع الصراع والمواجهة

¹ - ابن العربي (محي الدين)، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف **محمود محمود الغراب**، ط 2، مطبعة **نصر**، 1994، ص 106.

² - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، م.س، ص 38.

³ - نفس المصدر والصفحة.

⁴ - المراكشي، م.س، ص 239.

⁵ - نفس المصدر والصفحة.

⁶ - نفسه، ص 240.

خلال النصف الأول من القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، وهو زمن ضعف الدولة الموحدية، ومن النماذج على هذه المواجهة، حملة الاعتقالات التي طالت أتباع مريدي طريقة الشيخ **أبي** محمد صالح مؤسس رباط آسفي، فقد سجن الخليفة الموحدي، **عبدالله ابن** الشيخ أبو محمد صالح بحضرة مراكش وسجن معه جماعة من الفقراء وذلك عند توجهه إلى المشرق⁽¹⁾، ولا تفصح المصادر عن السبب الحقيقي وراء اعتقال طائفة مريدي الشيخ أبو محمد صالح، وإنما يتضح من خلال المادة المصدرية المتوفرة أن السلطان كان يريد تضيق الخناق على الشيخ وإضعاف مكانته بين الناس باتخاذ إجراء ردي ضده ودفعه إلى طلب الإستعطاف بحيث توعدهم السلطان بالقتل إن لم يكتب الشيخ فيهم كتابا يعرفه بأن عبد الله المذكور ولده⁽²⁾ فراسله بعض أصحابه بشأن مكاتبة السلطان طلبا للعتف والإستعطاف، إلا أن الشيخ زاد من تعنته وأبدى موقفا حازما، فرد عليهم برسالة جاء فيها:

باسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله من ظهر في سير الفقر في أوائل الأمور رضي الله في كل ما قضى من الشوق وغير ذلك يا هذا:

سيكون الذي قضى ❁ **سخط العبد أو رضي**

سلم الأمر يا فتى ❁ كل هم سينقضي

وقال **علي رضي الله عنه**: إن صبرت **جرت** عليك المقادير ولك الأجر، وإن جزعت

جرت عليك المقادير وحرمت الأجر، وحرمان أجر المصيبة أعظم منها⁽³⁾، وقال تعالى ﴿

¹- السملالي (العباس بن إبراهيم)، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 2002، ج 8، ص 215.

²- نفس المصدر والجزء والصفحة.

³- السملالي، م.س، ج 8، ص 216.

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ^ط وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١﴾ وكان الشيخ أبو محمد صالح متيقنا من إطلاق سراح جماعته حيث قال لحامل الرسالة: قل لهم لا بد إن شاء الله من إطلاقكم عن قريب شاء أولئك أو أبوا وأما الكتب فما كنت ممن يكتب لهم أبدا⁽²⁾.

وخلال العصر المريني تعاملت السلطة بمرونة أكثر مع الطرق الصوفية والمتصوفة إذا ما قورنت بأساليب مواجهة المرابطين والموحدين للمتصوفة⁽³⁾، ويؤكد الباحث مصطفى نشاط أن الأمر مرده للأسس التي قامت عليها الدولة المرينية في غياب أي قاعدة مذهبية بالإضافة إلى سياسة الإحتواء التي عمل بها بنو مرين تجاه المتصوفة وخاصة بعد أن دشّن أبو الحسن وأبو عنان سياسة بناء الزوايا⁽⁴⁾ ولعل الباحث كان على صواب حيث أن المصادر المطلع عليها لا تسعف في التحصل على مادة مصدرية تفيد التأريخ لمسألة المواجهة وسجن زعماء التصوف خلال العصر المريني اللهم إذا ما استثنينا حالة وحيدة يسردها الباحث مصطفى نشاط وهي التي تخص أحمد ابن ابراهيم إلى جانب أزيد من سبعمائة سجين⁽⁵⁾.

والجدير بالذكر أن قصص اعتقال وسجن المتصوفة قد أحيطت بهالات من الكرامات وخاصة تلك الكرامات التي أفضت إلى إطلاق سراحهم، وهو الأمر الذي يجعل من الصعوبة الوصول إلى رسم صورة واقعية وواضحة عن طرائق تعامل السلطة مع المتصوفة أثناء فترة الاعتقال وأخرى عن حيثيات إطلاق السراح.

¹ - سورة الطور، الآية 46.

² - السملالي، م.س، ج 8، ص 216.

³ - نشاط، م.س، ص 73.

⁴ - نفس المرجع والصفحة.

⁵ - نشاط، م س، ص 74، وقد وردت القصة عند ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 118.

وينطبق الأمر وتتضح الصورة أكثر مع حالة المتصوف أبو ابراهيم الرجراجي، الذي لا توضح المصادر حقيقة سقوط جدار السجن، وإنما تدخلها ضمن كرامات الشيخ، كذلك حالة الشيخ ابن حرزهم الذي ارتبط أمر تسريحه بكرامات الشيخ أبي يعزى، الذي كانت كراماته كذلك وراء إطلاق سراح أحد بائعي الخضر بفاس الذي كان من أهل الصلاح، ويسمى دوناس المسجون من قبل القائد الجياني "فاخذه عند سجنه وجع ودعا إليه ولعلاجه الأطباء، وعالجوه بكل ما يستطيعون، فبلغ ذلك الشيخ الصالح أبا يعزى فأرسل إليه يقول له إن هذا الوجع لن تبرأ منه حتى تطلق دوناس الخضار فخلى سبيله فبرئ من حينه"⁽¹⁾.

¹ - العزفي، م.س، ص 55.

الباب الثالث

الحياة داخل السجن ومصائر السجناء

الفصل السابع: وضعيات السجناء بمغرب العصر الوسيط

الفصل الثامن: الخدمات المقدمة للسجناء

الفصل التاسع: ما بعد السجن في المغرب الوسيط

الفصل السابع

وضعية السجناء بمغرب العصر الوسيط

المبحث الأول: أسباب الاعتقال، حيثياته وظروفه

المبحث الثاني: صور السجناء داخل زنازينهم

المبحث الثالث: علاقات السجناء

1- علاقة السجناء فيما بينهم

2- علاقة السجناء بالسجان

3- علاقة السجناء بالمجتمع

المبحث الرابع: الإنتاج الأدبية لسجناء مغرب العصر الوسيط "أدب السجن"

الباب الثالث: الحياة داخل السجن ومصائر السجناء

الفصل السابع: وضعيات السجناء

اختلفت الوضعيات التي كان عليها السجنين، بدءا من اعتقاله وتطويفه وصولا إلى وضعه داخل زنزنته، كما اختلفت علاقته بمحيطه سواء داخل السجن أو خارجه.

المبحث الأول: أسباب الاعتقال، حيثياته وظروفه

تنوعت السجون وكثرت خلال العصر الوسيط وزاد تشعبها نظرا لكثرة الجرائم والفوضى والإضطرابات، وهو الأمر الذي يمكن تأكيده على الرغم من الغموض الذي يلف موضوع السجن في مغرب العصر الوسيط خاصة فيلما يتعلق بجوانب عمارة السجون، إلا أن الباحث ومن خلال وفرة حالات الاعتقال يمكن أن يرسم صورة أقرب إلى الواقع فيما يخص أسباب الاعتقال وحيثياته وظروفه.

يقدم الوزان أنموذجا عن المراحل التي كان يمر بها سجناء العامة من الاعتقال إلى السجن ويقول "وربما كانت أشد عقوبة تطبق على المجرم هي جلده بمحظر العامل مائة جلد أو مائتين أو أكثر. وبعد الجلد يقوم الجلاد بوضع سلسلة من الحديد ثم يطوف به في المدينة كلها عاريا تماما إلا من سروال قصير يستر عورته. ويحضر عملية التطويف هذه قائد الشرطة، ولاينقطع صوت الجلاد أثناءها عن إعلان نوع الجريمة المقترفة ثم يلبس المجرم ثيابه ويعود إلى السجن"⁽¹⁾، وعلى الرغم من كون ما يقدمه الوزان "يمتد زمنيا إلى بداية العصر الوطاسي إلا أنه يمكن جعل هذه الطريقة في التعامل مع السجناء امتدادا لما قبل الوطاسيين بحيث لا يستبعد الباحث مصطفى نشاط حضور المراحل ذاتها في تاريخ المغرب الوسيط بحكم بطء تطور بنية العقاب به"⁽²⁾.

¹ - الوزان، م.س، ج 1، صص 249-250.

² - نشاط، م.س، ص 74.

لقد اختلفت حيثيات الاعتقال في العصر الوسيط بالمغرب، فالمعتقلون في القضايا الاجتماعية كانوا يحالون على القاضي الذي يعتبر المسؤول عن مثل هذه القضايا حيث يباشر عملية التحقيق مع المجرمين على **اختلاف فئاتهم**، ولهذا الغرض كان للقاضي سجن خاص به يوضع فيه الجاني احتياطيا حتى يقوم القاضي بالتحقيق معه إلى حين إصدار حكم نهائي فينقل من ثبت في حقه الجرم إلى السجن العام المخصص لحبس أصحاب الجرائم والجنایات ونسوق لهذا الغرض نموذجا من الأندلس وهي قصة خادم المنصور ابن عامر وأمينه على نفسه، " **ذلك** أن المنصور احتاجه يوما إلى **الفصد** وكان كثير **التعهد** له، فأنفذ رسوله إلى محمد فألفاه الرسول محبوسا في سجن القاضي محمد بن زرب، لحيف ظهر منه على امرأته ... فلما عاد الرسول إلى **المنصور بقصته** أمر بإخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن، يلزمه إلى أن يفرغ من عمله ثم يعيده **إلى محبسه**"⁽¹⁾، ولم يتدخل المنصور في قضية سجن القاضي لخادمه ولم يستجب إلى شكوى الخادم حيث أجابه قائلاً: "يا محمد إنه القاضي وهو في عدله ولو أخذني الحق، ما أطق الإمتناع منه، عد إلى محبسك أو اعترف بالحق، فهو الذي يطلقك"⁽²⁾.

وأما المعتقلون في القضايا السياسية من تآمر على الدولة أو الثورة أو الإتيان بأمر تنكره أجهزتها فمرد أمرهم إلى الأمير والسلطان الذي كانت له سجونه الخاصة أغلبها ملحق بالقصر، وقد سبقت الإشارة إلى نزلاء هذه السجون في مباحث أخرى (سجن الوزراء، الكتاب، الأمراء...).

مالت السلطة إلى إحكام السيطرة على السجناء وتقييد حريتهم وعملا بهذا المنطق وظفت مجموعة من الوسائل تسميها المعاجم بآلات الأسر من قيد وكبل، وكانت هذه الآلات مصاحبة لعقابهم وأمرها أساسيا في عملية السجن.

¹ - ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 290.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

والقيد يتكون من سلسلة وهي عبارة عن حبل لين من الحديد ذو حلقات تدخل كل حلقة بما بعدها، وهو أمتن صنعا وأثقل وزنا وإذا بلغ القيد غاية الثقل سمي الكبل⁽¹⁾، وأغلب المعتقلين كانوا يحملون إلى السجن وعلى أيديهم الكبل، وهذا كان حال أبو ابراهيم الرجرجاني الذي أمر العامل بتقييده وحمله إلى السجن⁽²⁾، وعملية القيد هاته كانت تطال العدد الكثير من المعتقلين في آن واحد، فهذا أبو عبيد الله الشيعي أمر بأن يبعث إليه بحوالي مائتي رجل أظهروا تحليل المحرمات بالقيروان وباجة وتونس وجاهروا بها، فكتب إلى عماله بهذه المواضع يرفعهم إليه مقيدين⁽³⁾، ولم يفرق هذا الإجراء بين العام والخاص حيث كان التقييد أو التكبيل ينال كل من تبث في حقه جرم سواء أكان من خواص الدولة أو من العامة، فالشاعر المشهور يحيى بن حكم الغزال اتهمه الأمير عبد الرحمان بن الحكم بتبديد أموال الأعرار الذي كلفه بقبضها فأمره الأمير بإرجاعها فأبى ذلك، وعندما علم السلطان بامتناعه من الأداء أمر بأن يحمل إليه وهو مقيد في الكبل⁽⁴⁾، ولم يسلم الوزراء أنفسهم من هذا الأمر فعندما أراد الأمير أبو الحكم المنذر بن محمد القبض على الوزير هاشم بن عبد العزيز لتصرف أنكره منهم أشخصه من **داره** راجلا مكبلا⁽⁵⁾.

وفي بعض الأحيان تستعمل قيود كثيرة على المعتقل تتكيلا به وهو الشيء الذي عانى منه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس بن أبي زكرياء الأنصاري بغرناطة حيث أخرج من سجنه وهو في قيوده وبإديس بن حبوس يسبه ويقبل على تبيكته بذنوبه⁽⁶⁾، ويصف ابن

¹ - البرزة، م.س، ص 28 و 30.

² - ابن الزيات، م.س، ص 356.

³ - ابن عذاري، م.س، ج 1، صص 201-202.

⁴ - ابن دحية، م.س، ص 136.

⁵ - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 1، ص 139.

⁶ - ابن عذاري، م.س، ج 3، ص 172، وينظر كذلك:

- AVILA (Maria louis), Al-yryanie iben abbase, victim de badis, en estudio nomastico-biograficose de al andaluse (de meurte violenta), XIV, editos por maribel fiero, Madride csic, 2004, pp 155-165, et CLAUDIO (Sanchez) , opcit, p10.

بسام ثقل القيود التي استعملت على هذا الوزير فيقول "فاشئت البلاء بأحمد لفرط فزعه وثقل حديده وامتناعه عن استيفاء الغذاء المقيم لجسمه، وتألمه من عقر القيد لظنو به"⁽¹⁾.

ويقدر ثقل قيود هذا الوزير بأربعين رطلا (20 كيلوغرام تقريبا)، حيث يقول صاحب الإحاطة "حتى قبض عليه ونبعت الحوادث لهضمه انتباهة انتزعت به فخره وعزته وغادرته أسيرا دليلا يرسف في وزن أربعين رطلا من قيده"⁽²⁾، وهو الشيء الذي يؤكد الباحث رينهارت دوزي حيث يقول "وألقى بابن عباس في سجن الحمراء وقيد بسلاسل ثقلا لا تقل عن أربعين رطلا"⁽³⁾، وهناك من استعمل الحيلة والمكر والخديعة لإلقاء القبض على من تعتبرهم السلطة خارجين عنها ونسوق لهذا الغرض ما فعله عبد المومن الموحي مع يصلاتن بن المعز عند ما خرج عن طاعته مع أبناء المهدي عيسى وعبد العزيز، " **إذ أمر لعبد الله بن سليمان** وقال له في السر تحيل كيف تأخذ يصلاتن في البحر، فعمر عبد الله بن سليمان منتزها قطعيتين بالبنود، وقال ليصلاتن بن المعز تمشى معنا للنزهة فدخل معه في القطائع وتنزّه ومضا به وجاء ثم طلب البحر فلما توسط في البحر كبله وجاء به إلى سبته وسجنه فيها"⁽⁴⁾.

يتضح جليا أن السلطة لم تكن في كل الأوقات تعتمد على منطق القوة والمواجهة المباشرة، وإنما استعملت المكيدة لإلقاء القبض على كل من تراه خارجا عن إرادتها، وقد كانت نهاية يصلاتن مأساوية، حيث أنه عندما كان إياب الخليفة من الغزو وأمر عليه بإمضاء حد الحسام...على جدع مرآى من جميع الأنام⁽⁵⁾، **وبعد "ضرب" عنق** يصلاتن

¹-ابن بسام، م.س، ق 1، مج 1، ص 663.

²- ابن الخطيب، الإحاطة، م.س، ج 3، ص 131.

³- رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، م.س، ج 3، ص 29.

⁴- البيهقي الصنهاجي، م.س، ص 75.

⁵- ابن عذاري، م.س، قسم الموحيين، ص 47.

صلب بالبينة والإشهاد⁽¹⁾.

وفي بعض الأحيان كان الانتقام سبيلا لإشخاص بعضهم إلى السجن وكان ذلك يدخل في إطار تصفية الحسابات الشخصية بين القواد المسلمين وهو ما فعله أبو المهاجر دينار عند ما أصبح واليا على إفريقية، حيث قام بعزل عقبة بن نافع فأساء عزله وسجنه، وأوقره حديدا⁽²⁾، وتكمن معالم الرغبة في الانتقام من خلال ما قام به عقبة بن نافع عندما عاد واليا على إفريقية، حيث خرج سريعا بحنقه على أبي المهاجر، فأوثقه في وثاق شديد وأساء عزله، وغزا به معه إلى السوس، وهو في حديد⁽³⁾.

بالإضافة إلى الرغبة في الانتقام والحيلة استعمل أسلوب التعجيز كوسيلة للزج بالمعارضين في السجن او للتضييق عليهم، والمثال على ذلك ما فعله الجباني مشرف فاس مع الصحراوي صاحبها عندما هم الموحدون بحصارها، إذ **"أنه طلبه بمال** وضيق عليه فلم يكن في وسعه إعطاؤه إليه فكتب إلى أحد قواد الموحدين ووعده أن يمكنه من البلد"⁽⁴⁾، كما استعملت هذه الوسيلة كذريعة للزج بأبي علي عمر بن أيوب بالسجن فبعد أن **"حوسب على** ما كان تحت نظره وفي اختزانه من أموال النفقات والموقف عنده من سائر **المرتبات"**⁽⁵⁾، فلم يجدوا عنده الشيء الكثير **"ولم** يستوفي ما لديه من مال ما وقفوا عليه وعندما سئل عنه لم يجد جوابا، وأمر باسترجاع المبالغ المالية كلها فقام عمر بن أيوب بضم ديونه وجمع أطرافه وجمع نحو الخمسة عشر ألف دينار فقبضت منه وطلب باستيفاء الباقي فعجز فاعتقل نتيجة لذلك"⁽⁶⁾.

¹ - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 75.

² - ابن عبد الحكم، م.س، ص 266.

³ - نفسه، ص 267.

⁴ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 24.

⁵ - نفسه، ص 225.

⁶ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

وكانت عملية تفتيش الناس تصاحب عمليات الإعتقال والزج ببعض المشتبه فيهم في السجن، ففي رواية مناقبية تعرض أصحاب الشيخ أبي زيد عبد الرحمان الهزميري بأغامت للمسرقه بالحمام، وكانت المسروقات عبارة عن ثمانين ديناراً من الذهب وحجر من الياقوت وكرة من العنبر فكان أن لجأ حاكم المدينة إلى تفتيش الناس وسجن بعضهم⁽¹⁾.

واستعملت الأقفال الخشبية لنقل المعتقلين كما فعل القائد الفاطمي جوهر الصقلي بصاحبي فاس وسجلماسة عندما حاصر المدينة حيث أقدمهم وقيدهم وجعل لهما قفصين من خشب وجعل كل واحد في قفص وحملهما على الجمال وقفل إلى إفريقية⁽²⁾.

وفي بعض الحملات العسكرية كان يلقي القبض على كل متجول في البلد المقصود بالحملة في صورة تشبه إلى حد كبير "حظر التجول"، حيث كان على الناس ملازمة بيوتهم وإلا يكون الاعتقال ثم السجن مآلهم، كذلك فعل أبو الفتوح العامل على إفريقية حيث أمر واليه عبد الله بن محمد الكاتب أن يقيم أسطولا بالمهدية سنة 365 هـ وأمر بأهل القيروان وغيرها أن يأخذ كل من لقي منهم، وملاً بهم السجون⁽³⁾، وكان من شدة خوف الناس على أشكالهم بهذه المناطق سواء أكانوا من الخاصة أو العامة أن لزموا البيوت ولم يكن بمقدور أحد الخروج خوفاً من السجن حتى إذا مات أحد عندهم لا يخرجهم إلا النساء⁽⁴⁾، وكثيراً ما كانت السعاية والوشاية سبباً من أسباب اعتقال بعض الأشخاص، وقد سبق في مباحث أخرى ذكر بعض من هذه النماذج وخاصة عندما يتعلق الأمر بالشخصيات الوازنة في الدولة إذا ما دخل الحقد والحسد فيما بينهم فيعمل كل واحد على الكيد للآخر، وتعزز النماذج السابقة بنموذج أبلغ في التوضيح لهذه الحثيثة من أسباب الاعتقال، وهو الذي

¹ - ابن تيجلات (أبو عبد الله)، أتمد العينين ونزهة الناظرين مناقب الأخوين، تحقيق محمد رابطة الدين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، 1986، ج 1، ص 256.

² - ابن أبي دينار القيرواني، م.س، ص 61.

³ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 247.

⁴ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

يخص الأمير مطرف بن عبد الله الذي عظم عليه أمر تولية أخيه الأمير محمد ولاية العهد من قبل والدهم فلم يزل بعد ذلك مطرف يغري بمحمد إغراء ويطوي له عداوة وبغضاء ويزعم أنه يخاطب ابن حفصون ويدخله ويداهنه على القيام على أبيه ويواصله فسجن الأمير عبد الله ابنه محمد في دار البنيقة وامتنح خلال ذلك عين الحقيقة⁽¹⁾.

المبحث الثاني: صور السجناء داخل زنازينهم

هذا المبحث هو محاولة لرصد الوضعيات المختلفة التي يتخذها السجناء داخل زنازين السجن بمغرب العصر الوسيط، وهي محاولة تكاد تكون اجتهادا تحليليا مستتبطا من الإشارات المتحصل عليها من المصادر التاريخية المتوفرة، التي توثق لحالات اعتقال مجموعة من الشخصيات والزج بهم داخل فصول السجن في وضعيات كانت أغلبها تهدف إلى إحكام السيطرة والمراقبة على السجناء.

إن أغلب الحالات المرصودة تشير إلى أن السجناء كانوا تحت وطأة القيد والتكبير، ويبدأ تقييد السجين منذ اعتقاله وتسمى الأداة المستعملة لهذا الغرض بالجامعة، وتوضع في يد من يقاد إلى السجن ليأمن رجال الأمن من يديه ريتما يودع في محبسه⁽²⁾، وداخل السجن استعمل القيد وهو سلسلة من حديد ذات حلقات تدخل كل حلقة بما بعدها، وهو أمتن صنعا وأثقل وزنا لا يجدي فيه المراس أسود اللون⁽³⁾، وكان من الضروري أن يكون القيد كافيا للإحاطة بيدي ورجلي السجين وينتهي القيد (طرفاه) بحلقتين يسميان حجلا القيد ويصل بين الحجلين عامود يسمى الزمارة (القفل)⁽⁴⁾، وإذا كان القيد ثقيلًا سمي بالكبل.

¹ - نفسه، ج 2، ص 161.

² - البرزة، م.س، ص 26.

³ - نفس المرجع والصفحة.

⁴ - نفس المرجع والصفحة.

وقد عانى سجناء المغرب الوسيط داخل زنازينهم من ثقل القيد ويصف ابن عباد ثقل قيده قائلاً.

يعيد على سمعي الحديد نشيده ❀ ثقيلًا فتبكي العين بالحبس والنقر⁽¹⁾

وأيضاً:

دمي شراب لك واللحم قد ❀ أكلته لا تهشم الأعظم⁽²⁾

وتشير هذه الأبيات إلى أن القيد كان ملازماً للمعتد بن عباد داخل السجن، وكان يعاني منه معاناة كبيرة، والشيء نفسه وقع مع ابن واندوين من كبار الدولة الموحدية سجين أزمور، حيث " **سجنه ابن** ماكسن بدويرة بإيزائه وجعل عليه عشرة من رجاله يحرسونه في ليله ونهاره، ويتسمعون من أخباره ومقاله، وكان عليه كبل ثقيل لا يقدر أن يتحرك من أجله **لثقله**"⁽³⁾، وقد وصل ثقل القيد في بعض الأحيان وزناً كبيراً حيث كان من السجناء من لا يستطيع التحرك أو التملل لثقله، فهذا أمير مألقة تميم عندما ألقى عليه القبض من قبل المرابطين في حملتهم على الأندلس، سوق وألقي في الحديد⁽⁴⁾، وعند نفيه إلى السوس يخبر ابن بلقين عبد الله أنه لقيه بمكناسة فأخبره بهول ما قاس وشاهده على تلك الحالة وقد شقى بالكبل لعظمه لا يقدر أن يتحرك به⁽⁵⁾.

ولم ترتبط صعوبة التحرك بثقل القيد فقط، بل في بعض الأحيان كان السجين يجد صعوبة في التحرك به نتيجة ضيق الكبل وعدم طول حلقاته، فعندما أطلق سراح السجناء الفاسيين من سجن أغمات زمن المرابطين، الذين كانوا يسامرون المعتد بن عباد، بقي

¹ - ابن بسام، م.س، ق 2، مج 1، ص 70.

² - نفسه، ص 73.

³ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 368.

⁴ - ابن بلقين (عبد الله)، التبيان، تحقيق إ.لوفي برفنسال، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 163.

⁵ - نفس المصدر والصفحة.

المعتمد في مجلسه يشتكى من ضيق الكبل ويبيكي بدمع كالويل⁽¹⁾، ومن الحالات المخلة لأبسط شروط الإنسانية هو استعمال أمكنة تكون غاية في الضيق بالنسبة للسجناء، وهو ضيق إما أن تفرضه مساحة المكان أو عدد السجناء. ففي حملة الخليفة الموحدى عبد المومن على السوس ساق غنائم كثيرة وحفل بها في اتجاه تينمل ومن بين هذه الغنائم ألف وخمسمائة امرأة سجنهن الخليفة "في زريبة" أنشأت لهذا الغرض⁽²⁾، ولنا أن نتصور الظروف المحيطة بسجن هذا العدد الهائل في مكان واحد وضيع البناء على أنموذج الزريبة التي هي في الأصل تستعمل لجمع قطع من الماشية.

بنيت بعض السجون خصيصا لاستقبال أعداد هائلة من المساجين كما هو الحال بالنسبة لسجن فاس، الذي يقول الوزان أنه كان يسع ثلاثة آلاف شخص⁽³⁾، فكيف لبنانية أن تسع لهذا العدد الهائل، ومن المعلوم أن السجن بمدينة فاس كان يقع بالقصبة قرب مقر العامل⁽⁴⁾، واستعملت البيوت الضيقة كمكان سجن في مجموعة من الشخصيات ففي زمن السعيد الموحدى سجن كل من علي بن هلال ووشاح بن هلال وجماعة من أعيانهم وأضاف إليهم ابن وقاريط، وسجن كل واحد ببيت صغير ليس لهم فيه تزحزح⁽⁵⁾، لقد أمدنا الشعراء المساجين بأبيات شعرية غاية في الأهمية توضح حجم المعاناة والهواجس التي كانت تكتنفهم داخل أسوار السجن وصوروا لنا حياتهم على صورة موت بطيئ بفعل المعاناة المستمرة، ومالت بذلك مواضيعهم إلى معاني الحرمان والبؤس والهوان التي فرضها عليهم السجن، وخير ما وصلنا في هذا الأمر ما جاء به مروان بن عبد الرحمان أبو عبد الملك المعروف

¹ -رينهات دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط 1، دار هندايو للتعليم والثقافة،

2012، ص 217.

² -البيزق الصنهاجي، م.س، ص 92.

³ -الوازن، م.س، ج 1، ص 249.

⁴ - نفس المصدر والصفحة.

⁵ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 346.

بالطلاق الذي سجن أيام المنصور بن أبي عامر مدة ستة عشر سنة وقد كتب أبيات شعرية يصف حالة السجن وهي انعكاس لمعاناته داخل زنزانته حيث يقول:

في منزل كالليل أسود فاحم ❀ داجي النواحي مظلم الأتجاج

يسود والزهراء تشرق حوله ❀ كالحبر أودع في دواة العاج⁽¹⁾

وشاعر آخر يصف حياة السجن من الداخل وهو يحيى بن هديل (توفي 389 هـ) وهو وصف يعكس مدى مأساوية حاضره التعيس الذي يتلخص في آهات من معه في السجن ويقول الشاعر:

لقد بعدت عني ديار قريبة ❀ عجبت لجار الجنب وهو غريب

أعاشر أقواما تقر نفوسهم ❀ فلهم فيها عند ذلك ضروب

إذا شعروا من جارهم يتأوه ❀ أجابتهم منهم زفرة ونحيب

فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا ❀ لكل امرئ مما دهاه نصيب⁽²⁾

وتبرهن هذه الأبيات عن حالة السجناء حيث أن كل واحد منهم يلتحف آهات غيره، ويتقاسمون الألم والمعاناة متمسكين بالصبر والجزاء الجميل تخفيفا من حدة الألم والوجع.

لقد كان السجناء يصبحون ويمسون على بعضهم وهم مكبلون ومقرونون بالأصفاد، لباسهم غاية في الوسخ كأسمال بالية، وهو ما يوضحه الشاعر أبو الحسن البغدادي بقوله:

أمسي وحولي رجال في الكبول وهم ❀ مقرونون بأصفاد وأغلال

¹ - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 1، صص 221-222.

² - السائر (محمد عويد)، أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي ويلييه ابن هذيل التجيبي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص 287.

كم قائل لي أثوابي مدنسة ❀ وقد غذوت مذالاً مثل أديال

أصرت ترفل في الأسمال قلت لهم ❀ أسمالي اليوم بين الناس أسمى لي⁽¹⁾

ويتضح من خلال هذه الأبيات أن الرجل مسجون مع رجال مكبلين بالحديد ليلاً ونهاراً حتى تأكلت ملابسهم وتمزقت من كثرة التواء الحديد عليها.

ويضيف الشاعر ابن عمار إلى الصورة لمسات قاتمة تزيدها تأثيراً في النفوس ناتجة عن لحظات من التأمل في وضعيته حيث يقول:

وانجذب في صلاصل الرعد تحكي ❀ صحبتي في سلاسل وقيودي

وأنا اليوم تحت ظل عقاب ❀ لقوة مخوت الجناح صيود

أتقيها بناظر خافق اللحظ ❀ مروع وخاطر مزوود⁽²⁾

ويقدم الشاعر الأندلسي ابن دباغ صورة حقيقية عن الحالات التي كان يعيشها السجناء داخل السجن، وكان ابن الدباغ قد أنزل بمكان ضيق شبيهه بالقبر، وذكر أن وجه الاختلاف بين سجنه والقبر هو أن الناس في القبر يدفنون أمواتاً وفي هذا المكان يدفنون أحياء، وهو في ذلك يقول: "فرق ما بين المكان الذي وردت عليه وبين القبر الذي مآل الإنسان إليه أن المقيم به والساكن فيه يدفن حياً"⁽³⁾، ويزيد ابن الدباغ على ذلك بتقديم وصف دقيق لما قد يقوم به المساجين خلال حياتهم اليومية، فهم تارة لا يفعلون شيئاً ويمضون يومهم في فراغ تام فيقول "فأنا منذ احتلاله أفرغ من حجام سباطاً"، وتارة يتسلون بأحد الألعاب مثل النرد والشطرنج أو يطالعون الأخبار "وتارة أطالع أخبار بشر وهند"⁽⁴⁾،

¹ - ابن بسام، م.س، ق4، مج1، ص374.

² - نفسه، ق2، مج1، صص 426-427.

³ - نفسه، ق3، مج، ص274.

⁴ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

ومنها كذلك أن يعدوا الحصى ويرمون بها⁽¹⁾ وأخرى أيضا: "أظل ردائي فوق رأسي قاعدا، أعد الحصى جاهدا، وأرمي بها صادرا وواردا"⁽²⁾ وكان حديث السجناء إلى بعضهم من أهم ما يقومون به داخل الزنازين، وهو ما كان كفيلا بأن يزيل نوعا ما تلك الوحشة والغربة التي كانت تحيط بهم ويقول ابن الدباغ "وكانت راحتي في مخاطبة صديق أجازبه الكلام وأقطع بمناجاته الأيام"⁽³⁾.

المبحث الثالث: علاقات السجناء

1- علاقة السجناء فيما بينهم

لم نقف في حدود ما اطلعنا عليه إلا على إشارات نادرة تخص علاقة السجناء فيما بينهم، وتتم عن علاقة المسامرة والتسلية، وهو شأن الطائفة من أهل فاس المسجونة بأغصات بمعية المعتمد ابن عباد، التي طلبت من مراقب السجن السماح لهم بأن يستريحوا إلى المعتمد من أشجانهم، فكان المعتمد يتسلى بمجالستهم ويجد أثر مؤانستهم⁽⁴⁾. وهو ما يوضح جليا أن السجن بكل تجلياته المؤلمة قد يحول من معادن الناس، فهذه الطائفة من أهل فاس وصفت بالفسوق والفساد ولكنها سرعان ما تحولت إلى أنيس وجليس للمعتمد، ومن السجناء من تودد إلى رفاقه في السجن إلى أن يخلصوه من عذابه بقتله، فهذا يوسف ابن أبي حبوس كان معتقلا عند الأمير نصير الدولة فنكل به وعذبه في أشنع صور التعذيب، فبعد أن عدد على يوسف مساوئ أفعاله وقبائح أعماله أمر به فجذع أنفه وقطعت أذنه وقطعت يداه⁽⁵⁾، وبعد كل هذا التعذيب امر نصير الدولة أن يعاد يوسف ابن أبي حبوس لموضع اعتقاله

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 100.

⁵ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 265.

وبات في تلك الليلة مشحطاً في دماغه يئن من ألم ما أصابه وكان معه في السجن أخ له فطلب منه ان يقتله ليرتاح من آلامه ولكي لا يعود نصير الدولة إلى تعذيبه في اليوم الموالي، فما كان من أخيه إلا أن أوقفه فضرب ضربة عظيمة بجبهته في عمود، قدرت منها عيناه، وجرى دماغه وخر إلى الأرض ميتاً⁽¹⁾.

وفي رواية أخرى هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، أنه عندما حاصر عبد المومن الموحيدي مدينة مراکش سنة 541 هـ واشتد هذا الحصار وطال على أهل مراکش، ونفذت المؤونة وفنيت مخازنهم، اضطر أهل السجن إلى أكل بعضهم البعض، وقد وردت رواية هذا الحصار في الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، "وطال الحصار عليهم واشتد الجهد بهم ولكثرة خيلهم ورجلهم نفذ طعامهم وفنيت مخازنهم حتى أكلوا دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفاً، ولما طال عليهم الحصار، واشتدت أحوالهم هلكوا جوعاً حتى اكلوا الجيف وأكل أهل السجن بعضهم بعضاً"⁽²⁾.

2- علاقة السجناء بالسجان

وإذا كان السجان مجرد عبد وخادم ينفذ أوامر الأسياد حرفياً فإن علاقته بالسجناء كانت تتراوح بين القسوة وبين الشفقة والرحمة، وفي أغلب الأحيان رسم السجناء صورة قاتمة عن حارس السجن (السجان) حيث ربط المعتمد بن عباد السجان بالموت والإعدام فيقول:

وأن لم تبث مثلي تطير قلوبها ❁ إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل

لنفسى إلى لقيا الحمام تشوف ❁ سواء يحب العيش في ساقه كبل⁽³⁾

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص 138.

³ - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 102.

ومن خلال هذه الأبيات يتضح أن شعور المعتمد ابن عباد كان مليئاً بالخوف والقلق وخاصة بعد أن اجتاز عليه بموضع اعتقاله سرب من القطا (سرب من الحمام)، فأحس بنعيم الحرية التي تنعم بها⁽¹⁾، واستولت عليه فكرة الموت الطارق باب سجنه في أي لحظة يدخل فيها عليه حارس السجن، وقد تناسى المعتمد ابن عباد إشفاق السجناء عليه من وحدته، إذ سمح لطائفة أهل فاس المسجونة بأن تجالسه حيث رغبوا إلى السجناء بأن يستريحوا إلى المعتمد من أشجانهم فخلى بينهم وبينه وغامض لهم في ذلك عينه⁽²⁾، ولعل عبارة -وغمض لهم في ذلك عينه- تتم عن وجود بعض السجناء الذين كانوا يشفقون من حالة الغربة والوحدة التي يعيشها السجناء فيعمدون إلى السماح لهم بمجالسة بعضهم البعض والاستئناس فيما بينهم.

وتجمع أغلب الإشارات أن معاملة السجناء للسجناء كانت في مجملها تتسم بالقسوة والترهيب، إذ أن أغلبهم كانوا من شرار الناس والشر أحب إليهم من الخير⁽³⁾، حتى أن بعضاً منهم اختص بوظيفة العذاب، وكان يشترط فيه أن يكون خلواً من كل وازع ديني وخلقى وعلى درجة كبيرة من الفضاضة⁽⁴⁾، فكان بلاء السجناء عظيماً به وقد توترت العلاقة بين السجناء والمسجون حتى عمد كل واحد على قتل الآخر في بعض الأحيان، فالأمير أبو عبد الرحمان يعقوب ابن أبي الحسن المريني عندما تار على أبيه سجنه ورتب العيون لحراسته إلى أن أقدم الأمير على قتل السجناء وهرب فأرسل السلطان حاجبه علان بن محمد ففضى عليه⁽⁵⁾.

¹ - ابن عباد، م.س، ص 110.

² - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 100.

³ - ابن عبدون، م.س، صص 17-18.

⁴ - البرزة، م.س، ص 128.

⁵ - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 343.

ومن السجناء من تحايل على سجانه ليستطيع الهروب من سجنه ومنهم علي بن حيون الكومي الذي كان مسجوناً بمراكش أيام الأمير الموحيدي أبو يعقوب يوسف فتحيل على رقبائه وسقاهاهم الخمر وأسكرهم وكسر حديدته⁽¹⁾، وإن كانت هذه الإشارة تفصح عن شيء فإنما تفصح عن علاقة ثقة ربطت في بعض الأحيان بين السجناء والمسجونين، فكيف لموظفين في دولة قامت على أساس محاربة الخمر في مواجهتهم للدولة المرابطية التي اتهموها بإتيان المحضورات كالتعاطي للخمور حتى لقبوهم "الزراجنة" أي المخمورين⁽²⁾، أن يقبلوا بتعاطي الخمر، الحالة نفسها تتكرر مع قصة فرار ابن واندوين من السجن الذي كان غاية في الإكرام والإحسان لحراس السجن، وربما إكرامه هذا كان بمثابة استمالة للحراس حتى ينال مراده، فأغذق العطاء لأحد الحراس الذي هيا الظروف لابن واندوين للفرار من السجن⁽³⁾، وبطريقة معاكسة جد السجناء في قتل السجناء عن طريق استعمال الحيلة والخديعة فعندما سجن عبد السلام الكومي تحيلوا في قتله فوصل الأمر إلى السجناء الذي صنع له تردة في فروج جعل فيها سما ورغب لعبد السلام بأن يأكلها وخدعه بأن قال له: قد وصل الأمر بسراحك ورغبتني منك أن تجازيني على حسن تلطفي بك وعندما أكل الوزير هذه التردة تشعر بالسم فيها ورمى باللقمة في وجه سجانه ومات من ليلته⁽⁴⁾.

الحقيقة أن علاقة السجناء والمسجونين أو الأسير لم تكن دائماً مبنية على القسوة والتعذيب وإنما وصلت في بعض الأحيان حد الإحسان إلى السجناء، فعلى الرغم من العلاقة المبنية على الصراع والحرب والمواجهة بين سكان المغرب من بربر وبين الفاتحين العرب، فإن الكاهنة أحسنت إلى الأسرى الذين تمكنت منهم وفي ذلك يقول ابن عذاري "وكانت الكاهنة لما أسرت ثمانين رجلاً من أصحاب حسان أحسنت إليهم وأرسلت بهم إلى حسان

¹ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحيدين، ص 157.

² - نشاط، م.س، ص 31.

³ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحيدين، 368.

⁴ - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 118.

وحبست عندها خالد بن يزيد فقالت له يوما "ما رأيت في الرجال أجمل منك ولا أشجع وأنا أريد أن أرضعك فتكون أبا لولدي"⁽¹⁾، وقد كان إحسان الكاهنة ديهيا للأسرى العرب بأن أعطتهم حريتهم لما رأته منهم من سلوك بسيط وتعامل حسن، وبلغ إحسانها بهم بأن استبقت عندها خالد بن يزيد العبسي الذي تبنته فجعلته ابنا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير وهم يسمونه "البسيصة" ثم دعت خالد بن يزيد وابنين لها فأمرتهم فأكلوا ثلاثتهم منه وقالت لهم: أنتم الآن قد صرتم إخوة⁽²⁾.

3- علاقة السجناء بالمجتمع

كانت زيارة السجناء من الأمور المسموح بها في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، فقد كانت من القواعد المتبعة التشديد على السجناء بعدم منع أحد من زيارة مسجون، حيث أكد ابن عبدون⁽³⁾ في رسالته أن "لا يمنع أحد من زيارة مسجون"⁽⁴⁾.

ولعل الإصرار والتشديد على السماح بزيارة السجناء مرده بالأساس إلى ذلك الشوق والحنين الذي كان يكتنف السجناء وخاصة إلى الديار والأهل والأحباب، فلم ينقطع بذلك جسر التواصل بين السجين والمجتمع، ولم يقتصر التواصل مع عالم السجن والمجتمع على الزيارة فقط بل تعداه إلى غير ذلك حيث غالبا ما كانت السلطة تآذن في مكاتبة السجناء لأصحابهم ما دفعهم إلى بعث مجموعة من الرسائل خارج أسوار السجن يصفون من خلالها أحوالهم وأهوال السجن ومنها رسالة كتبها الشاعر ابن عمار وهي رسالة شعرية بعث بها

¹ - ابن عذاري، م.س، ج1، ص62.

² - الحميري، م.س، ص65.

³ - بالرغم من كون ابن عبدون أندلسيا، فإن نظام الحسبة والمحتسب، لم يختلف كثيرا في الأندلس عنه في بلاد المغرب، ذلك أن جملة من النصوص التاريخية الأندلسية في الحسبة تتسحب على باقي بلاد الغرب الإسلامي، ومنها المتعلق بتسيير السجناء.

-TALBI (M), Quelques données sur la vie social en occident musulman d'après un traité de hisba au 15 siècle, arabica, t 1, Fasc. 3 (Sep, 1954), p296.

⁴ - ابن عبدون، م.س، ص 19.

إلى صديقه أبي الفضل بن حسداي الشاعر، يستزيره في معتقله من حصن شقوره ويصف له بعض ما هو عليه جاء فيها.

أدرك أخاك ولو بقافية ❀ كالظل يوقظ نائم الزهر
فلقد تقادفت الركاب به ❀ في غير مرماه ولا بحر
طفحت صحابته بلسنة ❀ وتمايلت سكرًا بلا خمر⁽¹⁾

والشاعر نفسه أرسل رسالة أخرى إلى بعض أصحابه يعاتبهم فيها عن عدم زيارته جاء فيها.

إخواننا هل حال من دوننا أمر ❀ تراءى لكم أم وحشة جرّها الدهر
بخلتم بلقيانا وكان نزولنا ❀ على جفوة منكم وإن عظم البر
وما هو إلا مقطع كهوائكم ❀ عصيب وخلق مثل منزلكم وعر
ثقوا بي إذا عن اللقاء فما اعتزى ❀ إلى شيمي غدر ولا بيدي سحر⁽²⁾

يعتبر المعتمد بن عباد من أشهر سجناء المغرب في العصر الوسيط، الذين سمح السجان بأن يزوره بعض من أصحابه وأقربائه، فقد وفد عليه أبو بكر بن اللبانة لتفقد أحواله، وقد كان هذا الأخير من شعراء المعتمد، فسر الملك المأسور بوردوه، ولما أزمع ابن اللبانة على السفر كتب المعتمد قصيدة بعد أن وهب لهذا الشاعر عشرين مثقالاً وثوبين ومما جاء في هذه القصيدة.

إليك النزر من كف الأسير ❀ فإن تقبل تكن عين الشكور

¹ - ابن بسام، م.س، ق 2، مج 1، ص 401.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

تقبل ما يذوب له حياء ❁ وإن غذرتة حالات الفقير⁽¹⁾

واستفاد المعتمد ابن عباد كذلك من زيارة أبنائه فقد زاره ابنه الأمير أبو هاشم وهو في

قيده ويتقلب في حديده فبكى المعتمد لهذه الزيارة وخاطب قيده قائلاً:

قيدي أما تعلمني مسلماً ❁ أبيت أن تشفق أو ترحماً

وهي شراب لك واللحم قد ❁ أكلته لا تهشم الأعظمي

يبصرني فيك أبو هاشم ❁ فينتني والقلب قد هشماً

ارحم طفيلاً طائشاً ليه ❁ لم يخش أن يأتيتك مسترحماً⁽²⁾

وكان من المسموح للسجناء استقبال الزوار أيام المناسبات والأعياد، ولا يعلم من

المصادر إذا كان الأمر متاحاً لكل فئات السجناء أم اقتصر الأمر على السجناء من فئة

الخاصة، فهذا المعتمد ابن عباد زارته بناته يوم عيد للسلام عليه فأشعر قائلاً:

في ما مضى كنت بالأعياد مسروراً ❁ فسأءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة ❁ يغزلن للناس ما يملكن قطميراً

برزن نحوك للتسليم خاشعة ❁ أبصارهن حسيرات مكاسيراً

يطأن في الطين والأقدام حافية ❁ كأنها لم تطأ مسكا وكافوراً⁽³⁾

وسمح كذلك لبعض نساء المعتمد بزيارته في سجنه، ونستشف ذلك من قصيدة كتبها

المعتمد جاء فيها:

¹ - المراكشي، م.س، ص 117.

² - ابن بسام، م.س، ق 2، مج 1، ص 73.

³ - أدهم (علي)، م.س، ص 292، وابن خاقان، قلاند العقيان، م.س، ج 1، ص 96.

غربان أغمات لا تعدمن طبييته ❁ من الليالي وأفنانا من الشجر

تظل زغب فراخ تستكن بها ❁ من الحرور وتكفيها أدى المطر

كما نعبتن لي بالفأل يعجبني ❁ مخبرات به عن طيب الخبر

أن النجوم التي غابت قد اقتربت ❁ منا مطالعها تسري إلى القمر⁽¹⁾

ولعل المراد بالنجوم في القصيدة نساء المعتمد بن عباد قد جاءه نبأ بورودهن عليه⁽²⁾. ولقد وجد الملك الأسير في مثل هذه الزيارات والمراسلات راحة نفسية خفت عنه آلام السجن وأهوال وحدته، وجعلته ينعثق في برهة من الزمن من عالم قيود الوحدة ووحشها.

وغير بعيد عن المجال الجغرافي للمغرب فقد سمح للسجناء بالأندلس بمراسلة الأهل والأصدقاء فهذا ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار عندما كان معتقلا بسجن شقورة لم يتن قائد السجن عنه حمياه ولا منعه ممن يريد مطالعته ولقياه وأباح له الإستراحة إلى أخذانه⁽³⁾.

وقد كتب ابن عمار عددا كبيرا من الرسائل بعث بها خارج أسوار السجن طالبا الزيارة من أصدقائه، فالإضافة إلى الرسالة السابقة الذكر "الرسالة التي بعثها إلى ابن حسداي" كتب رسالة أخرى إلى ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع عندما علم رجوعه من إحدى سفرياته ومما جاء فيها وهي رسالة شعرية:

أهلا بقربك لو يطول مقام ❁ وكفى بطيفك لو يزور منام

أذنت بالعهد الجديد، وإنما ❁ قرب المدى دون اللقاء هيام⁽⁴⁾

¹ - ابن عباد، م.س، ص100.

² - نفسه، ص 76.

³ - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 2، ص 273.

⁴ - نفسه، ص 280.

بالإضافة إلى إرسال الرسائل خارج أسوار السجن كان بإمكان السجناء تلقي الرسائل كذلك، فقد تلقى ابن مرزوق وهو في سجنه رسالة من نظم أبي المكارم مندبل بن أجروم يسليه فيها بعد قتل السلطان أبي سالم جاء فيها:

يا شمس علم أفلت بعدما ❀ أضاءت المشرق والمغرب

حجبت قسرا عن عيون الورى ❀ والشمس لا ينكر أن تحجب⁽¹⁾

وتوصل المعتمد بن عباد غيرما مرة بالعديد من الرسائل من الخارج وخاصة من أبو بكر ابن اللبانة، حيث كتب إليه عندما وصلت عطايا المعتمد ابن عباد له.

سقطت من الوفاء على خبير ❀ قدرني والذي لك في ضميري

تركت هواك وهو شقيق ديني ❀ لئن شقت برودي عن غدور

ولا كنت الطليق من الزوايا ❀ لئن أصبحت أجحف بالأسير⁽²⁾

ولم يتوقف الأمر عند هذه الرسالة وإنما كانت هناك مكاتبات كثيرة بين المعتمد بن عباد وابن اللبانة فيها نوع من الأخذ والرد حتى قال ابن اللبانة "وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب في الإذلال، وانبسبت في الاسترسال، وخاطبته في أن يكون زادي من نعماته وأن يحاول صنعه بعض إمامه حرصا مني على التشريف وسعيا إلى الإستزادة من شكر المعروف"⁽³⁾، فكتب إليه رسالة أخيرة يودعه فيها مطلعها:

وداع ولكني أقول سلام ❀ وللنفس في ذكر الوداع حمام

أخادغ نفسا إن تحققت النوى ❀ فليس لها بين الضلوع مقام

¹ - المقرئ التلمساني، نوح الطيب، م.س، ج 5، ص 418.

² - ابن بسام، م.س، ق 2، مج 1، ص 63.

³ - نفسه، ص 65.

فرد المعتمد على هذه القصيدة بأخرى جاء فيها:

وبعد فإن ودعتني بخداعه ❁ فحقي أن يجني عليك ملام

ويسترسل قائلاً:

ويا عجباً حتى السمات تخونني ❁ وحتى انتباهي للصديق منام

أضاء لنا أغمات قريبك برهة ❁ وعادوها حين ارتحلت ظلام⁽¹⁾

والجدير بالذكر أن مكاتبات المعتمد ابن عباد لم تكن كلها تلقى جواباً من الخارج، فقد كتب يوماً إلى الحصري المكفوف⁽²⁾ ليفد عليه ويحث إليه خمسمائة دينار فلم يستجب الحصري لطلب المعتمد ورد قائلاً:

أمرتني بركوب البحر أقطعه ❁ غيري لك الخير فأخصه بذا الداء

ما أنت نوح فتنجيني سفينته ❁ ولا المسيح أنا أمشي على الماء⁽³⁾

المبحث الرابع: الإنتاج الأدبية لسجناء مغرب العصر الوسيط "أدب السجن"

أدب السجن جزء لا يتجزأ من الأدب بشكل عام، وقد يعتبر من أصدق الكتابات سواء أكان نثراً أو شعراً، لكونه نابع من أجواء يعمها الألم والحسرة، وكتب في ظل المعاناة والصبر داخل حجرات السجن، ولا يعني هذا أن فضاء السجن وظروفه كانت مصدر إلهام

¹ - نفسه، ص 66.

² - هو علي بن عبد الغني الفهري الحصري الضرير القيرواني أبو الحسن مقرئ وأديب وشاعر، ولد أعمى في القيروان في حدود سنة 415 هـ.

انظر: كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1993، ج 2، ص 459.

وأيضاً الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990، ج 19، صص 26-27.

³ - نفسه، ص 27.

أو فضاءاً للإبداع الأدبي، وإنما هي عبقرية التكيف عند بعض السجناء من الأدباء والشعراء وقدرتهم على ترويض العقبات وتحويلها جميعاً إلى ملهات وهو ما أطلق السنة بعضهم وفجر لديهم أنواعاً من الإبداع الأدبي، وخاصة الشعري الذي يعد من أكثر آداب السجن نظاماً خلال الفترة المدروسة، باعتبار الغنائية التي يتوفر عليها وغير الموجود في فن النثر لكون هذه الغنائية الشعرية تركز على العواطف والمشاعر انطلاقاً من الذات وتعكس شخصية السجين، وقد وجد العديد من السجناء في الشعر متنفساً لهم وأفضل تعبير يخالج نفوسهم.

أمدنا شعر السجن بمعلومات مهمة شملت جوانب سكنت عنها الأدبيات الأخرى، ويرجع ذلك لكونه يرتكز على التجربة الأسرية المعيشة في بعدها الواقعي، وقدرته على تمثيلها في بعدها الإبداعي⁽¹⁾.

كذلك كون شعر السجن يحمل خطاباً مزدوجاً يجمع بين الأدب والسياسة، وهو لحظة توثيق لإبداع فني وسرد تاريخي.

اعتنى السجناء الشعراء بتوثيق لحظة الوحدة والعزلة والإنفراد للتعبير عن الحالات النفسية داخل السجن، فكتبوا رسائل من سجونهم جمعت في بعض الأحيان بين النثر والشعر، ومن أشهر هذه الحالات ما كتبه الأمير الشاعر أبو عبد الرحمان بن طاهر الذي قضى بنو عباد على دولته وضموا أراضيها إلى ممتلكاتهم فكتب رسالة⁽²⁾ في رقعة مزجت بين الشعر والنثر، وبعث بها إلى الوزير أبي بكر بن عمار، وكان بن طاهر قد كتب هذه الرقعة بقطعة فحم على ظهر آجرة⁽³⁾، وقد عبرت رسالة الشاعر المسجون عن المأساة التي

¹ - الفضابلي (بديعة)، شعر المنافي والسجون في الأدب المغربي ما بين 1912-1956، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط 1، مطبعة كانا برانت، الرباط، 2008، ص 21.

² - للاطلاع على فحوى الرسالة ينظر: ابن بسام، م.س، ق 3، مج 1، ص 28.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

طالت الأمير لحظة اعتقاله ما جعله يتلهف لاستعطاف الوزير ابن عمار باعتبار مكانته التي تخول له التدخل والتوسط للإفراج عنه، وقد انتقى الأمير المأسور عبارات تفصح عن مدى الهم والأسى الذي يكتنفه وذلك في قوله: " ولا صدع الفؤاد وقلب ملئ من الخطوب الحداد لنبذت إليك ما بالنفس نبذة النواة، فأنت موضع السر والمناجاة، ولا زلت من الحوادث بمعزل ومن المكارم بمنزل"⁽¹⁾.

عجت سجون العصر الوسيط بسجناء شعراء خلفوا قصائد لازالت تشهد على حجم المآسي التي عاشوها، كالمصحفي والجزيري والرمادي وابن شهيد الأندلسي وابن حزم القرطبي والغزال والطلق المرواني وأبو بكر ابن عمار وابن زيدون والمعتمد بن عباد ولسان الدين بن الخطيب.

تطرقت موضوعات شعر السجون في مغرب العصر الوسيط لوصف الحياة اليومية داخل السجن، وإعطاء صورة حقيقية للحكم الهائل من الأحاسيس والعواطف والمناجاة والهواجس، وغالبا ما تنصهر ذات الشاعر المنكسرة في مشاعر الحيرة والقلق والخوف، ما جعله يميل إلى مواضيع الحرمان والبؤس والهوان التي فرضها عليه السجن، وفي هذه الحياة يوجد الشاعر السجين مروان الطليق بيت شعري يصف من خلاله حياته داخل السجن مما جاء فيه:

في منزل كالليل أسود فاحم ❀ داج النواحي مظلم الأتجاج

يسود والزهراء تشرق حوله ❀ كالحبر أودع في دواة العاج⁽²⁾

¹ - نفسه، ص 29.

² - ابن الكتاني (محمد الطيب)، التشبيهات في أشعار الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت. ص

إن الصورة التي قدمها مروان الطليق عن السجن هي نفسها صورة القبر في ظلمته ووحشته، وقد ركز الشاعر المسجون على عنصر السواد فتعدد الألفاظ الدالة عليه أسود فاحم داجي، يسود ، الحبر ..، ولعل هذه الظلمة قياس لظلمة نفس الشاعر الذي أطبق عليه السجن فغدا مثواه الأخير لا يبرحه كالقبر .

وجادت قريحة الشاعر أبو زكرياء يحي بن هذيل بصورة حية عن ما آلت إليه حياته داخل السجن منها:

لقد بعدت عني ديار قريية ❀ عجبت لجار الجنب وهو غريب

أعاشر أقواما تقر نفوسهم ❀ فلهم فيها عند ذاك ضروب

إذا شعروا من جراهم بتأوه ❀ أجابتهم منهم زفرة ونحيب

فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا ❀ لكل امرئ مما دهاه نصيب⁽¹⁾

ويصف الشاعر أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك حاله في السجن إذا يقول:

فمن رأى شاعرا في السجن مطرقا ❀ في ظلمه وهو في البهتان مظلوم

ناديت حلمك والأقدار حائمة ❀ كصاحب الحوت نادى وهو مكظوم⁽²⁾

وله في قصيدة أخرى يصف من خلالها أهل السجن وأحوالهم

أمسي وحولي رجال في الكبول وهم ❀ مقرنون بأصفاد وأغلال

كم قائل لي أنثابي مدنسة ❀ وقد غدوت هذا الأمثل أذيال

أصرت ترفل في الأسمال خلت الهم ❀ أسمالي اليوم بين الناس أسمى لي⁽¹⁾

¹ - ابن صالح الخراشي، م.س، ص 70.

² - ابن بسام، م.س، ق 4، مج 1، ص 373.

ويظهر جليا من خلال هذه الأبيات النزعة الوجدانية في تجربة الشاعر المسجون وهي ارتباطها بالواقع المعيش حملتها أفكار انفعالية واضحة تؤكد على حالة القلق والخوف التي كان يحياها السجين وأبلغ تعبير عن هذه الحالة ما قلّه الشاعر ابن شهيد:

ما اهتز السجن إلا تفترت ❁ قلوب لنا خوف الردى كبود

ولست بذى قيد يرن وإنما ❁ على اللخط من سخط الإمام قيود⁽²⁾

لم يقتصر شعر السجون على وصف حياة السجون وآلامها وعذابها وإنما تعداه إلى وصف الشعور بآلام الفراق والبعد، فأبدعوا قصائد شعرية في الحنين والشوق فأصبحت بذلك هذه الظاهرة تتكرر في هذا الشعر بل أصبح سمة عامة اتسم بها لكونه وليد حالة صعبة وحصيلة دوافع نفسية وشعورية ألمت بالمغرب السجين وممن أبرعوا في وصف حنينهم وشوقهم في أشعارهم الشاعر السجين الأمير المعتمد بن عباد سجين أغمات، الذي لم ينطفئ حنينه وشوقه إلى أيام عزه وإلى أهله طيلة أيام سجنه وهو ما جعله يعيش معهم باستمرار عن طريق التذكر وجعله يراهم في كل شيء أمامه ويتذكرهم في كل حادثة فقد حن إلى أهله مع مرور سرب من القطا عليه وأبدع قائلا:

هنيئا لها إذا لم يفرق جميعها ❁ ولا ذاق البعد عن أهلها أهل

ألا عصم الله القطا في فراخها ❁ فإن فراخي قد خانها الماء والظل⁽³⁾

وتبرهن هذه الأبيات عن حالة الشوق والحنين الذي اعترت المعتمد ابن عباد وخاصة لأبناءه، وهي حالة امتزجت بأسفه وألمه لرؤيتهم يشقون في حياتهم بعده فقد فقال عن حال بناته بعد زيارتهن له:

¹ - نفسه ، ص 374.

² - نفسه، ق 2، مج 1، ص 72.

³ - نفسه، ص 71.

فمن يك من هواه لقاء حب ❀ فإن هواي من حثفي اللقاء

أرغب أن أعيش وأن أرى بناتي ❀ عواري قد أضربهم الحفاء

خوادم بنت ما كان قد أعلى ❀ مراتبه إذا أبدو النداء⁽¹⁾

ويزيد الأمر ألماً وحرزاً عندما يتلقى خبر موت ابنه الفتح ويزيد وهو عاجز مقيد في
أسره لا يستطيع لهم شيئاً إلا البكاء عليهما، وفي ذلك يقول:

بكيت فتحا فإذا ناديت سلوته ❀ ثوى يزيد فزاد القلب نيرانا

يا فلذتي كبدي يأبى تقطعها ❀ عن وجدها بكما ما عشت سلوانا

لقد هوى بكما نجمان ما رميا ❀ إلا من العلو بالأحاط كيوانا⁽²⁾

ومن بين قصائد المعتمد بن عباد ما نظم في آلام الغربة والحنين إلى الوطن مشتاقاً
لمملكته إشبيلية وقصورها التي افتتن بها إذ يقول:

غريب بأرض المغربين أسير ❀ سيكي عليه منبر وسرير

وتدبه البيض الحوارم والقنا ❀ ينهل دمعا بينهن عزيز

مضى زمن والملك مستأنس به ❀ وأصبح منه اليوم وهو نفور

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❀ أمامي وخلفي روضة وغدير

بمنبته الزيتون مورثة العلى ❀ تغني قيان أو ترن طيور

بزاهرها السامي الذي جاده الحيا ❀ تبشير الثرايا نحونا ونشر

¹ - عزام (عبد الوهاب)، المعتمد بن عباد: الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ ، دار هنداوي، القاهرة، 2012 ، صص 95-96.

² - ابن بسام، م.س، ق 2، مج 1، ص 71.

ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده ❁ غيورين والصب المحب غيور⁽¹⁾

ويسترجع المعتد من خلال قصائد الغربة ذكريات ماضيه التي تؤكد ضياع ملكه ومجده وعزه إلى الأبد ، وفي قصيدة أخرى يتخيل الشاعر السجين أحوال قصوره بعد فراقه وما يمكن أن تكون آلت إليه وضعيتها إثر رحيله قصرا عنها ويقول فيها:

بكى المبارك في إثر بن عباد ❁ بكى على إثر غزلان وأساد

بكت ثرياه لأغمت كواكبها ❁ بمثل نوء الثريا الرائح الغادي

بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته ❁ والنهر والتاج كل ذله بادي

ماء السماء على أبناءه درر ❁ يالجة البحر دومي ذات أزياد⁽²⁾

هكذا عاش الملك السجين ما تبقى من عمره في مقارنة مستمرة بين ماضيه وحاضره في محاولة للفرار من هاجس الموت الذي كان يطارده ، لكنه كثيرا ما كان يصطدم بمرارة واقع سجنه فيتيقن من الهلاك إن عاجلا أو آجلا ونستشف ذلك من خلال رده على رسالة الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر التي يدعو فيها له بطول العمر فيقول المعتمد:

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى ❁ أسير أن يطول به البقاء

أليس الموت أروح من حياة ❁ يطول على الشقي بها الشقاء

فمن يك من هواه لقاء حب ❁ فإن هواي من حتفي للقاء⁽³⁾

¹ - نفسه، ص 75.

² - ابن خاقان، قلائد العقيان، م.س، ج 1، ص 93.

³ - المراكشي، م.س، ص 116.

ولم يفت المعتمد بن عباد أمر التعبير عن السخط والامتعاض على الأمير يوسف بن تاشفين وعلى حاسديه ممن كانوا وراء سجنه، فكتب في إحدى قصائده يلمح دون تصريح فيقول:

كنت حلف الندى ورب السماح ❀ وحبیب النفوس والأرواح

وأنا اليوم رهن أسر وفقر ❀ مستباح الحمى مهيض الجناح

لا أجيب الصريخ إن فزع الناس ❀ ولا المعتفين يوم السماح

عاد بشري الذي عهدت عبوسا ❀ شغلتنی الأشجان عن أفراحي

فالتماحي إلى العيون كرية ❀ ولقد كان ترفة اللماح⁽¹⁾

لم يقتصر أمر الإنتاج الأدبية السجنية على الشعر وإنما تعداه إلى فنون أدبية أخرى أنتجها شعراء مساجين ومنها المقامات ، ومن أطرف هاته المقامات تلك التي ألفها ابن أبي حاتم العاملي الذي امتحن ونقل مكرها من الأندلس إلى سجن فاس خلال العصر المريني⁽²⁾ وقد اشتهر هذا الأخير بمقامة لا زالت مخطوطة موسومة "بجمع المقال في الاعتقال ألفها في سجن فاس، ومقامة أخرى موسومة" بحضرة الارتياح المعنية عن الراح" وأخرى موسومة " بروض خاطر في الروض العاطر".

يذكر صاحب الذيل والتكملة أحد من ألفوا كتباً في سجون المرابطين وهو محمد بن خلف أبو عبد الله بن الشبوقي وكان محدثاً فقيهاً ظاهري المذهب ، وهو ممن غرب عن الأندلس واعتقل بمراكش أيام الأمير أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين ، ويؤكد أنه وقف على مجموع في التصوف ذكر أنه كتبه بسجن مراكش وفرغ منه آخر يوم من رمضان

¹ - عزام، م.س، ص 68.

² - نشاط، م.س، ص 93.

تسع وعشرين وخمس مائة⁽¹⁾، ومنهم أيضا محمد بن أحمد بن عمران الحجري وكان من أهل بلنسية وكان أبو الحسن بن هذيل يشي عليه ويصفه بالانقباض عن خدمة السلطان على كثرة ماله وسعة حاله وامتنح بالسجن وهناك كتب بخطه شرح مقدمة ابن شاذ⁽²⁾.

¹ - ابن عبد الملك، م.س، السفر 6، القسم 4، ص 198.

² - أرسلان (شكيب)، الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ت، ج 3، ص 105.

الفصل الثامن

الخدمات المقدمة للسجناء

المبحث الأول: إطعام السجناء

المبحث الثاني: إكساء السجناء

المبحث الثالث: تطيب السجناء

المبحث الرابع: تعليم السجناء

الفصل الثامن: الخدمات المقدمة للسجناء

رغم الحالات المزرية التي كان عليها السجناء، إلا أنهم استفادوا من مجموعة من الخدمات، واختلفت أهمية هذه الخدمات باختلاف مراتبهم، ومقدار التهم الموجهة إليهم.

المبحث الأول: إطعام السجناء

يزداد الأمر تعقيدا فيما يخص المادة المصدرية المتعلقة بموضوع الأطروحة كلما تعمقنا في الحثيات البسيطة المرتبطة بحياة السجناء، ففي مسألة إطعام وإكساء السجناء تكاد الإشارات تكون منعدمة وهو ما لا يؤهل الباحث إلى رسم صورة حقيقية عن الكيفية التي كان يتم بها إطعام السجناء، أو عن المواد التي كانت تقدم لهم، أو عن مصادر هذه الأطعمة أو أمكنة طبخها وتهيئها.

سنحاول من خلال المادة المتوفرة على ندرتها وعموميتها أن نقدم تصورا أوليا عن هذا الموضوع، ومن خلال ذلك يمكن التأكيد أن الخدمات المعيشية من طعام وشراب، كانت تقدم للسجناء مهما اختلفت طبقاتهم وفئاتهم، حفاظا على حياتهم وإبقاءا عليها قدر الإمكان، ففي بعض السجون كان السلطان يجري وظيفة من الطعام على أصحاب السجن، فعندما وضع القاضي يحي بن وافد اللخمي بسجن المطبق، كان السلطان يجري وظيفة على من فيه، فكان ابن وافد لا يأكل منها⁽¹⁾. وتفيد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أنه يتوجب على السلطة الحاكمة أن تتفق على السجناء والأسرى في مسألة طعامهم وشرابهم، فقد أكد الله تعالى عندما بين صفات المؤمنين وامتدح فعلهم بقوله سبحانه ﴿وَيُطْعَمُونَ

الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾⁽²⁾، كما ورد عن النبي ﷺ أنه لما حبس يهود

¹ - النباهي، م.س، ص 89.

² - سورة الإنسان، الآية 8.

بني قريظة لغدرهم بالمسلمين وإيأهم أمر بأحمال تمر فنثرت لهم فباتوا يأكلونها⁽¹⁾، وقد كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى عماله أن يجروا على السجناء ما يصلهم في طعامهم وأدمهم⁽²⁾، تبث عن الخلفاء أنهم أجروا على أهل السجون ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم وأول ما فعل ذلك علي ابن أبي طالب بالعراق، وفعله معاوية بالشام ثم فعله الخلفاء من بعده⁽³⁾. وقد اشترط البعض في الإنفاق على المسجونين، عسر حالهم وفقدهم وفي هذه الحالة لا بد أن تجري عليهم من الصدقة أو من بيت المال وحبب البعض أن تجري من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته⁽⁴⁾، وجرى العادة في الأندلس أن توزع الأطعمة والفواكه التي تجمع من اللصوص والمعتدين على أموال الناس على السجون والسجناء، واشترط في ذلك عدم معرفة أصحابها فقد قال ابن عبدون في رسالته "يجب إذا أخذ شيء من الفاكهة وغيرها من أيدي المعتدين على أموال الناس أن تفرق في السجن وتعطى للمساكين، فينزل صاحبها على أخذها، ولو عرف صاحبها ترد عليه"⁽⁵⁾.

وتصادفنا إشارة توضح إمكانية صنع الطعام للسجناء داخل السجن، فعندما أراد الخليفة الموحي قتل عبد السلام الكومي المسجون، أمر السجناء بأن يقدم له طعاما مسموما، فصنع له السجناء تردة في فروج جعل فيها سما⁽⁶⁾، وتحيل السجناء لعبد السلام بأكلها، وإذا كان السجناء قد طبخ هذه التردة داخل السجن فيمكن الجزم أن السجن كان يتوفر على مطبخ أو على الأقل على بعض الوسائل التي كانت تساعد على إعداد الطعام.

¹ - القسطلاني (أحمد بن محمد)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، ط 2، المكتب الإسلامي، 2004، ج 2، ص 136.

² - القاضي أبو يوسف يعقوب، م.س، ص 149.

³ - نفسه، صص 149-150.

⁴ - نفسه، ص 149.

⁵ - ابن عبدون، م.س، ص 51.

⁶ - ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 118.

لم تقتصر الوجبة التي قدمت لعبد السلام الكومي على "التريد والفروج" وإنما تعدتها إلى مواد أخرى لم تفصح عنها المادة المصدرية فقد قدم له طعام آخر ويؤكد ابن صاحب الصلاة على ذلك فيقول: " فقدم له الطعام والتردة فأكلها وتشعر في الحين بالسم فيها فرمى اللقمة التي كانت في يده وفي وجه السجنان"⁽¹⁾.

ومن الوجبات الأساسية التي كانت تقدم للسجناء بمغرب العصر الوسيط، نجد مادة الخبز، فقد كان السجن الذي سجن به عبد السلام الكومي يحتضن خادما مكلفا بإعداد الخبز كان يقدمه لعبد السلام الكومي يوميا، وهو ما يؤكد كذلك على إمكانية وجود فرن بفضاء السجن، وقد عمد هذا (الخباز) إلى وضع مقدار من الحمودة في الخبز، رغبة في القضاء على هذا الوزير، حيث كان الخديم الذي يعجن له الخبز الذي يأكل كل يوم ... يجعل له فيه مقدار من الحمودة فيسهل كل يوم لحمه وينسل عظمه⁽²⁾.

كان اللبن من بين المواد المعيشية التي كانت تصل إلى السجناء، فصاحب الاستقصا يؤكد أن عبد السلام الكومي قد سمم في جرعة من اللبن⁽³⁾. وعلى الرغم من اختلاف الروايات بخصوص مقتل الوزير عبد السلام الكومي وطريقة تسميمه إلى أنها قد تعطي صورة واضحة عن طبيعة الأطعمة التي يمكن أن يوفرها السجناء، الذي كان على بينة من الأطعمة المحببة لدى بعضهم خاصة من ذوي المراتب العليا، ففي إحدى الروايات عن قصة ابن العريف وسجنه من قبل علي بن يوسف أنه قتل بالسم في أحد الأطعمة التي كان يحبها، ذلك أن القاضي ابن الأسود عندما علم بأن السلطان يوشك على إطلاق سراح ابن العريف سأل عن أحب الطعام إليه فقبل له البادنجان فصنعه وعمل فيه السم واحتال

¹ - نفس المصدر والصفحة.

² - نفس المصدر والصفحة.

³ - الناصري، م.س، ج 2، ص 125.

عليه إلى أن أكله فمات⁽¹⁾.

لقد اضطر بعض السجناء إلى الامتناع عن تناول بعض الوجبات المخصصة لهم في صورة هي أقرب لما يقع في بعض سجون اليوم من اضراب السجناء عن الطعام تعبيراً عن الرفض والامتناع من سجنهم أو التعبير عن حالتهم النفسية السيئة، فعندما سجن القاضي يحيى بن وافد اللخمي وهو أحد قضاة الأندلس بسجن المطبق بمدينة قرطبة امتنع عن أكل الوجبة التي كانت تقدم له إلى أن اعتل في محبسه فأخرج ميتاً في نعش، وذلك في منتصف ذي الحجة 404 هـ، ويضيف ابن سعيد إلى ذلك قصة أخرى عن وفاة هذا القاضي حيث يؤكد أنه عندما سجن داخل القصر امتنع من أكل طعامه إلى أن تحيلت مولاة له في إيصال قوت ليترمق به واشتدت به العلة إلى أن انكشف للناس موته⁽²⁾، الأمر نفسه ينطبق على الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس بن أبي زكرياء الذي سجن على يد باديس بن حبوس صاحب غرناطة فكان يمتنع عن استيفاء الغذاء المقيم لجسمه حتى اشتد به البلاء⁽³⁾.

وأحيانا كانت السلطة تلجأ إلى الإمعان في التنكيل بالسجناء عبر تجويعهم بتقليل حصتهم من الطعام أو منعه عنهم، فعندما سجن حريز بن حكم بن عكاشة أبي الحسن بن السيد البطليوسي بتهمة مداخلة المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس كان يجري عليه رغيفاً لا شيء معه إلى أن ضعف وهلك⁽⁴⁾. وعانى الحاجب أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي من قلة الطعام كذلك عندما سجنه المنصور بن أبي عامر في سجن المطبق بقرطبة، فقد طال سجنه بالمطبق حتى مات جوعاً وهزالاً⁽⁵⁾. وكان المنصور يحمل معه هذا

¹ - ابن الزيات، م.س، ص 120.

² - ابن سعيد المغربي، م.س، ج 1، ص 157.

³ - ابن بسام، م.س، ق 1، مج 1، ص 663.

⁴ - ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 1، ص 178.

⁵ - المراكشي، م.س، ص 29.

الحاجب في غزواته إذلال له وقد روى كاتب المنصور بن أبي عامر محمد بن إسماعيل ما وقع للمصحفي قائلاً: "ونقله معه في الغزوات تذليلاً له واتفق ان نزلت جليقية في بعض المنازل إلى جانب خبائه في ليلة نهى فيها المنصور عن وقد النيران ليخفي على العدو أثره، ولا ينكشف له خبره فرأيت والله ابنه عثمان يسفه دقيقاً قد خلطه بماء يقيم به أورده، ويمسك به رمقه بضعف حال وعدم زاد ومال"⁽¹⁾.

تجاوزت السلطة الحاكمة أمر التقليل من إطعام السجناء إلى المنع الكلي للطعام والشراب عنهم فعندما سجن القاضي أبو عبد الملك مران بن عبد العزيز في مدينة ميورقة، وضع في بيت مظلم مطبق كان لا يعرف النهار فيه من الليل، وترك أوقاتاً دون غذاء ولا ماء، وأقام مسجوناً نحو من عشرة أعوام⁽²⁾.

وفي خضم الصراع بين السلطان الموحد **أبي** يعقوب مع محمد بن سعد المعروف بابن مردينش قام هذا الأخير بقتل مجموعة من القواد الذين شك في ولائهم وبنى على عدد منهم حائطاً وتركهم حتى ماتوا جوعاً وعطشاً⁽³⁾. وفي فترات الفتن والمجاعات كان للسجناء كذلك نصيب من هذه الأزمات، فكان لا يصلهم أي شيء من أنواع الأطعمة وقد وصلت الشدة والمعاناة في بعض الأحيان بأهل السجن أن أكلوا بعضهم البعض ففي حصار عبد المومن لمدينة مراکش الذي طال تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً هلك أهلها جوعاً طول هذه المدة وضاقوا حتى أكلوا الجيف، وأكل أهل السجن بعضهم بعضها⁽⁴⁾. وقد دفعت مثل هذه الحالة كذلك بالسجناء إلا أكل كل ما يوجد حولهم من أنواع النباتات أو الحشرات، ففي العهد المرابطي يحكي ابن زهر سجين مراکش عن ما ألم بالسجناء معه من جوع فيقول: "وقد

¹ - ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 271.

² - ابن الأبار الحلة السيراء، م.س، ج 2، ص 225.

³ - المراكشي، م.س، ص 183.

⁴ - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، م.س، ص 138.

شاهدت وأنا في أسر علي بن يوسف وفي سجنه قوما كانوا في أطباق سجنه المعروف بقرقين يتطارحون على أعشاب كانت تزال عن السقوف ويأكلونها، وإن مما كانوا يأكلون نوعا مدموما من أنواع اليتوع وغير ذلك لألم الجوع وكان يموت كل يوم منهم عدد من عشرة إلى ما حول ذلك⁽¹⁾.

المبحث الثاني: إكساء السجناء

من حقوق السجناء المثبتة في الفقه الإسلامي توفير ما يحتاجون إليه من لباس وفراش، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه طلب كسوة للعباس بعد أسره في معركة بدر، وهو الحديث الذي ورد في صحيح البخاري حيث قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمر وسمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي ﷺ قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي ﷺ إياه، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه⁽²⁾". وقد ثبت عن علي بن أبي طالب أنه كان يجري على أهل السجن ما يكسوهم في الصيف والشتاء وفعله معاوية بالشام ومن أتى بعده⁽³⁾.

وكان بعض القضاة يؤكدون على ضرورة كسوة السجناء كسوة تقيهم برد الشتاء وتخفف عنهم حر الصيف، فهذا القاضي أبو يوسف اقترح على الخليفة الرشيد أن يصرف للمسجونين ملابس ثقيلة تحميهم برد الشتاء وملابس خفيفة تروح عنهم حر الصيف، ويجري على النساء مثل ذلك مما يستر عامة أجسادهن⁽⁴⁾.

¹ - الشمري (جعفر يابوش غازي)، الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016، ص 286.

² - صحيح البخاري، م.س، ص 741، حديث رقم 3008.

³ - أبو يوسف القاضي، م.س، صص 149-150.

⁴ - نفسه، ص 151.

وقد حدد الخليفة عمر بن عبد العزيز طبيعة ونوعية هذه الكسوة في أحد رسائله إلى عماله، جاء فيها "... وكسوتهم في الشتاء قميص وكساء، وفي الصيف قميص وإزار، وتجري على النساء مثل ذلك وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء، وفي الصيف قميص وإزار ومقنعة"⁽¹⁾.

ولا يعلم بالتحديد في التاريخ الإسلامي وخاصة في دولة الخلافة هل كانت هذه الملابس تتميز بلون خاص أو مادة معينة، إلا أنه تمت الإشارة إلى أن يزيد بن مهلب عند فراره وإخوته من سجن الحجاج بن يوسف كان قد لبس ثياب طباخه في السجن، الشيء الذي جعل الحرس لا ينتبهون إليه، وهو ما يفيد أن طباحي السجن كانوا يلبسون ملابس بألوان مميزة⁽²⁾.

وأقر الفقهاء عدم التضييق على السجنين في لباسه إذا بذله من ماله الخاص، وأكدوا أنه يمنع من الإسراف في الثياب لأن السجن ليس مكانا للترفه⁽³⁾.

لا تفصح المصادر المغربية في العصر الوسيط عن طبيعة الكسوة التي كان يرتديها السجناء، أو إذا كانت تمنح لهم من قبل السلطة الحاكمة، ولنا من خلال افتقارنا لمادة مصدرية تخص كسوة السجناء لنا أن نفترض أن السجنين يبقى بملابسه التي اعتقل فيها داخل السجن، ويصف الشاعر أبو الحسن البغدادي المعروف بالفكيك المسجون بأحد سجون الأندلس لباسه فيقول :

أمسي وحولي رجال في الكبول وهم ❀ مقرنون بأصفاد وأغلال

كم قائل لي أثوابي مدنسة ❀ وقد غدوت مذالا مثل أذيال

أصرت ترفل في الأسمال قلت لهم ❀ أسمالي اليوم بين الناس أسمى لي⁽¹⁾.

¹ - نفسه، ص 150.

² - ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 4، ص 256.

³ - جماعة من الفقهاء، الفتاوى الهندية (الفتاوى العالمية)، ديار بكر، تركيا، 1973، ج 5، ص 63.

ويتضح من خلال توظيف الشاعر لمصطلح الأسمال أنه لم يغير ملابسه منذ دخوله السجن حتى أصبحت بالية وقديمة وهو ما يدل على الوضعية المزرية التي كان عليها داخل السجن وإذا كان مسؤولوا السجن يسمحون بالزيارة للسجناء فيمكن أن نستنتج أن السجن قد يطالب بما يحتاجه داخل السجن، ومن ذلك أشكال من اللباس.

استعملت السلطة الحاكمة أنواعا من الألبسة لتعذيب السجناء والتتكيل بهم كجباب الصوف وخاصة في الأندلس، فعندما قبض الأمير عبد الرحمان الداخل على الثوار المعارضين له (هشام بن عروة الفهري، حيوة بن الوليد التحبيبي، هشام بن حمزة بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب)، حملهم إلى قرطبة وأمر صاحب الشرطة العبدى بأن يأخذ لكل واحد منهم جبة من الصوف وأن يحضر معه حجاما وحميرا، فحلق رؤوسهم ولحاهم، وألبسهم جيب الصوف وأدخلهم في سلال⁽²⁾. وفي بعض الأحيان كانت هذه الجباب الصوفية تتقع في النفط أو في الماء زيادة في التعذيب والتضييق على المسجون⁽³⁾.

المبحث الثالث: تطيب السجناء

إن الهدف من السجن هو إصلاح السجناء وتقويم سلوكهم، وينص الإسلام انطلاقا من العديد من النصوص الشرعية العامة على وجوب المحافظة على النفس الإنسانية وإبعادها عن أسباب المرض والعجز والهلاك. ومن هذا المنطلق يعتبر الإسلام الاهتمام بصحة السجنين وضمان سلامته من العوامل الموصلة إلى تحقيق الهدف من الحبس. والنبى

¹-ابن بسام، م.س. قسم 4، مج 1، ص 378.

²-مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، وتحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، 1989 صص 95-96 . ينظر أيضا ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 53.

³-الشالجي ، م.س، ج 3، ص 173.

ﷺ رعى المرضى من المأسورين، ومنهم تامة بن أثال الحنفي، حيث أمر الرسول ﷺ بالإحسان إليه⁽¹⁾.

ويزخر التراث الإسلامي بقصص العناية الصحية بالمرضى من المسجونين فعمر بن عبد العزيز كان يكتب إلى عماله بضرورة تفقد السجون وأحوال مرضاها. وكتب الوزير علي بن عيسى الجراح وزير الخليفة العباسي المقتدر إلى الطبيب سنان بن ثابت بن قرة رسالة يقول فيها "فكرت مد الله في عمرك في أمر من في الحبوس، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تتألم الأمراض، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغي أن تفرّد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم وتحمل لهم الأدوية والأشربة، ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيرون عيّنهم فيما يصفونه لهم ... ففعل سنان ذلك طول أيامه وكانت حوالي عشرين سنة"⁽²⁾.

وإذا كان التاريخ الإسلامي يحفل بإشارات دالة على العناية الصحية بالسجناء فإن الأمر يكاد ينعدم بالنسبة للمغرب في العصر الوسيط، حيث لم تتوفر لنا إشارات في الموضوع، غير أن بعض النصوص توضح إمكانية طلب السجناء الاستفادة من خدمات الأطباء، فقد بعث المعتمد بن عباد من سجنه رسالة إلى الطبيب ابن زهر عند زيارته لمدينة مراكش راغبا في علاج زوجته سجيّة أغمات اعتماد الرميكية التي كانت قد اعتلت وأصابها المرض فكتب إليه الوزير مؤديا حقه ومجيبا له عن رسالته ومسعفا له في طلبه ودعا له⁽³⁾، وإن كان نص المراكشي يفصح عن شيء فإنما يفصح عن مباشرة ابن زهر لإسعاف زوجة

¹-ابن هشام، م.س، ص 284.

²- القفطي (جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 150.

³-المراكشي، م.س، ص 116.

المعتمد. وابن زهر نفسه تم استدعاؤه من سجنه بمراكش لفحص الأمير وانودين بن سيرين بن أبي بكر الذي كان واليا على السوس وسجل مأساة سنة 524 هـ⁽¹⁾.

وهناك من السجناء من كان يأبى تلقي العلاج والمداواة، فعندما اعتل عيسى بن الحسن بن علي ابن أبي الطلاق بالأندلس، نقل بمعية ابنه إلى سبتة، ثم منها إلى سجن فاس وأحضرا سنة 756 إلى دار السلطان، فأمر السلطان أن يقتل عيسى قصعا بالرماح، وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف، فبات على هذه الحالة ينزف دمه وامتنع عن أخذ الإسعافات الضرورية لوقف النزيف، حيث يقول ابن خلدون "وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداواة قطعه، فلم يزل يتخبط في دمه إلى أن هلك"⁽²⁾.

المبحث الرابع: تعليم السجناء

إذا كان الإسلام قد أقر بضرورة طلب العلم والسعي إليه، وإذا كانت الغاية من السجن هي الإصلاح والتقويم، فإن المسجونين هم أحق الناس بالتعلم وأحوجهم إليه وإلى التقويم والإرشاد، لأن سبب إجرامهم وحبسهم يعود في قسم كبير منه إلى الغفلة والجهل، فالنبي يوسف عليه السلام لم يغفل عن تعليم صاحبيه في السجن أسرار التوحيد، حيث جاء في

القرآن الكريم: ﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٦﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ

﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

¹ - دندش، م.س، ص 137.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 392.

³ - سورة يوسف، الآيتين 39 و 40.

وكانت غاية الرسول ﷺ من سجن تامة بن آثال بالمسجد، أن يتعلم أمور المسلمين. وتزخر المصادر والمراجع الإسلامية بالعديد من المشاهير العلماء والمفكرين والشعراء الذين سجنوا لمواقفهم من الحكام وكانوا يمكنون من إدخال الكتب والرسائل لقراءتها، وإدخال الأوراق والأقلام والأحبار لاستعمالها في أماكن سجنهم، ومنهم الفقيه والعلامة محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الذي ألف كتابه المبسوط في ثلاثين جزءاً وهو بالسجن⁽¹⁾.

وبالرجوع إلى الغرب الإسلامي فإننا نجد أنه من بين الخدمات المقدمة للسجناء الخدمات الكتابية، إذ كانت تتوفر للسجناء من الخاصة بعض أدوات الكتابة ولوازمها التي كانت تفيدهم لتدوين معلومات أو تسجيل ملاحظات أو كتابة رسائل استعطاف أو نظم القصائد الشعرية، كما كان يسمح للسجناء بالتعلم وإلقاء الدروس، فأحمد بن محمد بن فرج عندما سجن بجيان مدة سبعة أعوام، كتب رسائل وأشعار في محبسه إلى الخليفة الحكم بن عبد الرحمان الناصر، وكان أهل الطلب يدخلون إليه في السجن ويقروون عليه اللغة وغيرها⁽²⁾. وهو دليل على سماح السلطة الحاكمة للعلماء بالقيام بدورهم التعليمي والإذن للمريد بالدخول إلى السجن لتلقي العلم عن المسجونين من العلماء.

كما كان مسموحاً للسجناء بعقد حلقات العلم داخل السجن فعندما سجن الشريف الطليق (عبد الملك مروان بن عبد الرحمان بن مروان بن عبد الرحمان الناصر) بالمطبق من قرطبة أيام المنصور بن أبي عامر، كان بالسجن مجموعة من الأدباء فأخذ عنهم واستمد منهم حتى ترى ثريه وطلع عشبه وسما ذكره، وطار شعره وكانت أشعاره تأتي ابن أبي عامر فيتهمه فيها⁽³⁾.

¹-الديروي (سلمى بنت المفتي مجيب الدين)، الهادي إلى رياض الفقه والفقهاء، مراجعة فضل ودود الشاهفوري، مكتبة

الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، باكستان، 1435، ص 290.

²-ابن بشكوال، م.س، ج 1، ص 30.

³-ابن بسام، م.س، قسم 1، مج 1، صص 563-564.

وتهيات للسجناء بالأندلس أسباب الكتابة فعندما التقى المستظهر بالله عبد الرحمان بن هشام بشيوخ قرطبة في المطبق تمكنوا من مكاتبة صاحب المدينة آنذاك فأجابهم واستجاب جماعة من الناس لمذهبهم فساروا إلى المطبق وكسروا أقفاله وأخرجوا منه هؤلاء الشيوخ⁽¹⁾.

وكان مسموحا لبعض السجناء بطلب أدوات الكتابة فالشاعر أبو بكر بن عمار عندما كان مسجوناً بإشبيلية على يد المعتمد بن عباد استدعى حباء ودواة .. فبعث إليه المعتمد بزوج كاغد فكتب إليه شعراً يستعطفه به فعطف عليه وأحضره في تلك الليلة ووعد العفو عنه⁽²⁾. وقد استعمل ابن عمار إحدى الورقتان في مكاتبة المعتمد، وكتب في الثانية رسالة إلى الرشيد بن المعتمد يخبره فيها بما دار بينه وبين والده، وهو الشيء الذي زاد من غضب المعتمد عليه فأرسل إليه سائلاً عن الورقة الثانية فأكد ابن عمار أنه وظفها كمسودة بيض فيها رسالة الاستعطاف، فطالبه المعتمد بها، فلم يجد ابن عمار جواباً فحنق المعتمد عليه وياشر بقتله⁽³⁾.

لم يقف الأمر حد كتابة الرسائل بل تخطاه إلى إمكانية التأليف داخل السجن، فالتاريخ الإسلامي يحفل بالعديد من المؤلفات التي كتبت داخل أسوار السجن، ففي سجن قرطبة ألف الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الكندي المعروف الرمادي كتاباً سماه "الطير" وكله من شعره، وصف فيه كل طائر معروف وذكر خواصه، وذيل كل قطعة بمدح ولي

¹- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، م.س، ص 209، وينظر أيضاً ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 8، صص 102-

103.

²- ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 2، ص 159.

³- رينهارت دوزي، ملوك الطوائف، م.س، صص 188-189، وأيضاً ابن الأبار، الحلة السيرة، م.س، ج 2، ص

160. وأيضاً:

العهد هشام بن الحكم مستشفعا به إلى أبيه في إطلاقه⁽¹⁾. وقد سجن هذا الشاعر لتجرئه على هجاء الحكم الثاني خليفة قرطبة في شعر وتآمر ضده حتى شفع له الوزير المنصور ولم يصل من كتابه "الطير" إلى قصيدة في البازي (طائر الباز)⁽²⁾.

وفي السجن ألف الشاعر أبو مروان عبد الملك بن غصن الخشني (ت 454هـ/ 1062م) كتابا سماه "السجن والمسجون والحزن والمحزون"، وهو عبارة عن قصائد موجهة للمأمون بن ذي النون⁽³⁾.

والجدير بالذكر أن السلطة كان تتقف السجناء ثقافة موجهة تخدم مصالح نظام الحكم، فقد كانت تتدخل في توجيه المؤدبين وتأطير المواضيع التي من الممكن أن يتم تداولها داخل السجن، فهذا أمية بن عيسى بن شهيد كان يوما مارا بدار الرهائن بقرطبة المجاورة لباب القنطرة، فسمع رهائن الدار ينشدون شعر عنتره فقال لبعض إئنتي بالمؤدب، فلما نزل في قصر المدينة وأتاه المؤدب، فقال له "لولا أنني أعذرك بالجهل لأدبتك، تعمد إلى شياطين قد شجى الخلفاء بهم فترويهم الشعر الذي يزيدهم بصيرة في الشجاعة، كف عن هذا ولا تروهم إلى خمريات الحسن بن هاني وشبهها من الهزل"⁽⁴⁾.

¹-ابن فنوح الحميدي (أبو عبد الله محمد)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، صص 547-548، انظر أيضا ترجمته في الصلة، ج 3، ص 969، ترجمة رقم 1503.

²-بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحكيم النجار، ط 5، دار المعارف، 1977، ج 5، صص 119-120.

³-فتحي (فاضل محمد والي)، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، ط 1، دار الأندلس للنشر والتوزيع، 1996، ص 147. وينظر أيضا ابن بسام، م.س، قسم 3، مج 1، ص 332.

⁴-ابن القوطية، م.س، ص 106.

الفصل التاسع

ما بعد السجن في المغرب الوسيط

المبحث الأول: الفرار من السجن

المبحث الثاني: العفو والتسريح

المبحث الثالث: الاندماج النفسي والاجتماعي للسجين بعد التسريح من السجن

1- الاندماج النفسي

2- الاندماج الاجتماعي

الفصل التاسع: ما بعد السجن في المغرب الوسيط

توزعت مصائر السجناء بالمغرب الوسيط بين من تمكن من الفرار ولجأ إلى عصبته، وبين من كان مآله المكوث داخل زنزانتة، وبين فئات استفادت من العفو والتسريح وفئات أخرى غادرت السجن بعد إنهاء المدة المحكوم عليهم بها.

المبحث الأول: الفرار من السجن

من أشهر قصص الفرار من السجن تلك المرتبطة بعصر الموحدين، وتخص أبا محمد ابن واندوين أحد الشخصيات الكبرى في الدولة، من أصحاب المهدي المستدركين وهو أبو محمد عبد الحق بن واندوين الهنتاتي، ويظهر أن له صلة بسليمان بن واندوين والي تلمسان⁽¹⁾. يقدم ابن عذاري شرحاً مفصلاً لقصة فرار بن واندوين لدرجة أنه جعل لها فصلاً خاصاً في مؤلفه (قسم الموحدين)، وكان بن واندوين ممن ساعدوا الخليفة السعيد على الظفر بالحكم وأقعدته مقعد أبيه وجده⁽²⁾. وبعد سنة من اعتلائه العرش تغير على ابن واندوين وامتنحه بالسجن فأودعه بسجن أزموور فكان ذلك عنده أعظم نكال، ولم يعلم أحد من الوزراء والكبراء السبب في اعتقاله، فسجنه ابن ماكسين بدويرة بإزائه، وجعل عليه عشرة من رجاله يحرسونه في ليله ونهاره ويستمعون من أخباره ومقاله⁽³⁾.

جد ابن واندوين في تخطيط أمر فراره من السجن بكل طريقة فتمكن من استمالة أحد الحراس العشرة وأفاض عليه من الإنعام والإحسان وكان هذا الحارس يدعى ابن المعلمة⁽⁴⁾. وزاد من عزم ابن واندوين في الهرب خبر وصول أبو الحسن يعلو إلى مدينة أزموور الذي شك في كونه مرسل من قبل السلطان برسم قتله، فأجزل العطاء لابن المعلمة وبلغت عطيته

¹-ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 117.

²- ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 367.

³-نفسه، ص 368.

⁴-نفس المصدر والجزء والصفحة.

خمسين دينارا عشرية فأعطى ابن المعلمة منها لصاحب له خمسها ليساعده في أمر فرار ابن واندوين، وأشاع بين الحراس خبر قدوم أبو الحسن يعلو بأمر سراح ابن واندوين، وجعلهم يطلبون له البشارة فأعطاهم من الدنانير التي كانت عنده أكثرها ووعدهم بالإحسان إليهم والإنعام عليهم إذا من الله بسراحه⁽¹⁾. وكانت هذه الدنانير سببا في انشغال الحراس عن أمر السجين فتسلوا طول اليوم بالأكل والشرب واللهو والطرب تاركين لابن المعلمة وابن واندوين أمر التخطيط للهرب.

ومما زاد من نسب نجاح عملية الفرار هاته، هو أن الليلة المعهودة كانت مظلمة، والمتصرف في أمر السجن كان هو ابن المعلمة بحيث أن مفتاح البيت الذي يوجد فيه ابن واندوين كان بيده، و تقوم الخطة التي سطرها ابن المعلمة على أن يكثر الدخول والخروج على بيت ابن واندوين وهو مرتد جلابية كان قد اتباع منها اثنتين واحدة له وأخرى للسجين، وعندما نفذ زيت المصابيح التي تضيء المكان أخبر ابن المعلمة أنه سيسوقه لهم فدخل البيت وألبس ابن واندوين الجلابية الثانية وأعطاه القلة وقال له أخرج سريعا فخرج عليهم في الظلام كأنه صاحبهم وأكثرهم رقود، فخرج ابن المعلمة في أثره بجلابيته وقلة أخرى وقال لهم كنت نسيت آنية الزيت فرجعت برسماها وخرجت ودخلت عليكم وكنتم رقود كلكم⁽²⁾. وبعدها لحق الحارس المذكور بابن واندوين فأطلعه على باطيرة⁽³⁾ (زورق)، كان قد اتفق مع أحد أصحابه على تهيئها جنب الوادي لنقل ابن واندوين على الضفة الأخرى من نهر أزمو، وتكلفت خطة ابن واندوين للفرار بالنجاح فوصل إلى الضفة الأخرى من الوادي ومشى مع

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - نفسه، صص 368-369.

³ -وردت لفظة باطيرة في نص ابن عذاري مرتين بصيغتين مختلفتين، في الأول بصيغة البطيرة وفي الثاني اللبطيرة، ويشير محققوا النص أنهم لم يتوصلوا لمعناها وبالضبط في الصفحة 368 من قسم الموحدين، مؤكداً ذلك بعبارة "كلمة لم نهتد إلى معناها"، ولعل المقصود بالكلمة هو الزورق، وهي كلمة إسبانية "Patera" تطلق على كل ما من شأنه أن يحمل فوق الماء ويكون لها شكل مسطح، وهي اليوم عبارة عن قارب مطاطي يستعمل لنقل مجموعات من المهاجرين السريين.

صاحبيه إلى أن وصلوا على أحد الدواوير (دواوير سفيان) بالجهة المقابلة لضفة الوادي من أزمور فخرج إليه قائدها⁽¹⁾، وكانت بينهما مودة عظيمة وصحبة قديمة فأكرمه وأعطاه في الحين مائة وخمسين من الفرسان متخيرة⁽²⁾ أوصلوه إلى قومه هنتاتة⁽³⁾، فتحصن بجبالها وعملت السلطة الموحدية على معاينة الحراس المتقاعسين عن مراقبة ابن واندوين فعندما وصل أبو الحسن يعلو إلى أزمور ضرب رقاب الرجال التسعة الحارسين له وعلق رؤوسهم على السور⁽⁴⁾.

ولعل الغريب في القصة هو طريقة تعامل الخليفة الموحي السعيد مع فرار ابن واندوين حيث بعث إليه عشرة من وجوه الموحدين مع خاصته مزوار الطلبة أبي محمد العراقي فاجتمعوا به ... وبلغوا له ما أمر به السعيد من القول الحسن وبزوال ما كان في خاطره عليه، ونقلو ذلك كله إليه فاستقر ابن واندوين في جبال هنتاتة مع أولاده.

ورد فعل السعيد هذا تجاه ابن واندوين وعفوه عنه مرده بالأساس إلى انشغال السعيد بأمور أخرى أكثر جدوى، وخاصة بعدما حشد بني مرين حشودا كثيرة في الغرب لقتال الموحدين⁽⁵⁾. وإن كانت قصة فرار أبي محمد بن واندوين توضح شيئا فهي توضح باللمس طبيعة الفساد الذي كان يسري في مفاصل الدولة الموحدية أواخر عهدها، وخاصة مع الهجمات المتوالية لبني مرين.

¹ - هو كانون بن جرمون بن عيسى أحد شيوخ قبائل عرب سفيان، ذكرها ابن خلدون في العبر في معرض حديثه عن قصة فرار ابن واندوين إذ يقول: "وقفل (السعيد) إلى مراكش فتقبض على أبي محمد بن واندوين واعتقله بأزمور واعتقل معه يحيى بن مزاحم ويحيى بن عطوش لنظر ابن ماكسين فأعمل الحيلة في الفرار من معتقله وخلص ليلا إلى كانون بن جرمون فأركبه وبعث معه من عرب سفيان من أوصله على قومه هنتاتة". انظر ابن خلدون، العبر، م.س، ج6، ص 346.

² - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 369.

³ - ابن خلدون العبر، م.س، ج 6، ص 346.

⁴ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 369.

⁵ - نفسه، ص 370.

لم تقف حالة الفرار هاته في عهد الدولة الموحدية عند قصة فرار ابن واندوين وإنما سجلت المصادر حالة أخرى للفرار كان بطلها علي بن حيون الكومي المعتقل في مدينة مراكش على عهد المنصور الموحدي، حيث تمكن من إعمال الحيلة على الرقباء الذين يحرسونه فاستمالهم وسقاهاهم الخمر وأسكرهم وكسر حديدته وفر على فرس أعطاه له أحد بني عمه⁽¹⁾، وعندما وصل أمر فراره إلى المنصور أمر بضرب رقاب الرقباء الذين كانوا يحرسونه وسجن من اتهم⁽²⁾. وتحاط بالقصتين الأولى والثانية العديد من نقاط الاستفهام فكيف للسجين الأول أن يوفر مبلغا مالية بالقدر الذي قدمه لابن المعلمة ورشاه به وهو مسجون بدويرة صغيرة في مدينة أزموور؟ وكيف تحصل السجين الثاني علي بن حيون الكومي في سجنه على مادة كانت أصلا من أكثر الممنوعات في الدولة الموحدية وخاصة على عهد المنصور؟ مع العلم أن الدعوة الموحدية لإسقاط نظام المرابطين قامت على أساس اتهامهم بمعاقرة الخمر⁽³⁾.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة هو كيف كانت السلطة الموحدية تتعامل مع قضية الرشوة⁽⁴⁾؟ والحال هنا يؤكد أنها كانت متفشية بين موظفي الدولة و خاصة في السجون بحيث لم يتعفف القضاة أنفسهم عن أخذها فقاضي مالقة المعروف بواني أطلق الثائر الجزيري برشوة، فأمر المنصور بقتل أتباعه وكانوا تسعة وتسعين رجلا⁽⁵⁾. ويقول الصفدي أن مقدار الرشوة كان ألف دينار⁽⁶⁾. وعوقب القاضي إثر ذلك بأن سلم إلى صاحب الشرطة

¹ - نفسه، ص 157.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

³ - نشاط، م.س، ص 116.

⁴ - يؤكد أحد الباحثين أن هذه الظاهرة استغللت بشكل كبير خلال العصر المريني، بحيث أصبحت الرشوة مسألة عادية في هذا الوسط، ويعتبرها المرتش هدية، وهو الشيء الذي لم يتقبله بعض الفقهاء فاعتبروا المخزن المريني مستغرق ذمة. - KABLY (M), Société, pouvoir et religion au maroc a la fin du moyen age, maisonneuve, paris, 1986, p269.

⁵ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 208.

⁶ - الصفدي، م.س، ج 15، ص 215.

فضربه ألف سوط فهلك قبل استئنائها وأمر به فصلب بإزاء جدع الجزيري وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة⁽¹⁾.

وخلال العصر المريني ثار الأميران أبو عبد الرحمان وأبو مالك أبناء السلطان أبو الحسن على أبيهما بعد اشتداد مرضه بعدما تمشت سماسرة الفتن بين هذين الأميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزابا⁽²⁾. فنهض السلطان من مرضه لمواجهة الثورة وتقبض على أهل الظنة من العساكر، فأودعهم السجن وسخط على الأميرين واعتقل الأمير عبد الرحمان بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه فوثب الأمير بالسجان وقتله، إلى أن أنفذ السلطان حاجبه علان بن محمد فقضى عليه⁽³⁾.

لم تكلل عملية فرار الأمير عبد الرحمان بالنجاح لنقص في التخطيط واستعمال القوة المفرطة التي واجهتها السلطة الحاكمة بالمثل فلقى الأمير حتفه إثر ذلك.

وتسجل المصادر التاريخية حالات فرار أخرى من السجون وخاصة فرار الأمراء ففي دولة بني زيري هرب الأميران كباب ومغنين بن زيري من سجن أخيها السلطان أبي الفتوح⁽⁴⁾، واتجهوا صوب مصر وقصدوا القاهرة عند العزيز بن باديس بن زيري فأكرمهما وخلع عليهما ووصلهما⁽⁵⁾. وقد استعمل الأميران حيلة ذكية للفرار من سجنهما حيث عمدا إلى لبس ثياب النساء، وخرجا في نسوة دخلن إليهما لزيارتها، فوجدا عبيدهما قد أعدوا لهم خيلا وسلاحا⁽⁶⁾. ودامت إقامة الأميرين بمصر في ضيافة العزيز بالله مدة السنة، وبعد

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - ابن خلدون العبر، م.س، ج 7، ص 342.

³ - نفسه، ص 343.

⁴ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 237.

⁵ - المقرئ (تقي الدين أحمد بن علي)، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيبان ومحمد

حلمي محمد أحمد، ط2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996، ج 1، ص 253.

⁶ - ابن عذاري، م.س، ج 1، ص 273.

انقضاء هذه السنة صرفهما على أخيها أبي الفتوح يوسف بن زيري وأمر أن يعفو عنهما ويتعرض لهما ففعل ذلك⁽¹⁾.

وقبل هذا الحادث سبق ابن عذاري⁽²⁾ إلى ذكر قصة أخرى لفرار سجين من سجون إفريقيا، وهو حميد بن يصال، وكان واليا للمهدي الفاطمي على المغرب الأوسط وتاهرت، فسجنه موسى ابن أبي العافية أثناء صراعه مع الفاطميين، هرب حميد بن يصال إلى الأندلس، ولم يشر ابن عذاري إلى الطريقة التي اعتمدها حميد بن يصال في فراره، وغير بعيد عن المغرب وإفريقية، سجل ابن عذاري⁽³⁾ كذلك حالات أخرى لفرار السجناء في الأندلس، استعملت فيها القوة لإخراج السجناء، ففي معرض حديثه عن ولاية يوسف بن عبد الرحمان الفهري في الأندلس، ذكر أنه عندما سجن العامل بن حاتم أبو الخضار، جمع هذا الوالي مائتي رجل وأربعين فارسا فبيت القصر بقرطبة وقتل الأحرار وهجم على السجن فأخرج أبا الخضار وهرب به إلى لبلبة.

ولم يدخر السجناء صبيرا لإعمال الحيلة للهروب من السجن ولو طالبت بهم المدة، فعندما ثار أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمان الفهري بالأندلس، أمر الأمير عبد الرحمان الداخل بسجنه، فتعامى أبو الأسود وسار يحاكي العميان ولا يطرف عينه لشيء، وبقي دهرًا طويلًا حتى صح عند الأمير عبد الرحمان ذلك⁽⁴⁾. وكان بالسجن غالبًا ما يردد عبارة " من يقود الأعمى يرحمه الله"⁽⁵⁾ عندما كان يريد أن ينزل إلى النهر للوضوء، حيث كان في أقصى السجن سرداب يفضي إلى النهر الأعظم، يخرج منه المسجونون فيقضون

¹-نفسه، ص 238.

²-نفسه، ص 211.

³-نفسه، ج 2، ص 35.

⁴-ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 5، ص 257.

⁵- ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 50.

حوائجهم من غسل وغيره⁽¹⁾. ولتأكيد عماه زعم أبو الأسود أن الماء نزل بعينه فصار أعمى⁽²⁾، وأدت الحيلة التي ابتكرها أبو الأسود إلى الاشفاق عليه من قبل الحراس حتى كان الحراس يهملون أبا الأسود لعماه، فاتفق مع مولى له اسمه مفرج⁽³⁾. كان عادة ما يساعده على قضاء حوائجه ويلقاه على النهر تحت القنطرة، أن يأتيه بخيل يحمله عليها، فخرج يوما ومولاه ينتظره فعبر النهر سباحة وركب الخيل، حيث استغل أبو الأسود اليوم الذي يخرج فيه المسجونون إلى النهر، فاغتم فرصة انزواء العيون عنه ونفذ حيلته ولحق بطليطلة⁽⁴⁾. واستمال الناس بموضعه فاجتمع له خلق كبير وسار في جيش حتى حل بأحواز جيان، وكانت ثورته سنة (186هـ/784م).

اختلف الطرائق التي اعتمدها السجناء في فرارهم من حبسهم فمنهم من استعمل الحيلة، ومنهم من استعمل الرشوة، في حين استعمل البعض الآخر القوة للهروب كقتل السجن أو تكسير السجن ومهما يكن الأمر فإن النتيجة كانت واحدة وهي نجاحهم في الفرار ومن اللافت للانتباه أن المصادر الوسيطية لم تشر إلى قصص هروب العامة من السجن وإنما أفردت نصوصها لنماذج من كبار القوم، وخاصة الوزراء والأمراء الذين تمكنوا بفضل ثرائهم أو قاعدتهم الشعبية من كسب واستمالة السجنانيين والحراس حتى يساعدهم في عمليات فرارهم، ويبدو أن كثرة الإشارات الدالة على فرار السجناء تؤكد بالملمس أن الهيكل الداخلي للسجون وأداء الموظفين بها سمحت وشجعت على الهروب منها⁽⁵⁾.

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة، وأيضا ابن الأثير، الكامل، م.س، ج 5، ص 257.

² - مدحت محمد عبد الحادث إبراهيم، الرهائن السياسيون في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف (92- 479 هـ / 711-1086م)، ط 1، بيلومانيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018، ص 183.

³ - ابن عذاري، م.س، ج 2، ص 50.

⁴ - مدحت محمد عبد الحادث، م.س، ص 184.

⁵ - MATHIEU (Tillier), Les prisonniers dans la société musulmane (Ile/ VIIIe- IVe/ Xe siècle)... Dynamiques sociales au Moyen Age en occident et en Orient, publications de l'université de Provence, 2010, p 15.

المبحث الثاني: العفو والتسريح

من التقاليد ذات العلاقة بالسجن التي لازالت قائمة لحد الساعة، تقليد العفو عن السجناء وتسريحهم، والعفو حق يمارسه السلطان أو الأمير في حق السجناء، فيسقط عنهم العقوبة كلياً أو جزئياً، ويمكن أن يكون فردياً أو جماعياً، ولطالما ارتبطت عملية العفو بإحدى المناسبات سواء الدينية أو السياسية، وقد يأخذ العفو شكل إسقاط السجن مع الإبقاء على الغرامة، وهو الشيء الذي قام به الخليفة الموحد أبو يعقوب يوسف بعد تجديد البيعة له في سنة 563هـ حيث عفى عن المسجونين وحظ البقايا من العمال الخائنين وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليه في الدواوين⁽¹⁾.

لقد شمل عفو الخليفة العقوبة الحبسية فقط، ولم يشمل ما يترتب عليها من دين أو حق أو قصاص، فأكد الخليفة أبو يعقوب يوسف ذلك فقال " وأما من عليه دين من المسجونين للغير، أو حق مسلم في قصاص أو ضرر، فتركه لصاحبه على جميع الشرع وواجبه⁽²⁾. الأمر نفسه قام به والده يوسف عبد المومن، حيث أنه مباشرة بعد بيعته إثر وفاة عبد المومن أصدر أوامره بتسريح الناس المجتمعين للجهاد إلى بلادهم وقبائلهم، وكتب إلى جميع البلاد بتسريح الناس المجتمعين للجهاد إلى بلادهم وقبائلهم، وكتب إلى جميع البلاد بتسريح السجن⁽³⁾.

ولا غرو فقد كانت عملية العفو من القرارات المبهجة للسجناء، وتطرق لها النصوص التاريخية لذكر مناقب الحاكم الجديد، وفعلها كوسيلة للتقرب من الناس والتحبب إليهم، وفي العصر الموحد لم ترتبط عملية العفو فقط بالبيعة أو بمناسبة من المناسبات، وإنما ارتبطت كذلك برد الجميل، فعبد المومن بن علي في غزوته على موضع يقال له تبنلين ظفر

¹- ابن صاحب الصلاة، م.س، ص 266.

²- نفسه، ص 267.

³- ابن أبي زرع الفاسي، الأنييس المطرب، م.س، ص 209.

بمجموعة من الغنائم من بينها نساء كانت بنت بينتان بن عمر بينهن فقالت للخليفة: "يا أمير المؤمنين أشفع والدي بينتان بن عمر في المهدي؟ قال لها صدقت أنت مطلوقة⁽¹⁾، ولم يكتفي عبد المومن بن علي بإطلاق سراح (تاماكونت)، بل أطلق سراح زهاء أربعمائة من الأسرى وأزعجهن في كرامة حتى وصلن مراکش⁽²⁾. وكان السبب في هذا العفو أن المهدي بن تومرت أوصى الموحديين خيرا بينتان وأولاده⁽³⁾. لأن عمر بن بينتان أفتى على علي بن يوسف بعدم سجن المهدي قائلا له يا أمير المسلمين كيف تكون أمير المسلمين وتظلم رجلا من علماء المسلمين⁽⁴⁾، فأطلقه علي بن يوسف وكان ذلك جميلا في عنق المهدي ومن بعده لذرية بينتان بن عمر.

وكانت المكافأة على عمل ما، من أسباب إطلاق سراح بعض السجناء زمن الموحديين، فبعد الوشاية التي نالت الكاتب يوسف بن عمر سجن بموضع يسمى تيقطين بدار الأشرف وبقي محبوسا فيها إلى أن عرض أمره على الخليفة الناصر الموحد، فنظر بنور الله وما جبل عليه من العدل والامتتان وطبيعة الفضل والإحسان وعفا عنه⁽⁵⁾. وكان السبب في عفو الناصر عن الكاتب يوسف بن عمر تأليفه الذي ألفه في محاسن والده المنصور⁽⁶⁾. وفي أواخر الدلة الموحدية اتهم شيخ عرب سفيان مسعود بن كانون بنقض العهد فأمر باعتقاله، وبقي في السجن معتقلا إلى أن دخل إدريس بن دبوس مراکش فأطلقه وكرمه⁽⁷⁾.

وفي فترة مرض الخليفة الموحد عبد المومن بن علي الكومي، خلع ابنه محمد عن

¹- البيذق الصنهاجي، م.س، ص 49.

²- نفس المصدر والصفحة.

³- ابن عذاري، م.س، قسم الموحديين، ص 18.

⁴- البيذق الصنهاجي، م.س، ص 28.

⁵- ابن عذاري، م.س، قسم الموحديين، ص 252.

⁶- نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁷- نفسه، صص 435-436.

ولاية العهد وأسقط اسمه من الخطبة لأمر قبيحة نسبت إليه⁽¹⁾، وعين ابنه يوسف وليا للعهد، وبعد وفاته وصل يوسف إلى مدينة مراكش، ونزل في قصر أبيه، ووجه محمد إلى أغمات وسجنه بها، وعندما وصل الشيخ أبو حفص من قبائل أسامر بني سنان، أطلق الأمير محمد وسرحه⁽²⁾.

وفي حملة الموحدين على مدينة لبلة بالأندلس عين يحيى بن يومر قائدا لها، فحاصرها وأمر بالقتل فيها، وقتل جماعة من فقائها، حتى عد من قتلى لبلة ثمانية آلاف رجل وفي أحوازها أربعة ألف وباع نساؤهم وأباؤهم جميعا وسلبهم أموالهم وأمتعتهم، وكان فعله هذا دون إذن الخليفة عبد المومن، وعندما رفع الأمر إلى الخليفة أنكره عليه وبعث إليه من مراكش من يقبض عليه مكبولا إلى الحضرة⁽³⁾. وأمر بإشخاصه إلى مراكش فوصل إليها إليها يوم عيد الفطر فسجن بمراكش مدة⁽⁴⁾. وبعد ذلك عفا عنه وسرحه، ولم يعرف أهل لبلة شيئا من جميع ما أخذ لهم⁽⁵⁾.

وخلال فترة حكم الرشيد قام بافتحاص أموال ومتاع شيوخ الموحدين، حيث أمر الشيخ أبي موسى مستخلف الوزير السيد أبي محمد سعد باستدعاء أشياخ الموحدين ليأخذ معهم في رد ما تصير إلى رجالهم ونويعهم من خيل المعتقل الذين كانوا وفدوا على فاس، فأبوا أن يستجيبوا لأمر الخليفة فنفذ أمره بسجنهم بموضع جلوسهم⁽⁶⁾، وبعد حين شملهم عطفه فسرحهم وأحسن إليهم فعرفهم في حال واحدة ببطشه وسطوته⁽⁷⁾.

¹ - البيذق الصنهاجي، م.س، ص 18.

² - نفسه، ص 82.

³ - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، م.س، ص 195.

⁴ - نفس المصدر والصفحة.

⁵ - نفس المصدر والصفحة.

⁶ - ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، صص 337-338.

⁷ - نفسه، ص 338.

تسجل المصادر التاريخية أن هناك من السجناء من نال حريته وتم تسريحه من السجن بمقابل مادي، ففي أواخر الدولة الموحدية وإبان حركة المرينيين، اعتقل ابن زجوا خادم المرتضى الموحي على يد القطراني، بعد وصول الأمير المريني يحيى بن عبد الحق إلى مدينة سجلماسة ووضع في السجن وطالبه القطراني بفدية، فأرسل إلى أهله وأولاده وعياله لينظروا منه وليعرفوا للمرتضى بذلك وبأمره وحاله، فبلغ الأمر إلى المرتضى فنقم على ابن زجوا، ونسب له التفريط في البلد من بين يديه⁽¹⁾. وأقسم أنه لا يعذبه من ذلك الأسر إلى أن يفدي نفسه من ماله، فكتب ابن زجوا إلى أهله وعياله ليدبروا في أمره وحاله فبعثوا إليه بعض ما كان عليه وأعطى حفيده رهينة في الباقي وخرج من السجن⁽²⁾، وبعد مدة من الزمن تدبر ابن زجوا ما بقي على عاتقه من مقدار الفدية، وبعثها إلى ابن القطراني فأطلق الحفيد.

لم يقتصر أمر العفو عن السجناء على الدولة الموحدية، فقد سجلت المصادر حالات أخرى زمن المرابطين، فبعد مهاجمة يوسف بن تاشفين لمدينة غرناطة على عهد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس، ألقى القبض على هذا الأمير بمعية أخيه تميم بن بلقين، وسجنا بأغصان، بعد ذلك وجههما إلى مراكش وأقطع لهما مرتبات⁽³⁾.

وفي قصة أخرى زمن حكم علي بن يوسف سعى القاضي ابن أسود بابن العريف فأمر الأمير بالقبض عليه فحمل في البحر أسيرا، ولما وصل ابن العريف إلى سبتة وافاه رسول السلطان بالأمان وبتسريحه وحل قيوده⁽⁴⁾. وطالب ابن العريف بملاقة السلطان، فوصل إلى مراكش وأقبل عليه السلطان وأكرمه وأمره أن يعرض عليه حوائجه، فقال ابن

¹ - نفسه، ص 412.

² - نفس المصدر والجزء والصفحة.

³ - الزركلي (خير الدين)، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج 4، ص 75.

⁴ - ابن الزيات، م.س، ج 1، ص 120.

العريف ليس لي حاجة إلا أن أخلى أذهب حيث شئت فأذن له في ذلك⁽¹⁾.

وعمدت السلطة المرينية كذلك إلى أتباع نفس النهج في الإفراج والعفو عن السجناء، فلما استوسق الأمر للسلطان أبو ثابت أمر بالإفراج عن بني عثمان بن يغمراسن، وكان وعدهم بذلك⁽²⁾. وكذلك فعل مع وزيره إبراهيم بن عبد الجليل، وكان قد سخط عليه فاعتقله واعتقل عشيره من بني دولين ومن بني ونكاسن وقتل الحسن بن دولين منهم ثم عفا عنهم⁽³⁾. وعندما ثار أبو عنان المريني على والده أبو الحسن علي بن عثمان في الانقلاب الشهير لأبنائه على حكمه بكل من المغرب الأوسط والأقصى، حيث استأثر أبو عنان بحكم المغرب الأقصى، فأصدر أوامره إلى والي مكناسة أن يطلق أولاد أبي العلاء المعتقلين بالقصبة، فأطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد⁽⁴⁾.

واستفاد ابن خلدون نفسه من العفو السلطاني فبعد أن قلده السلطان أبو عنان الكتابة حسده بعض بطانة السلطان وأغروا به إليه، فقبض عليه وامتحنه واعتقله بسجن دار الإمارة بالمدينة البيضاء، ثم سرحه من السجن السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر بعد وفاة أبيه أبو عنان⁽⁵⁾.

وممن أطلق من السجن كذلك زمن المرينيين، مسعود بن رحو بن ماسي أطلقه الوزير عمر بن عبد الله، وبعثه إلى مراكش⁽⁶⁾. وعندما استولى مسعود بن ماسي على المغرب إثر وفاة أبو عنان المريني، أطلق عبد الله بن علي وزير السلطان أبي عنان من معتقله بسببته،

¹ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

² - ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 310.

³ - نفسه، صص 311-312.

⁴ - نفسه، ص 370.

⁵ - ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل)، نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، صص 297-298.

⁶ - المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، مج 1، صص 289-290.

وأمر منصور بن سليمان بتسريح السجون⁽¹⁾.

وعندما بويع السلطان عبد العزيز واكتملت بيعته سنة 768هـ، اعتقل مجموعة من الشخصيات من بينهم علال بن محمد والشريف أبو القاسم لكونه ارتاب في مصاحبتهم لسليمان بن داوود ومحمد السبيح، بعد ذلك امتن عليهما بشفاعة من لسان الدين بن الخطيب في حين هلك في السجن كل من سليمان بن داوود ومحمد السبيح⁽²⁾.

كان للمتصوفة دور كبير في إطلاق سراح مجموعة من السجناء إما بإعمال كراماتهم، أو بالتشفع لأولي الأمر، ذلك أن سلطتهم لم تقتصر على الطبيعة والعلاقات الاجتماعية والدينية فقط، وإنما ارتبطت كذلك بالحياة السياسية⁽³⁾.

فخلال العصر الموحي كانت مواقف الاولياء والمتصوفة من الجهاز الموحي تميل إلى التفاهم والتسوية عوض المواجهة والمقاطعة، فمنهم من لم يكن يجد غضاضة في الاتصال بأولي الأمر، ونجد أن بعضهم قد وقف للحاكم وكلمه لإطلاق سراح أحد المسجونين⁽⁴⁾.

ومن المتصوفة الذين ساهمت كراماتهم في إطلاق سراح السجناء نجد كرامة لأبي يعزى يلنور، حيث أن عامل فاس الجياني سجن خضارا يدعى دوناس (سبقت الإشارة إلى قصته)، فكان ذلك سببا لمرضه ووجعه، وعندما بلغ الأمر إلى الشيخ أبي يعزى أكد أن الجياني لن يبرأ من وجعه إذا لم يطلق دوناسا من محبسه، فاستجاب القائد لأمر المتصوفة فخلى سبيل دوناس فبرئ من حينه⁽⁵⁾. وفي قصة أخرى مرتبطة بسجن المتصوفة أبو الحسن الحسن ابن حرزهم من قبل القائد نفسه (عبد الله بن خيار الجياني)، أنه أمر بعد برهة بيسيرة

¹-ابن خلدون، العبر، م.س، ج 7، ص 402.

²-نفسه، ص 403.

³-التميمي الفاسي، م.س، قسم الدراسة، ص 234.

⁴- نفسه، ص 236.

⁵-العزفي، م.س، ص 55.

من سجنه خادم السجن بإطلاق سراحه وقال "أذهب الآن إلى السجن فأطلق الفقيه أبا الحسن وإياك أن يببب فيه فتصيينا من أجله مصيبة"⁽¹⁾. وكان ابن حرزهم على يقين من إطلاق سراحه فعندما سئل عن يقينه هذا قال "رآني الشيخ أبو يعزى مع الحرس الذين حملوني إلى السجن فعلمت أنه لا يتركني وأنه سيسألني من الله تعالى ولو سأل الله تعالى في الدنيا كلها لأجابه فيها فكيف في خروجي من السجن"⁽²⁾. وهي قصة أخرى تؤكد جانب الكرامات التي أحيطت بأبي يعزى يلنور باعتراف متصوفة آخر وهو أبو الحسن ابن حرزهم،

ساعدت كرامات أبو عبد الله بن عمر الأصم في إطلاق سراحه من السجن حيث أنه كان عندما يحين وقت الصلاة يسقط كبله من رجليه، ويخرج من السجن ولا يراه أحد إلى أن يصلي جماعة ثم يعود إلى السجن، فكان صهره يعيد الكبل إلى رجليه ثم ظهر للسلطان أنه بريء فسرجه⁽³⁾. والمتصوفة أبو العباس أحمد كان قد سجن أيام السلطان الموحيدي أبو يعقوب لما حاصر تلمسان وسجنه في القيود، فلما سمرت عليه القيود انحلت فأعيدت فتكسرت فأمر بسراحه⁽⁴⁾، وعندما دخل هذا المتصوفة إلى السجن وجد فيه خلائق لا تحصى فأرشدهم إلى الصلاة وأمرهم بالقراءة⁽⁵⁾.

ولم تكن السلطة السياسية الحاكمة تتجرأ في بعض الأحيان على رد تدخلات المتصوفة، الداعية إلى إطلاق سراح بعض السجناء، فقد جاءت امرأة إلى أبي الحسن ابن حرزهم، وأخبرته أن ابنا لها أخذ مع أقوام وسجنوا جميعا وخافت عليه أن يضرب⁽⁶⁾. وفي صباح اليوم الثاني أخرج ولدها ومن كان معه في السجن، وضرب كل واحد منهم، فلما

¹- ابن الزيات، م.س، ج 1، ص 172.

²- نفس المصدر والجزء والصفحة.

³- نفسه، ص 155.

⁴- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، م.س، ص 179.

⁵- نفس المصدر والصفحة.

⁶- ابن عيشون الشراط (أبو عبد الله محمد)، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء

النظام، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص 63.

جاءت النبوة على ولدها أطلق بلا ضرب⁽¹⁾. والحقيقة أن المتصوفة أبو الحسن بن حرزهم لم يعلم القاضي في شأن هذا الولد، وإنما سأل الله أن يقضي طلب المرأة المشتكية، فكان له ذلك، وتحققت كرامة الشيخ.

كانت الشفاعة من بين الأمور التي وظفها المتصوفة لإطلاق سراح بعض السجناء، فالمتصوف أبو عثمان موسى بن إبراهيم شفع لدى الحاكم في أحد أبناء جيرانه المسجونين، وقد أبانت هذه القصة عن رفعة خلق وسماحة الشيخ أبو عمران، ذلك أن والد المسجون كان من جيران الشيخ، وقد دعا عليه يوما وشتمه وقال له في بعض كلامه له "ما هو إلا يهودي" فأعرض عنه الشيخ ولم يزد عليه جواباً⁽²⁾، حتى أخذ ولد الجار في تهمة اتهم بها، وجعله الحاكم في السجن، فجاء الجار الشاتم للشيخ أبي عمران مستغيثاً به ومنتشعاً له في ولده، فمشى الشيخ ووقف للحاكم وكلمه في ولد ذلك الرجل وأطلقه⁽³⁾. ولعل استجابة الحاكم لشفاعة الشيخ أبو عمران موسى بن إبراهيم تظهر باللموس المكانة المتميزة التي احتلها المتصوفة عند السلطة الحاكمة.

لم تقتصر عادة إطلاق وتسريح السجناء على الضفة الجنوبية من الغرب الإسلامي بل كانت كذلك عادة للخلفاء في الأندلس، فأول ما فعله هشام بن عبد الرحمان الداخل أنه سرح السجون ورد المظالم⁽⁴⁾. وعند بيعة أبو الحكم المستنصر، أخرج الأموال وفرق العطايا في الناس، وسرح السجون وتحبب إلى الناس بأن أسقط عنهم عشر ذلك العام⁽⁵⁾. كما قام يحيى بن علي بن حمود الملقب بالمتعلي بالله فور بيعته بالتحبب للناس، وذلك بأن قرب منازلهم، وأسقط عنهم نصف الخراج، وسرح السجون، وقرب الفقهاء والعلماء، وأجزل العطايا

¹ - نفس المصدر والصفحة.

² - التميمي الفاسي، م.س، ج2، ص 179.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة.

⁴ - مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، م.س، ص 139.

⁵ - نفسه، ص 150.

للقواد⁽¹⁾. ويمكن الإشارة إلى بعض الحالات التي أطلق سراحها بمقابل ففي العصر الموحدى وخلال المواجهة بين المامون ويحيى بن الناصر ألقى الخليفة القبض على قاضي يحيى ابن الناصر المدعو أبى محمد ابن عبد الحق، ودفعه إلى هلال بن مقدم الخلطى، وحبسه ولم يطلق سراحه إلا بمقابل قدم له وصلت قيمته إلى خمسة آلاف دينار⁽²⁾.

المبحث الثالث: الاندماج النفسى والاجتماعى للسجين بعد التسريح من السجن

1- الاندماج النفسى:

اهتمت العديد من الدراسات المعاصرة بالحالة النفسية للسجناء بعد انقضاء مدة حبسهم⁽³⁾ في حين لا تقدم المصادر الوسيطية أي إشارة كيف ما كان نوعها عن الحالة النفسية للسجين، بعد إطلاق سراحه والعفو عنه، إلى أن الوضعية التي كان يعيشها السجناء في فضاء السجن كانت تمثل عبئاً نفسياً على السجين، وما يترتب عليها من ضغوطات نفسية ذلك أن الصورة التي وصلنا إليها في المباحث السابقة، تجعل من حياة السجن حياة قاسية، إذ كان المسجون يفقد فيها إنسانيته في زحمة المعاناة اليومية والمتجددة حسرة وألماً وخوفاً، مع استعمال أدوات كثيرة للتعذيب وأساليب عديدة للترهيب واعتماد التشهير، التي من شأنها أن تتعكس انعكاساً خطيراً على نفسية السجين المنكل به، فكيف لمن نتفت لحيته وطيف على ظهر البغال والحمير والجمال، وصفع قفاه أمام المأى ولمن حمل على بغل

¹ - نفسه، ص 208.

² - ابن عذارى، م.س، قسم الموحدين، ص 289. ويخالف صاحب روض القرطاس ما ورد عند ابن عذارى في ثمن الفدية، حيث يؤكد أن قاضي الجماعة بمراكش تم افتدائه بفدية مقدارها ستة آلاف دينار، انظر ابن أبي زرع، الأبيس المطرب، م.س، ص 252.

³ - ينظر في هذا الجانب الدراستين التاليتين:

- SNACKEN (Sonja), Les courtes peines de prison. in:déviance et socité. 1986- vol.10-N4.pp 363-387.

- LUCIEN (Morin), La prison éducative.revue des sciences de l'éducation 11, pp15-30.

وطيف به بين النساء ليهزأن به ويتضحكن عليه⁽¹⁾. أن يكون سوي النفسية بعد ذلك.

ومن السجناء من لم يتمكن من نسيان مأساة السجن بعد سراحه حتى عجل ذلك بوفاته، فالشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني، لحفته محنة لكلمة عامية نطق بها نقلت عنه، فنيل بمكروه في بدنه وأقام في السجن أعواما سبعة أو أزيد منها⁽²⁾، وبعد وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمان الناصر أطلق سراحه فلم يلبث كثيرا وتوفي بعد ذلك يسيرا⁽³⁾.

هناك من السجناء من لم يستسغ أمر الإيقاع به في السجن وبقيت نفسه بعد الإفراج عنه ميالة إلى الانتقام والرد بالمثل في وجه من كان سببا في سجنه كذلك فعل عقبة بن نافع مباشرة بعد تعيينه واليا على إفريقية من قبل يزيد بن معاوية، حيث لم ينسى ما فعله به أبو المهاجر دينار الذي كان قد عزله وسجنه ووضع عليه قيادا من حديد، فصار حنقا على أبو المهاجرين دينار، وأوثقه بالحديد وأمر بتخريب مدينته⁽⁴⁾. وبذلك تكون الطرق التي اعتمدها السلطة السياسية في تعاملها مع من تعتبره خارجا عن طاعتها قد جانب الغاية من السجن أساسا، والتي تؤكد أن السجن لا يجب أن يكون انتقاما فرديا، يتميز بالقسوة أو بتجاوز الحد المعقول الذي يفرضه القصاص العادل، فالأصل في العقاب أن يشعر المجرم بأن عقوبته مفروضة بنظام سنه المجتمع أو شرعه الله تعالى له ولغيره من الناس، وبالتالي يشعر

¹ - قصة الشاعر ابن عمار مع المعتمد ابن عباد: "إن القادمين به مع الراضي لما سلموه إلى القصر دعوا اليوم بعد العصر في سلاح شاك وتعبئة ظاهرة، ليصحبوه إلى إشبيلية، فأقاموا على ذلك إلى الليل ينظرون تسليمه إليهم، ثم لم يرعهم إلا خروج المعتمد والشمع بين يديه، والحرم حواليه، وابن عمار بينهن على بغل، وهن يهزأن به ويتضحكن منه، فأعربت حاله يومئذ بمبادئها عن سوء العاقبة فيها. انظر، فتحي فاضل، م.س، صص 251-252، وابن الأبار، الحلة السرياء، م.س، ج 2، ص 158.

² - ابن بشكوال، الصلة، م.س، ج 1، ص 30.

³ - نفس المصدر والجزء والصفحة. ويذكر ابن سعيد أنه صاحب كتاب الحقائق، ويخالف ابن بشكوال في حقيقة وفاة هذا الشاعر فيقول: "الأديب أبو عمر أحمد بن فرج صاحب كتاب الحقائق ألفها للمستنصر المرواني ورفع له أن هجاه فسجنه ومات في سجنه".

⁴ - سبقت الإشارة إلى هذه القصة في مباحث أخرى.

بالاستنكار الاجتماعي الذي يسلطه المجتمع على المجرم، ومن هنا يقبل المجرم عقوبته بوصفها حكما عاما ينزل بكل خارج على نظام المجتمع أو على شريعة الدين الذي ارتضاه هذا المجتمع⁽¹⁾.

لعل أبلغ صورة عن الوضعية النفسية المتدمرة للسجناء، ما آلت إليه نفسية ابن مرزوق بعد سجنه، حيث عبر عن تدمره مما آل إليه وضعه بعد السجن قائلا: " أفلا يراعى لي ثمانية وأربعين منبرا في الإسلام شرقا وغربا وأندلسا ، وليس يوجد اليوم من يسند أحاديث الصحاح سماعا من باب إسكندرية على البرين والأندلس غيري، أفلا يراعى لي الصلاة بمكة ستا وعشرين سنة، وغربتي بينكم، ومحنتي في بلدي على محبتكم وخدمتكم"⁽²⁾. وتوضح هذه العبارات الوضع المأساوي للسجن وتأثيره في نفسية ابن مرزوق.

2- الاندماج الاجتماعي:

من المؤكد أن قرار التسريح أو العفو عن السجناء كان من القرارات المبهجة التي يتلقاها السجين في محبسه، لكننا نعدم إشارات كافية عن وضعية اندماج هذا السجين داخل المجتمع فكل ما تورده المصادر يرتبط فقط بالمساجين المعفو عنهم من الأمراء أو ذوي المراتب العليا في الدولة، في حين تغفل الحديث عن وضعية السجناء من العامة داخل المجتمع، بل نعدم أي إشارة تتحدث **عما** بعد السجن بالنسبة لهذه الفئة ولا غرو أن الخدمات التي كنت تقدمها إدارة السجن للسجناء، وخاصة تلك المتعلقة بالسماح بالزيارة والمكاتبة جعلت السجين يحافظ دائما على علاقاته الاجتماعية مع بقية المجتمع⁽³⁾، فأخوي المهدي ابن تومرت عندما ثار على الخليفة عبد المومن " **كان دأبهم** استخلاص الفسقه استصحاب

¹-حسين عيسى وجماعة من المؤلفين، م.س، ص 67.

²-ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، م.س، ص 179.

³ - MATHIEU (Tillier) , op.cit , p 9.

الخونة من حتالة الناس **والسرقة**⁽¹⁾، فأمر عبد المومن باعتقالهما مدة، ثم بعد ذلك أمر أن **"يرسلا من عقال الاعتقال ويسرحا"**⁽²⁾. وأكرمهما كل الكرم حيث اختار لهما **"سكنى مدينة فاس، لينزلوا بقرارتها خير منزل ويكونوا لتمييز أحوالهم هناك بمعزل، وأمر لهم بما يقوم بهم من المؤسسات، والمحترث والجنات، والتفت فيهم جانب الرحمة والحنان كل الالتفات"**⁽³⁾. لكنهما سرعان ما اندمجا من جديد مع الفئات الاجتماعية السابقة الذكر ووجدا أنصارا لهما، فكانت المكاتبه بينهما وبين العديد ممن يتربصون بالدولة الموحدية، وخاصة من قبائل بلاد صنهاجة من جديد إلى أن ألقى القبض عليهما وعلى مناصريهما فحزت رؤوسهم.

وهناك من الأمراء المسجونين من عاد إلى واجهة السلطة بعد أن كان معتقلا فالسلطان المريني أبو العباس كان معتقلا بغرناطة عند ابن الأحمر الذي سرحه من اعتقاله، وأطلقه للمطالبة بالحكم في المغرب الذي كان بيد السلطان الواصل بالله.

فعبّر أبو العباس **"البحر"** إلى المغرب واحتل سبتة واستولى عليها ثم تقدم على فاس فحاصروها، وضيق على ابن ماساي وسلطانه الواصل بالله وأهرع الناس إلى الدخول في طاعته حتى من مراكش، **وخلع الواصل بالله**⁽⁴⁾. تدل هذه القصة على المكانة التي احتلها أبو العباس عند المجتمع الغربي، إذ سارعوا في عقد البيعة له.

ومن السجناء من تأثرت وضعيته الاجتماعية بعد سجنه، إذ لم تعد له تلك المكانة الاجتماعية التي كان عليها قبيل سجنه، فالوزير أبو حركات عسكر بن طلحة بن تاحضريت، كان قد سجنه الخليفة أبو الحسن المريني لأمر قبحها عليه، كان اعتد بمنصبه وشمخ بأنفه، **"واعترز بخطته"**، وزل في إطلاق يده، واستقل برأيه في كثير من تصرفاته، واعتد بظهور المصلحة لمولانا في رأيه، ووثق بأنه ليس بينه وبين مولاه من يقبح رأيه ولا من يفسد

¹-إ.لوفي بروفنسال، مجموع رسائل موحدية، م.س، ص 39.

²-نفسه، ص 43.

³- نفس المصدر والصفحة.

⁴- الناصري، م.س، ج 4، ص 73.

سعيه"⁽¹⁾، وبعد مدة أطلق سراحه ولم يعد لوزارته، وبقي على هذه الحال.

ومن المسجونين من سيصعب عليه تحقيق الاندماج الاجتماعي بعد ما تحول حاله من الرفاهية إلى الضيق، وسيستحيل عليه التأقلم مع الفئة الاجتماعية التي كان ينتمي إليها ونماذج ذلك ما فعله المنصور الموحد مع عمال مدينة فاس ومشرف مدينة مكناس الذين تلاعبوا بأموال الرعية، ألحقوا الأذى بهم حيث "استأصل" أموالهم، ورد للمخزن ضياعهم ورباعهم، وترك لكل رجل منهم دارا واحدة وأغرهمهم أربعمئة ألف دينار وستين ألفا، يقسطونها على أنفسهم، وشهد العدول بذلك عليهم، فجعل عليهم الرقباء، حتى دفعوا المال المذكور"⁽²⁾.

وعكس ذلك هناك من الحالات من عاد إلى سابق عهده من الوضع الاجتماعي بعد المن عليه من قبل السلطة الحاكمة، ومنهم الحاجب علال بن محمد الذي كان قد اعتقله السلطان أبو عنان وأودعه بالسجن ثم بعد ذلك من عليه بعد وفاة أبيه، وعندما ثار العبيدي محمد بن عبد الله بجبال ورغة، وادعى أنه الفاطمي المهدي الذي ينصر الإسلام ويملاً الأرض عدلا كما ملئت جورا⁽³⁾ اعتقله الخليفة أبو عبد الله الناصر الموحد أودعه السجن وطال اعتقاله من سنة 596 هـ إلى سنة 601 هـ إلى أن شفع فيه أبو زكريا يحيى ابن إبراهيم الهزرجي، فأطلقه الخليفة بعد أن ضمن أنه لا يتحرك في أمر يكرهونه⁽⁴⁾، إلا أن العبيدي سرعان ما استطاع الذوبان في المجتمع واستمالة شرائح اجتماعية مختلف، وخاصة من قبيلة صنهاجة، وعاد إلى الثورة من جديد وقصد سجلماسة بجيش عظيم، وقضى على صاحبها أبو الربيع سليمان بن أبي حفص عمر بن عبد المومن⁽⁵⁾، وظل ينتقل بين قبائل البربر من

¹-ابن مرزوق، المسند الصحيح، م.س، ص 363.

²-ابن عذاري، م.س، قسم الموحدين، ص 158.

³-ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، م.س، ص 38.

⁴-المراكشي، م.س، ص 239.

⁵- نفس المصدر والصفحة.

موضع على موضع، يجمع المؤيدين إلى أن قبض عليه مرة أخرى، بظاهر مدينة فاس،
"فصرب عنقه، وصلب جسده، ووجه برأسه على مراكش، وعلق بأحد أبوابها"⁽¹⁾.

¹ - نفسه، صص 239-240.

خاتمة

لم تكن مهمة البحث في موضوع السجن والسجناء في المغرب الوسيط يسيرة، وإنما تطلب ذلك جهدا كبيرا ووقتا طويلا لتستقيم فصولها ومباحثها، وهو ما يدفعنا إلى القول إنها مجرد محاولة للنبش في تاريخ هذه المؤسسة ونزلائها بمغرب العصر الوسيط، وتبقى العديد من جوانبها في حاجة إلى معول البحث والتنقيب وخاصة مع سكوت جل المصادر والمراجع عن التأريخ لهذه المؤسسة، وإعراض المؤرخين في كثير من الأحيان عن ذكرها وذكر سجنائها، مما يضع الباحثين أمام الكثير من التساؤلات، وخاصة تلك المتعلقة بالتخطيط العمراني للسجون، وبالمعطيات الرقمية والإحصائية عن عدد السجناء، والطاقة الإيوائية لها خلال هذه الفترة.

تمخض عن دراسة موضوع السجن والسجناء بالمغرب خلال العصر الوسيط مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في:

- ✓ اعتبار السجون عقوبة قديمة، استخدمت بهدف التكيل لتنفيذ عقوبة جسدية.
- ✓ عدم تخصيص السجون في بادئ أمرها بأماكن بعينها، وإنما كان الشخص يحبس في أماكن حسب الظروف والمكان، وتطور الأمر بعد ذلك ليكون السجن بناية خاصة في التخطيط العمراني للمدن، ويصبح بذلك مؤسسة عمرانية ضرورية لا غنى عنها.
- ✓ تأثر السجون بالأوضاع السياسية والاقتصادية للدول، وهو ما جعل الأمراء والخلفاء والملوك على اختلافهم يهتمون بها.
- ✓ نال سجن المعارضين السياسيين وموظفي الدولة النصيب الأوفر من التأريخ في المصادر والمراجع التاريخية.
- ✓ عرف المغرب كغيره من الدول الإسلامية السجون، واعتمدها كوسيلة للتأديب والعقاب والانتقام من المعارضين.

✓ عرفت الحواضر الكبرى بالمغرب الوسيط كفاس ومراكش سجونا خاصة بها، بحيث ورد ذكرها في العديد من المصادر التاريخية، في حين تم السكوت عن ذكر سجون المدن الأخرى.

✓ استخدمت السلطة المغربية في العصر الوسيط أنواعا أخرى من السجون يمكن وصفها بالسجون الطارئة، وهي غير السجون التقليدية المعروفة، وكانت تستعمل لاعتقال بعض الشخصيات الهامة من كبار موظفي الدولة، ويمكن حصرها في حجرات القصور أو صوامع المساجد أو المطامير والدواميس، وفي بعض الأحيان كانت تستعمل الحمامات والفنادق، وفي أحيان أخرى استعملت الدور المحروسة.

✓ عرف المغرب خلال العصر الوسيط شكلا آخر من الحبس والتوقيف، يشبه إلى حد كبير ما يعرف اليوم بالإقامة الجبرية، الذي يهدف إلى تقييد حرية الجناة والمنتزعين، واستخدمت هذه الطريقة مع الوزراء وأبناء الملوك الذين لم تستغ السلطة الحاكمة الزج بهم في غياهب السجون.

✓ استخدمت السلطة المغربية مجموعة من الأساليب العقابية للتكيل بالسجناء، ومن أهمها التقييد والتكيل مهما كانت طبيعة جرمهم أو انتماءاتهم الاجتماعية، حيث لم تميز الدولة أكابر رجالها عن عوامهم.

✓ كان التشهير بالمقبوض عليه جزءا أساسيا من عقابه، وكان غالبا ما يتم على ظهر الجمال أو البغال أو الحمير، ويطاف به في شوارع المدينة إمعانا في التشهير به وليكون عبرة لغيره.

✓ كشفت المصادر عن العديد من الخدمات المهمة والضرورية التي كانت تقدم للسجناء، كالخدمات المعيشية والكتابة والسماح بالزيارة.

✓ سكوت المصادر عن السجون الخاصة بالنساء، وهو ما يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات من قبيل، هل غابت السجون النسائية عن مغرب العصر الوسيط؟ أم هل اكتفت الدولة بتأديب النساء دون سجنهم؟ أم هل استعملت لذلك سجون مختلطة؟

✓ استمرار بعض التقاليد ذات العلاقة بالسجن والعقوبات التأديبية، التي تعود جذورها إلى الفترة الوسيطة، من قبيل إقدام الخليفة على إصدار عفو شامل أو محدود على السجناء في إحدى المناسبات الدينية أو السياسية.

✓ الفرق الشاسع بين ما نص عليه الشرع ودعا إليه الفقهاء في معاملة السجناء، وبين الواقع والممارسة في معاملتهم خلال الدراسة.

✓ مكننا البحث كذلك من التسليم بكون هذه المؤسسة لم تحقق الغاية منها، حيث ابتعدت عن المقصود الرئيسي لوجود السجن، والمتمثل في الإصلاح وإعادة الإدماج، وصارت مؤسسة للانتقام والعقاب البدني المذل.

وتعتبر خلاصات هذا البحث دعوة صريحة للباحثين في التاريخ الاجتماعي المغربي خلال العصر الوسيط، إلى تكثيف الجهود للنهش في تاريخ هذه المؤسسة وكشف النقاب في خباياها وربط حلقاتها المفقودة.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
1	31	البقرة	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
19	39	يوسف	﴿يَصْنَعِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
19	33	يوسف	﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾
25	71	الرحمان	﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
25	51	ص	﴿وَعِنْدَهُمْ قَنْصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾
27	108	طه	﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا﴾
85/36	35	المائدة	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ

			لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾
37	34	النساء	﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾
38/37	15	النساء	﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾
38	2	النور	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
38	108	المائدة	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا

			<p>وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠﴾</p>
39/38	33 34 35	يوسف	<p>﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾</p>
39	5	التوبة	<p>﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾</p>
40	4	محمد	<p>﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾</p>

48	8	هود	﴿ وَلَيْنَ آخَرِنَا عَنْهُمُ الْعَذَابُ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا تَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾
54	28	الشعراء	﴿ قَالَ لَئِن آتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾
86	14	النساء	﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾
98	1	الطلاق	﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ
99	46	الطور	﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾
162	8	الإنسان	﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾
200	39 40	يوسف	﴿ يَصْنَعِ الْجِنَّ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ

			<p>سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾</p>
--	--	--	--

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث النبوي
20	[مَا شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ]
28	[فَكُفُوا الْعَانِي وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ]
41	[أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرِيمٍ لِي، فَقَالَ لِي: الزَّمَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ مَا تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ بِأَسِيرِكَ؟]
41	[خَلُّوا لَهُ عَنْ حِيرَانِهِ]
41	[إِذَا أَمْسَكَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ وَقَتْلَهُ الْآخِرُ يُقْتَلُ الَّذِي قَتَلَ وَيُحْبَسُ الَّذِي أَمْسَكَ]
42	[بِعَثَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيَلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ]
42	[لِي الْوَأَجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ]
43	[أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ]
88	[إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ]
88	[إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا]
88	[لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ]
88	[مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ]
99	[أَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمٌ]

فهرس الأشعار

الصفحة	الأبيات الشعرية
127/5	فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ❀ فساءك العيدُ في أغمات مأسورا
20	كانت تضيق بي الدنيا بغيبتكم ❀ فكيف سجن ومن عاداته الضيق قيد أكابده وسجن ضيق ❀ يا رب شاب من الهموم المفرق
20	أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ❀ نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا
21	ما يدخل السجن إنسان فتسأله ❀ ما بال سجنك ؟ إلا قال مظلوم
22	ومن عجب الأيام أنك حاكم ❀ علي وأني في الوثاق أسير كأن لم تر قلبي أسيرا مكبلا ❀ ولا رجلا يرمى به الرجوان
22	كفى حزنا في الصدر أن عوائد ❀ حجبين وأنى في الحديد أسير
22	وأبيت مأسورا وفرحة ذكركم ❀ عندي تعادل فرحة الإطلاق
23	فأقسم لو تكونون الأسارى ❀ وكنت أنا المخلى والطلايقا إذن لجهدت فوق الجهد حتى ❀ أطيق خلاصكم أولا أطيقا
24	سجن يلقى أهله من خوف ❀ أزلا ويمنع منهم الزوار يغشون مقطرة كان عمودها ❀ عنق يعرق لحمها الجزار
27	من يذق الحرب يجد طعمها ❀ مرا وتحبسه بجعجاع

28	ومن همم الفتيات تفريج كربة ❀ وإطلاق عان بات والبؤس فادحة ورب طليق أطلق الذل رقه ❀ ومعتقل عان وقد عز جانبه
58	أما تراني كيسا مكيسا ❀ بنيت بعد نافع مخيسا بابا كبيراً وأمينا كيسا
59	ألقيت كاسهم في قعر مظلمة ❀ فافرق عليك سلام الله يا عمر
78	ياذا الذي قهر الأنام بسيفه ❀ ماذا تضرك أن تكون إليها ألفظ بها فيما لفظت فإنه ❀ لم يبق شيء أن تقول سواها
106	فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا ❀ فساءك العيد في أغمات مأسورا تري بناتك في الأطمار جائعة ❀ يغزلن للناس ميملكن قطميرا
106	غربان أغمات لا تعدمن طيبة ❀ من الليالي وأفنانا من الشجر تظل زغب فراج تستكن بها ❀ من الحرور وتكفيها أذى المطر
107	ويا عقاربها لا تعدمي أبدا ❀ شجا وعقرا ولا نوعا من الضرر كما ملأتن قلبي مذحلت بها ❀ مخافة أسلمت عيني إلى السهر
107	تعطف من ساقى تعطف أرقم ❀ يساورها عضا بأنياب ضيغم
107	يعيد على سمعي الحديد نشيده ❀ ثقيلاً فتبكي العين بالحبس والنقر
108	غنتك أغماتية الألمان ❀ ثقلت على الأرواح والأبدان

	قد كان كالثعبان رمحك في الوغى ❁ فغدا عليك القيد كالثعبان
108	أما لانسكاب الدمع في الخد راحة ❁ لقد آن أن يفنى ويفنى به الخد هبوا دعوة يآل فاس لمبتل ❁ بما منه قد عافاكم الصمد الفرد تخلصتم من سجن أغمات والتوت ❁ علي قيود لم يحن فكها بعد من الدهم أما خلقها فأسود ❁ تلوى وأما الأيد والبطش فالأسد فهنتم النعمى ودامت لكلكم ❁ سعادته إن كان خانني سعد خرجتم جماعات وخلقت واحدا ❁ والله في أمري وأمركم الحمد
118	وأحل عليهم عميرا أن يديقهم ❁ طيب العصافير أن القوم قد سمقوا
144	لابد للزندق أن يصلبا ❁ شاء الذي يعضه أو أبا
161	سيكون الذي قضى ❁ سخط العبد أو رضى سلم الأمر يا فتى ❁ كل هم سينقضي
173	يعيد على سمعي الحديد نشيده ❁ ثقيلًا فتبكي العين بالحبس والنقر
173	دمي شراب لك واللحم قد ❁ أكلته لا تهشم الأعظم
175	في منزل كالليل أسود فاحم ❁ داجي النواحي مظلم الأتجاج يسود والزهراء تشرق حوله ❁ كالحبر أودع في دواة العاج
189/175	لقد بعدت عني ديار قريبة ❁ عجبت لجار الجنب وهو غريب

	أعاشر أقواما تقر نفوسهم	✻	فلهم فيها عند ذاك ضروب
	إذا شعروا من جارهم يتأوه	✻	أجابتهم منهم زفرة ونحيب
	فلا ذاك يشكوهم هذا تأسفا	✻	لكل امرئ مما دهاه نصيب
167	أمسي وحولي رجال في الكبول وهم	✻	مقرونون بأصفاد وأغلال
189	كم قائل لي أثوابي مدنسة	✻	وقد غذوت مذالا مثل أديال
202	أصرت ترفل في الأسمال قلت لهم	✻	أسمالي اليوم بين الناس أسمى لي
176	وانجذب في صلاصل الرعد تحكي	✻	صحبتي في سلاسل وقيودي
	وأنا اليوم تحت ظل عقاب	✻	لقوة مخوت الجناح صيود
	أتقيها بناظر خافق اللحظ	✻	مروع وخاطر مزوود
178	وأن لم تبث مثلي تطير قلوبها	✻	إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
	لنفسي إلى لقيا الحمام تشوف	✻	سواء يحب العيش في ساقه كبل
182	أدرك أخاك ولو بقافية	✻	كالظل يوقظ نائم الزهر
	فلقد تقادفت الركاب به	✻	في غير مرماه ولا بحر
	طفحت صحابته بلسنة	✻	وتمايلت سكرًا بلا خمر
182	إخواننا هل حال من دوننا أمر	✻	تراءى لكم أم وحشة جرها الدهر
	بخلتم بلقيانا وكان نزولنا	✻	على جفوة منكم وإن عظم البر
	وما هو إلا مقطع كهوائكم	✻	عصيب وخلق مثل منزلكم وعر

	ثقوا بي إذا عن اللقاء فما اعتزى ❁ إلى شيمي غدر ولا بيدي سحر
182	إليك النزر من كف الأسير ❁ فإن تقبل تكن عين الشكور تقبل ما يذوب له حياء ❁ وإن غدرته حالات الفقير
183	قيدي أما تعلمني مسلما ❁ أبيت أن تشفق أو ترحما وهي شراب لك واللحم قد ❁ أكلته لا تهشم الأعظمي يبصرني فيك أبو هاشم ❁ فينتني والقلب قد هشما ارحم طفيلًا طائشا لبه ❁ لم يخش أن يأتيك مسترحما
183	في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا ❁ فساءك العيد في أغمات مأسورا ترى بناتك في الأطمار جائعة ❁ يغزلن للناس ما يملكن قطميرا برزن نحوك للتسليم خاشعة ❁ أبصارهن حسيرات مكاسيرا يطأن في الطين والأقدام حافية ❁ كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
184	غريان أغمات لا تعدمن طبيته ❁ من الليالي وأفنانا من الشجر تظل زغب فراخ تستكن بها ❁ من الحرور وتكفيها أدى المطر كما نعبتن لي بالفأل يعجبني ❁ مخبرات به عن طيب الخبر أن النجوم التي غابت قد اقتربت ❁ منا مطالعها تسري إلى القمر
184	أهلا بقربك لو يطول مقام ❁ وكفى بطيفك لو يزور منام أذنت بالعهد الجديد، وإنما ❁ قرب المدى دون اللقاء هيام

185	يا شمس علم أفلت بعدما ❀ أضاءت المشرق والمغرب
185	حجبت قسرا عن عيون الورى ❀ والشمس لا ينكر أن تحجب
185	سقطت من الوفاء على خبير ❀ قدرني والذي لك في ضميري
185	تركت هواك وهو شقيق ديني ❀ لئن شقت برودي عن غدور
185	ولا كنت الطليق من الزوايا ❀ لئن أصبحت أجحف بالأسير
185	وداع ولكني أقول سلام ❀ وللنفس في ذكر الوداع حمام
185	أخادغ نفسا إن تحققت النوى ❀ فليس لها بين الضلوع مقام
186	وبعد فإن ودعتني بخداعه ❀ فحقي أن يجني عليك ملام
186	ويا عجبا حتى السمات تخونني ❀ وحتى انتباهي للصديق منام
186	أضاء لنا أغمات قريك برهة ❀ وعادوها حين ارتحلت ظلام
186	أمرتني بركوب البحر أقطعه ❀ غيري لك الخير فاخصمه بذا الداء
186	ما أنت نوح فتجيني سفينته ❀ ولا المسيح أنا أمشي على الماء
189	فمن رأى شاعرا في السجن مطرقا ❀ في ظلمه وهو في البهتان مظلوم
189	ناديت حلمك والأقدار حائمة ❀ كصاحب الحوت نادى وهو مكظوم
190	ما اهتز السجن إلا تفترت ❀ قلوب لنا خوف الردى كبود
190	ولست بذي قيد يرن وإنما ❀ على اللخط من سخط الإمام قيود

190	<p>هنيئاً لها إذا لم يفرق جميعها ❀ ولا ذاق البعد عن أهلها أهل ألا عصم الله القطا في فراخها ❀ فإن فراخي قد خانها الماء والظل</p>
191	<p>فمن يك من هواه لقاء حب ❀ فإن هواي من حتفي اللقاء أرغب أن أعيش وأن أرى بناتي ❀ عواري قد أضربهم الحفاء خوادم بنت ما كان قد أعلى ❀ مراتبه إذا أبدو النداء</p>
191	<p>بكيت فتحا فإذا ناديت سلوته ❀ ثوى يزيد فزاد القلب نيرانا يا فلذتي كبدي يأبى تقطعها ❀ عن وجدها بكما ما عشت سلوانا لقد هوى بكما نجمان ما رميا ❀ إلا من العلو بالأحاط كيوانا</p>
191	<p>غريب بأرض المغربين أسير ❀ سيبيكي عليه منبر وسرير وتتدبه البيض الحوارم والقنا ❀ ينهل دمعا بينهن عزيز مضى زمن والملك مستأنس به ❀ وأصبح منه اليوم وهو نفور فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة ❀ أمامي وخلفي روضة وغدير بمنبته الزيتون مورثة العلى ❀ تغني قيان أو ترن طيور بزاهرها السامي الذي جاده الحيا ❀ تبشير الثرايا نحونا ونشر ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده ❀ غيورين والصب المحب غيور</p>
192	<p>بكى المبارك في إثر بن عباد ❀ بكى على إثر غزلان وأساد</p>

	<p>بكت ثرياه لأغمت كواكبها ❁ بمثل نوء الثريا الرائح الغادي</p> <p>بكى الوحيد بكى الزاهي وقبته ❁ والنهر والتاج كل ذله بادي</p> <p>ماء السماء على أبناءه درر ❁ يالجة البحر دومي ذات أزياد</p>
192	<p>دعا لي بالبقاء وكيف يهوى ❁ أسير أن يطول به البقاء</p> <p>أليس الموت أروح من حياة ❁ يطول على الشقي بها الشقاء</p> <p>فمن يك من هواه لقاء حب ❁ فإن هواي من حتفي اللقاء</p>
193	<p>كنت حلف الندى ورب السماح ❁ وحبیب النفوس والأرواح</p> <p>وأنا اليوم رهن أسر وفقر ❁ مستباح الحمى مهيض الجناح</p> <p>لا أجيب الصريخ إن فزع الناس ❁ ولا المعنفين يوم السماح</p> <p>عاد بشري الذي عهدت عبوسا ❁ شغلنتي الأشجان عن أفراحي</p> <p>فالتماحي إلى العيون كربه ❁ ولقد كان ترفة اللماح</p>

فهرس الجداول

الصفحة	الجدول
60	جدول سجون الدولة الأموية
68	جدول نزلاء سجن قرطبة
70	جدول نزلاء سجن المطبق بالأندلس
92	جدول العقوبات السائدة في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

قائمة المصادر والمراجع

✓ القرآن الكريم برواية ورش

✓ المصادر:

- ابن الأبار القضاعي البننسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر)، الحلة السرياء، تحقيق حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1 و2.
-، المعجم في أصحاب القاضي **الصدفي أبي علي حسين بن محمد**، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.
- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي الشيباني)، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، الأجزاء 2-4-5-6-8-9.
-، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، مطبعة الملاح، بيروت، 1982، ج10.
- ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962.
-، نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987.
- ابن إبراهيم الأنصاري (أبو يوسف يعقوب القاضي)، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، 1979.
- الأصفهاني (أبو الفرغ)، كتاب الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ومؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج2.
- الباجي الأندلسي (أبو الوليد بن خلف)، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق محمد أبو الأجفان، مكتبة التوبة، الرياض، 2002.

- ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، ق 1 مج 1- ق 2 مج 1- ق 3 مج 1- ق 4 مج 1.
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف عبد الملك)، الصلة، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1998، الأجزاء 1-2-3.
- البغدادي (عبد القادر)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ج 1.
- البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987.
- ابن بلقين (عبد الله)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق إ.ليني برفنسال، دار المعارف، مصر، د.ت.
- البيهقي (أبو بكر بن علي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971.
- البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى، تحقيق عبد القادر عطا، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ج 6.
- التادلي الصومعي (أحمد)، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
- التميمي الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، منشورات جامعة عبد الملك السعدي، ط 1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002، ج 1 و 2.
- التتوخي (أبو علي المحسن بن علي)، كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، 1978.

- ابن تيجلات (أبو عبد الله)، أئمة العينين ونزهة الناظرين مناقب الأخوين، تحقيق محمد رابطة الدين، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، 1986، ج1.
- ابن تيمية (تقي الدين)، الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج5.
- ابن جرير الطبري (محمد)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمود محمد شاعر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج 11.
-، تاريخ الطبري، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج 3.
- الجزنائي (علي)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.
- الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي)، شرح كتاب أدب القاضي، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.
- ابن جلجل الأندلسي (أبو داود سليمان)، طبقات الأطباء والحكماء، ويلييه تاريخ الأطباء والفلاسفة لاسحاق بن حنين، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
- جماعة من الفقهاء، الفتاوى الهندية (الفتاوى العالمية)، ديار بكر، تركيا، 1973، ج5.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج5.
- حاج (محمد علي حاج يوسف)، **شمس المغرب سيرة الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي ومذهبه**، ط 2، دار فصلت للنشر والتوزيع، حلب، 2013.

- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج1 و7.
-، الإصابة في تمييز الصحابة، ط1، القاهرة، 1328 هـ، ج3.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، طوق الحمامة، مكتبة عرفة، دمشق، د.ت.
-، المحلى بالآثار شرح المجلى باختصار، تحقيق محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، 1350هـ، ج8.
- الحموي الرومي البغدادي (أبو عبد الله ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993.
-، معجم الأدباء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991، ج9.
-، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج1.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
- الحنفي (أبو الحسن) المعروف بالسندي، سنن ابن ماجة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1996، مج3.
- ابن حيان القرطبي (أبو مروان)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.
-المقتبس، تحقيق محمد علي حجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983
- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق وتعليق حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار، الأردن-الزرقاء، 1989، ج1 و2.

-، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007.
- ابن الخطيب (لسان الدين)، أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ج5.
-، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975، الأجزاء 1-3-4.
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج 1.
-، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6 و7.
-، ابن خلدون ورسالته في القضاء، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ط1، دار الوطن، الرياض، 1417هـ.
-، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979.
- ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948، ج3 و4.
- ابن الداية (أحمد بن يوسف)، كتاب المكافأة وحسن العقبي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الاستقامة، القاهرة، 1940، ط1.

- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، دار العلم للجميع، بيروت، د.ت.
- ابن أبي دينار القيرواني (محمد ابن أبي القاسم الرعيني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط 7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990، ج19.
- **الزيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى)**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم الغريايوي، مراجعة مصطفى حجازي، سلسلة التراث العربي، مطبعة حكومة، الكويت، 1972، ج26، 1999، ج35، وج15 تحقيق **الترزي وحجازي والطحاوي والغريايوي**، 1975، وج10 تحقيق إبراهيم الترزي، 1972.
- ابن أبي زرع الفاسي (علي)، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
-، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972.
- الزركلي (خير الدين)، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج 4.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر جار الله)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ج1.
- ابن زهر (أبو مروان ابن أبي العلاء)، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشيل خوري، المنظمة العربية للتربية والعلوم، دمشق، 1983.
- ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

- السراج (محمد بن محمد الوزير)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1970.
- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) وآخرون، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1993، ج1.
- السملالي (العباس بن إبراهيم)، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
- ابن الشجري (أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن علي الحسني)، ما اتفق لفظه واختلف معناه تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
-، مختارات شعراء العرب، تحقيق محمد علي البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- الشربيني (شمس الدين محمد بن خطيب)، مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، تحقيق محمد خليل عيتاتي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1997، ج4.
- الشوكاني (محمد بن علي)، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصبابي، ط1، دار الحديث، مصر، د.ت، ج7 و8.
- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.
- الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي بيروت، 2000، ج3 و15.
- الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام)، المصنف، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي، ط1، منشورات المجلس العلمي، بيروت، 1983، ج5 و10.

- الطل (عثمان اسماعيل)، الحبس والسجن في صدر الإسلام دراسة تاريخية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة القدس، القدس، العدد 23، يونيو 2016.
- ابن **عابدين الدمشقي** (محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز)، رد المحتار على الدر المختار، المشهور بحاشية ابن عابدين، تحقيق مصطفى الباسي الحلبي، القاهرة، 1966، ج 5.
- ابن عباد (المعتمد)، ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد بدوي، ط 3، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000.
- ابن عبد الحكم (عبد الرحمان بن عبد الله)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.
- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر 6، **المجلد 4**، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، السفر الثامن، القسم الثاني، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984.
- ابن عبدون (محمد بن أحمد عبدون التجيبي)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إلفي برفنسال، منشوات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإلفي برفنسال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، الأجزاء 1-2-3، ج 4، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1983، قسم

- الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
- العذري الدلائي (أحمد بن عمر بن أنس)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتتويح الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، د.ت.
 - ابن عربي (محي الدين)، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف محمود الغراب، ط 2، دار الإيمان، دمشق، 1994.
 - العزفي (أبو العباس)، دعامة اليقين في زعامة المتقين: مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكاتب، الرباط، د.ت.
 - ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط 1، دار ابن كثير، دمشق، 1986، ج6.
 - القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ج2.
 - القاضي (خالد محمد)، سجناء وأسرى، دار الطلائع، القاهرة، 2006.
 - ابن عيشون الشراط (أبو عبد الله محمد)، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، ط 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997.
 - ابن فارس (أبو الحسين أحمد)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، ج1.

- ابن فتوح الحميدي (أبو عبد الله محمد)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، ط 2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409هـ، ج 1.
- ابن فرج محمد بن فرج القرطبي (أبو عبد الله)، أفضية رسول الله ﷺ، ط 1، دار الوعي، حلب، 1396.
- ابن فرحون (برهان الدين أبو عبد الله محمد)، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومنهاج الحكام، ط خاصة، دار عالم الكتب، الرياض، 2003، ج 2.
- الفيروز آبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مكتب تحقيق التراث، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
- ابن القاضي (أحمد المكناسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973، ج 2.
- ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.
- القرافي (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن ادريس)، كتاب الفروق أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، د.ت.
- القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، ج 3.
- القسطلاني (أحمد بن محمد)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، ط 2، المكتب الإسلامي، 2004، ج 2.

- القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق ابراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.
- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن مزاحم الأندلسي)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الإبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.
- ابن قيم (محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية أبو عبد الله)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار عالم الفوائد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، د.ت.
-، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري، أحمد بن توفيق العاروري، ط 1، رمادي للنشر، الدمام، 1997، ج 2.
- الكتاني (محمد بن عبد الحي)، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، ط 2، دار الأرقم، بيروت، د.ت، ج 1.
- ابن الكتاني (محمد الطبيب)، التشبيهات في أشعار الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- ابن كثير اسماعيل (عماد الدين أبو الفداء)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1991، ج 3 و 4.
- المالقي (أبو القاسم ابن رضوان)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984.
- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق الهواري صلاح الدين، ط 1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- ابن مرزوق التلمساني (أبو عبد الله محمد)، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

-، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2008.
- ابن مريم المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، 2013.
- المغراوي (محمد بن عبد الرحمان)، فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، ط1، مجموعة التحف، النفائس الدولية، 1996.
- مقديش (محمد بن سعيد)، نزهة الأناظر في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة الأطهار، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011، ج2.
- المقري التلمساني (شهاب الدين أحمد بن محمد)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مجموعة من الباحثين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، ج1.
-، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، الأجزاء 1-2-5.
- المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي)، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ج1.
-، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، دار صادر، بيروت، د.ت، ج2.
-، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، ط2، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996، ج1.
- **ابن الملقن** (سراج الدين أبي حفص)، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحي وأبو محمد عبد الله

بن سليمان وأبي عمار ياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية،
2004.

- ابن المناصف (محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ)، تنبيه الحكام على مأخذ الأحكام، تحقيق عبد الحفيظ منصور، دار التركي، تونس، 1977.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، الأجزاء 6-8-10-11-15.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.
- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، وتحقيق ابراهيم الإبياري، ط2، دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت، 1989.
- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولين، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميغيل آسين، مدريد، 1983.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج1.
- النباهي (أبو الحسن)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط 5، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983.
- ابن هاني (الحسن)، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، ط1، دار الكتاب العربي بيروت، 2003.
- ابن هشام (محمد بن عبد الملك)، السيرة النبوية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990، ج2 و4.
- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1.

- وكيع (أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي)، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج2.
- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج مجموعة من الفقهاء تحت إشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج2.

✓ المراجع:

- أدهم (علي)، المعتمد بن عباد، ط 1، المؤسسة المصرية، مصر، د.ت.
- أرسلان (شكيب)، الحل السندسية في الأخبار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، لبنان، د.ت.
- إلفي برفنسال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.
- أنخل جونتالت بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- البدري الحسيني (ياسر محمد ياسين)، أقمار في سماء الأندلس ابن حزم الظاهري الأندلسي سيرته، مذهبه، شيوخه وتلاميذه، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
- البقالي (أحمد مفتاح)، مؤسسة السجون بالمغرب، ط2، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.
- البرزة (أحمد مختار)، الأسر والسجن في شعر العرب، ط 1، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1985.
- بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحكيم النجار، ط 5، دار المعارف، 1977.

- البستاني (بطرس)، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1877.
- البشير (محمد عبد الرحمان)، مباحج الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.
- البلاجي (محمد)، شعر الأسرى في العصر العباسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه مرقونة، 1990-1991، ج1.
- بهنسي (أحمد فتحي)، العقوبة في الفقه الإسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1958.
- بولطيف (محمد لخضر)، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008.
- الجريوي (محمد بن عبد الله)، السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1990.
- الجعافرة (أسامة)، موسوعة الصحابييات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
- الجوهرى (إسماعيل بن حماد)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج5.
- الحداد (حميد)، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2013.
- الحريري (محمد عيسى)، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط 1، دار القلم، الكويت، 1985.
- حسين حمودة (عبد الحميد)، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007.
- الحيمر (جمال)، مكناس من التأسيس إلى العصر المريني، دار أبي رقرق، الرباط، 2006.

- الخزاعي محمد بن مسعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- خلف (سالم بن عبد الله)، نظام حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003.
- دندش (عصمت عبد اللطيف)، أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.
- الديروي (سلمى بنت المفتي مجيب الدين)، الهادي إلى رياض الفقه والفقهاء، مراجعة فضل ودود الشاهفوري، مكتبة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، باكستان، 1435.
- رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.
-، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط1، دار هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- الساير (محمد عويد)، أبحاث ودراسات في الشعر الأندلسي ويلييه ابن هذيل التجيبي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013.
- الشالجي (عبود)، موسوعة العذاب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت، ج3.
- الشمري (جعفر يايوش غازي)، الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2016.
- ابن صالح الخرشي (سلميان)، المشاهير والسجون، ط1، دار ابن الأثير، الرياض، 2003.
- الصمد (واضح)، السجون وأثرها في الأدب من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1995.

- ضاهر (عبد الوهاب مصطفى)، عمارة السجون في الإسلام، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، 2014.
- طالب (حسن)، الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2002.
- عزام (عبد الوهاب)، المعتمد بن عباد: الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ ، دار هنداوي، القاهرة، 2012.
- عزاوي (أحمد)، رسائل ديوانية موحدية، ط1، نيت المغرب، الرباط، 2006.
- علال (خالد كبير)، التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، عمان، 2008.
- العلواني (طه جابر)، لا إكراه في الدين إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام إلى اليوم، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003.
- عويد (عبد علي)، الدعوة إلى السلام من الشعر الجاهلي دراسة في الموضوعات والخصائص، ط 1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2017.
- العيني (بدر الدين أبي أحمد محمد)، عمدة القاري في شرح البخاري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج 10.
- أبو غدة (حسن)، حقوق المسجونين في الشريعة الإسلامية، دار جامعة الملك سعود، 2012.
-، فقه المعتقلات والسجون بين الشريعة والقانون، ط 2، مكتبة الرشد، بيروت، 2006.
-، أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، مكتبة المنار، الكويت، ط1، 1987.

- فتحة (محمد)، النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى القرن 9هـ / 12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثاني عين الشق سلسلة الأطروحات والرسائل، الدار البيضاء، 1999.
- قدور سكيمة، الحبسيات في الشعر العربي، أطروحة دكتوراه في الشعر العربي، جامعة منتوري- قسنطينة، تحت إشراف لخضر عيكوس، سنة 2007/2006
- فتحي (فاضل محمد والي)، الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، ط 1، دار الأندلس للنشر والتوزيع، 1996.
- الفضائلي (بديعة)، شعر المنافي والسجون في الأدب المغربي ما بين 1912-1956، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط 1، مطبعة كانا برانت، الرباط، 2008.
- فوال بانتي (عزيزة)، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، ط 1، دار صادر لبنان، 1988.
- كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين، ط 1، مؤسسة الرسالة، 1993.
- كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي، ط 2، دار الثقافة، د.ت، ج 1 و 2.
- لانغ كريستيان، العدالة والعقاب في المتخيل الإسلامي خلال العصر الوسيط، ترجمة رياض الميلادي، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2016.
- اللهيبي (أحمد)، موقف الشريعة الإسلامية من عقوبة السجن، ضمن أعمال الندوة العلمية: السجون مزاياها وعيوبها، المركز العربي للدراسات والتدريب، الرياض، 1984.
- مدحت محمد عبد الحادث ابراهيم، الرهائن السياسيون في الأندلس منذ الفتح الإسلامي، وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف (92- 479 هـ / 711-1086م)، ط 1، بيلومانيا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018.
- المقدم (محمد أحمد اسماعيل)، علو الهمة، دار الإيمان، الإسكندرية، 2004.

- ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990.
- نشاط (مصطفى)، السجن والسجناء نماذج من تاريخ المغرب الوسيط، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012.
- هوبكنز (ج.ف.ب)، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980.
- الوادعي (سعيد بن مسفر)، فقه السجن والسجناء ط 1، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2004.

✓ المقالات:

- البزاز (محمد الأمين)، حول المجاعات والأوبئة بالمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب، الرباط، 1993، العدد 18، صص 93-131.
- بولقطيب (الحسين)، نظام العقوبات والسجن بالمغرب الوسيط، مساهمة في دراسة "العقل التأديبي" المغربي خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، عدد 23، 1999.
- جمال الدين محمد محمود، السجن بين الأمس واليوم، مجلة العربي، عدد 200.
- حسين عيسى وجماعة من المؤلفين، السجن مزاياها وعيوبها من وجهة نظر إصلاحية، أعمال الندوة العلمية الأولى، ط 2، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، 1984.
- عاشور (سعيد عبد الفتاح)، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، الكويت، 1980، مج 11، عدد 1، صص 85-126.

▪ القادري بوتشيش (ابراهيم)، الجرائم وعقوباتها في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط القرن (4-8 هـ / 10-14م)، ضمن أعمال ندوة التاريخ والقانون، مطبعة برانت توب، مكناس، 2009.

✓ المراجع والمقالات الأجنبية:

- AVILA (Maria louis), Al-yryanie iben abbase, victim de badis, en estudio nomastico-biograficose de al andaluse (de meurte violenta), XIV, editos por maribel fiero, Madride csic, 2004.
- CLAUDIO (Sanchez), Al-Bornoz: La Espana Musulmana Segun los Autores Islamitas y Cristianos Medievales- Espasa-calpe- Cuarta Edicion-2 Vols.- Madrid, 1974.
- DOZY (R) ,Histoire des musulmans d'Espagne jusque a la conqutes de l'andalouse par les almoravides, leiden University, 1932, T3.
- DUFOURCQ (Ch), L'Espagne catalane et le magribe au 13 et 14 siécl,p.u.f, paris, 1966
- HNTATI (Nejmeddin), La prison en occident musulman médiéval, arabica, tome 54, N2, 2007, pp149-188.
- KABLY (M), Société, pouvoir et religion au maroc a la fin du moyen age, maisonneuve, paris, 1986.
- LEVI-PROVENCAL (E), Histoire de l'Espagne musulmane, Maisonneuve et Larose, Paris 1950, T III, pp 89-92.
- LUCIEN (Morin), La prison éducative.revue des sciences de l'éducation 11, pp15-30.
- MORON (P), Le suicide, edition que sais-je ? puf, Presses Universitaires de France, 5 edition,1993.
- MATHIEU (Tillier), Les prisonniers dans la société musulmane (Ile/ VIIIe- IVe/ Xe siècle)... Dynamiques sociales au Moyen Age en occident et en Orient, publications de l'université de Provence, 2010.
- SHATZMILLER (M), L'historiographie merinide, Ibn khaldun et ses contemporains, leiden University, 1982, not 2.
- SNACKEN (Sonja), Les courtes peines de prison. in:déviance et socité. 1986- vol.10-N4.pp 363-387.
- TALBI (M), Quelques données sur la vie social en occident musulman d'après un traité de hisba au 15 siecle, arabica, t 1, Fasc. 3 (Sep, 1954), pp. 294-306.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
1	الإهداء.....
2	تقديم.....
33	الباب الأول: السجن وخصائص التطور.....
34	الفصل الأول: مشروعية السجن في الفقه الإسلامي وأنواعه.....
37	المبحث الأول: السجن في القرآن الكريم.....
40	المبحث الثاني: السجن في السنة النبوية.....
43	المبحث الثالث: السجن في الفقه الإسلامي.....
45	1- أنواع السجون من منظور فقهي.....
47	2- اختلاف الفقهاء حول مشروعية السجن.....
53	الفصل الثاني: الإطار التاريخي لتكون المؤسسة السجنية بالمغرب الوسيط.....
54	المبحث الأول: ظهور السجون وتطورها.....
63	المبحث الثاني: نشأة السجون بالمغرب الوسيط.....
74	المبحث الثالث: وظيفة السجون بالمغرب الوسيط.....
77	الفصل الثالث: العقوبات البديلة لعقوبة السجن بالمغرب الوسيط.....

78	المبحث الأول: أنواع العقوبات.....
79	1- عقوبة قطع الرأس.....
82	2- عقوبة الصلب.....
84	3- عقوبة الخنق.....
84	4- عقوبة النفي والتغريب.....
86	5- عقوبة بتر أعضاء الجسد.....
87	6- عقوبة الحرق.....
88	7- عقوبة الإهانة والتشهير.....
91	8- عقوبات أخرى.....
97	المبحث الثاني: المقاربة الفقهية للعقوبات.....
100	الباب الثاني: مؤسسة السجون بالمغرب الوسيط.....
101	الفصل الرابع: جغرافية السجون بمغرب العصر الوسيط.....
103	المبحث الأول: سجون فاس.....
104	المبحث الثاني: سجون مراكش.....
108	المبحث الثالث: سجن أغمات.....

109	المبحث الرابع: سجن سجلماسة.....
110	المبحث الخامس: سجن سبتة.....
110	المبحث السادس: سجون مدن أخرى.....
112	الفصل الخامس: وضعية السجون بالمغرب الوسيط.....
113	المبحث الأول: التخطيط العمراني للسجون بالمغرب الوسيط.....
116	المبحث الثاني: تنظيم السجون بالمغرب الوسيط.....
121	الفصل السادس: نماذج من فئات السجناء.....
122	المبحث الأول: السجناء من العامة.....
126	المبحث الثاني: السجناء من الخاصة (سجناء الحقل السياسي).....
142	المبحث الثالث: السجناء من العلماء.....
152	المبحث الرابع: السجناء من المتصوفة.....
164	الباب الثالث: الحياة داخل السجن ومصائر السجناء.....
165	الفصل السابع: وضعيات السجناء بمغرب العصر الوسيط.....
166	المبحث الأول: أسباب الاعتقال، حيثياته وظروفه.....
172	المبحث الثاني: صور السجناء داخل زنازينهم.....
177	المبحث الثالث: علاقات السجناء.....
177	1-علاقة السجناء فيما بينهم.....

178	2-علاقة السجناء بالسجان.....
181	3-علاقة السجناء بالمجتمع.....
186	المبحث الرابع: الإنتاج الأدبية لسجناء مغرب العصر الوسيط "أدب السجن"
195	الفصل الثامن: الخدمات المقدمة للسجناء.....
196	المبحث الأول: إطعام السجناء.....
201	المبحث الثاني: إكساء السجناء.....
203	المبحث الثالث: تطبيب السجناء.....
205	المبحث الرابع: تعليم السجناء.....
209	الفصل التاسع: ما بعد السجن في المغرب الوسيط.....
210	المبحث الأول: الفرار من السجن.....
217	المبحث الثاني: العفو والتسريح.....
225	المبحث الثالث: الاندماج النفسي والاجتماعي للسجين بعد التسريح من السجن
225	1-الاندماج النفسي.....
227	2-الاندماج الاجتماعي.....
231	خاتمة.....
234	الفهارس.....

234	فهرس الآيات القرآنية.....
239	فهرس الأحاديث النبوية.....
240	فهرس الأشعار.....
248	فهرس الجداول.....
249	قائمة المصادر والمراجع.....
269	فهرس الموضوعات.....